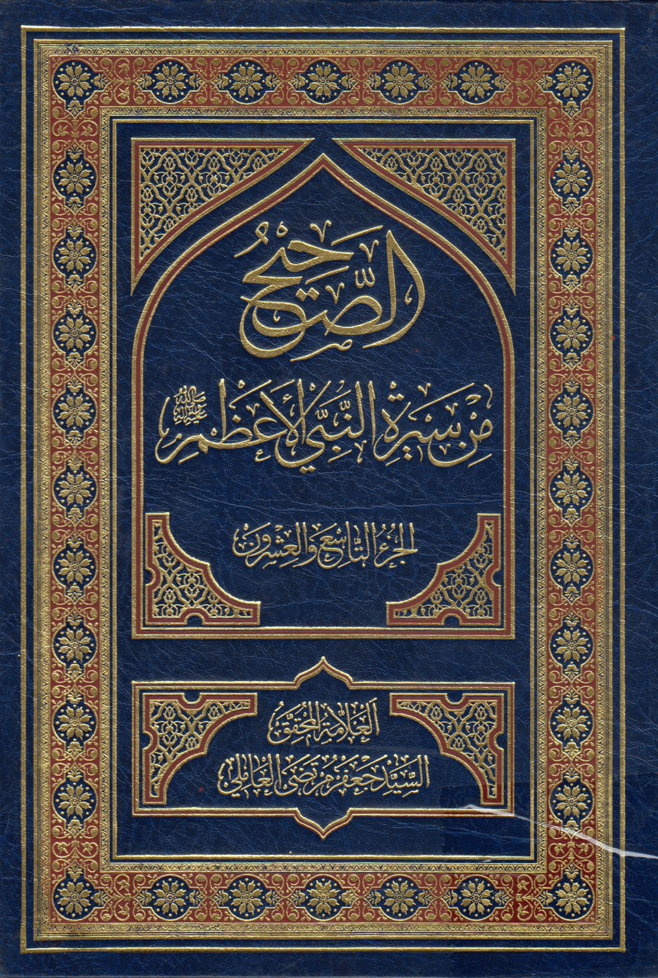


الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء التاسع والعشرون
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء التاسع والعشرون

الصحيح من سيرة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم

(الجزء التاسع والعشرون)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دار الحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ـ٧٧٤٠٥٢٣ـ ٠٢٥١ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

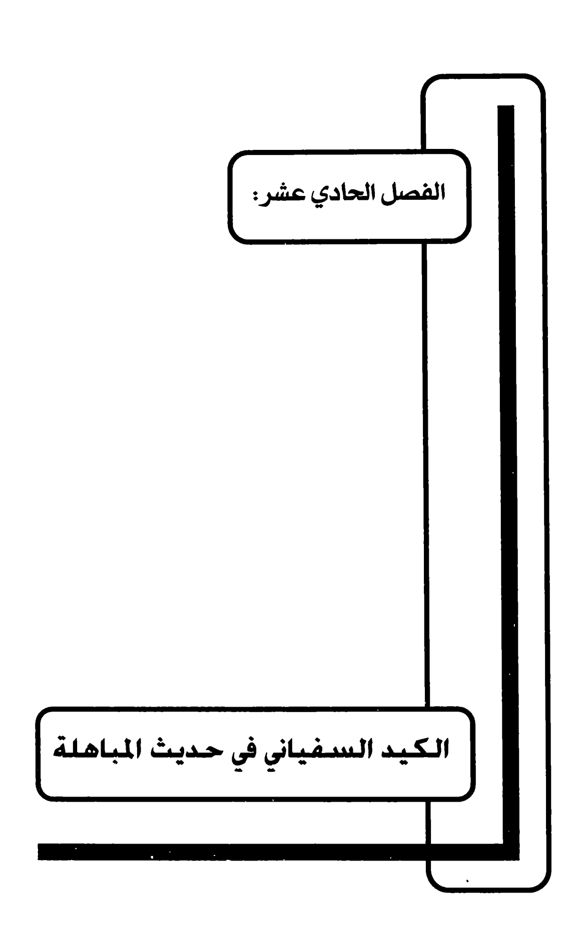
http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

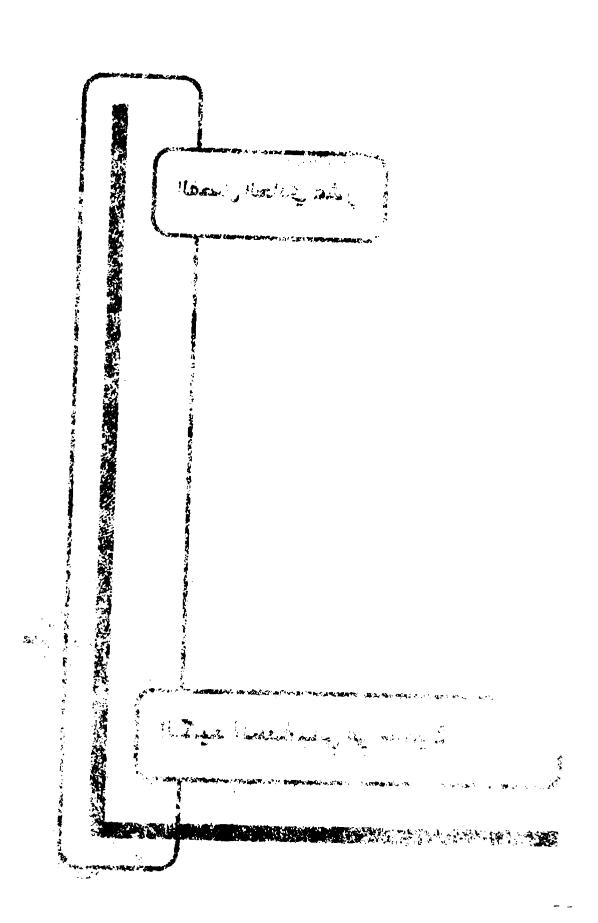
ISBN: 978 - 964 - 493 - 201 - 4





الفصل الحادي عشر:

الكيد السفياني في حديث المباهلة



إهمال ذكر علي عليه السلام:

إن إشراك علي، والحسنين، وفاطمة «عليهم السلام» في المباهلة مما تواترت به الأخبار، واجتمعت عليه كلمة المسلمين، فقد قال الطبرسي: «أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا: الحسن والحسين»[1].

وقال الطوسي: «أجمع أهل النقل والتفسير على ذلك»[2].

وقال الرازي وغيره: «هذا الحديث كالمتفق عليه بين أهل التفسير والحديث»[3].

وقال الجصاص: «نقل رواة السيرة، ونقلة الأثر، ولم يختلفوا في أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم،

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص١٤٢ والبحار ج٣٥ ص٢٦٦ ومجمع البيان ج٢ ص٤٥٢ وراجع: التبيان ج٢ ص٤٨٥ ونهج الحق (مطبوع مع دلائل الصدق) ج٢ ص٨٣ وتفسير الرازي ج٨ ص٨٠ وحقائق التأويل ص١١٤ وفيه: أجمع العلماء الخ..

(٢) تلخيص الشافي ج٣ ص٦.

(٣) التفسير الكبير للرازي ج٨ ص٨٠.

ثم دعا النصارى الذين حاجوه في المباهلة»[1].

وقال الحاكم: «تواترت الأخبار في التفاسير عن عبد الله بن عباس وغيره: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذ يوم المباهلة بيد علي والحسن والحسين، وجعلوا فاطمة وراءهم الخ..»[2].

غير أننا نجد في مقابل ذلك: أن ابن كثير تبعاً للشعبي لم يذكر علياً «عليه السلام» في حديث المباهلة[3].

قال الطبري في تفسيره: «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، قال: فقلت للمغيرة: إن الناس يروون في حديث أهل نجران أن علياً كان معهم، فقال: أما الشعبي فلم يذكره، فلا أدري، لسوء رأي بني أمية في علي، أو لم يكن في الحديث»؟[4].

ونقول:

والصحيح هو الأول؛ لأن ذكره في الحديث متواتر ولا شك. ولكنهم حين لم يجدوا مبرراً لإقحام أي من محبيهم في هذا الحدث الهام جداً، ولم يمكنهم إنكار أو دلالة هذا الحدث على عظيم فضل أمير المؤمنين، إلى حد أنه يجعله أفضل من سائر الأنبياء باستثناء نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»، لجأوا إلى ما ربما يثير شبهة، أو على الأقل يبعد علياً «عليه السلام»

---

(١) أحكام القرآن ج٢ ص١٦.

(٢) معرفة علوم الحديث ص٥٠.

(٣) البداية والنهاية ج٥ ص٦٥.

(٤) جامع البيان للطبري ج٣ ص٢١١ و (ط أخرى) ص٤٠٧ وعن زاد المعاد ج٣ ص٣٩ و ٤٠.

عن الذاكرة، إلى أن يجدوا مخرجاً من هذه الورطة، وكان الشعبي هو الرائد في تنفيذ هذه الرغبة.. فله موقف بين يدي الله، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وسيجد فيه أن تجاهله هذا لعلي «عليه السلام» سيجر عليه من البلاء ما لا قبل له به ولا قدرة له على تحمله.

أبو بكر وعمر وحفصة وعائشة في المباهلة:

وقد ذكر بعضهم: أن عمر قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «لو لاعنتهم بيد من تأخذ؟!

قال: آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، وعائشة، وحفصة. وهذا (أي زيادة عائشة وحفصة) يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾[1]»[2].

وعن الصادق «عليه السلام» عن أبيه، في هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾[3] قال: «فجاء بأبي بكر وولده، وبعمر وولده، وبعثمان وولده، وبعلي وولده» والظاهر: أن الكلام في جماعة من المؤمنين[4].

---

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٢١٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٤٤ و ١٤٥ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥٠٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٦.

(٣) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٤) الدر المنثور ج٢ ص٤٠ عن ابن عساكر، وتفسير المنار ج٣ ص٣٢٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥٠٧ وكنز العمال ج٢ ص٣٧٩ وتفسير الميزان ج٣ ص٢٤٤ وفتح القدير ج١ ص٣٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص١٧٧.

ونقول:

١ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخذ بيد علي وفاطمة والحسنين «عليهم السلام»، فعلاً، ولم يأخذ بيد عائشة ولا حفصة..

٢ ـ إن كلمة: «ونساءنا ونساءكم» لا تقتضي إضافة عائشة وحفصة، وسيأتي توضيح ذلك، لأن المقصود هو إشراك جنس المرأة الكاملة التي هي المثل الأعلى للتربية الإلهية، وليس ذلك غير الزهراء «عليها السلام»، وليس المراد مطلق امرأة حتى لو قادت حروباً بين المسلمين، وضد إمام زمانها بالذات..

وسيأتي: أن لذلك نظائر في الآيات القرآنية، التي تتحدث عن جماعة ويكون المقصود بها أفراد بأشخاصهم، كآية التطهير، وآيات أخرى..

٣ ـ إن حديث مجيئه «صلى الله عليه وآله» بأبي بكر، وعمر وعثمان، وعلي وولدهم بالإضافة إلى أنه مما تكذِّبه الروايات المتواترة، قد جاء موافقاً لترتيب الخلافة.

واللافت: أن أحداً من أتباع الخلفاء ومحبيهم لم يذكر هذه الرواية ولا أشار إليها في سياق تشكيكاتهم بصحة أو بدلالة حديث المباهلة.. فكيف فاتهم ذلك، حتى انفرد به الإمام الصادق «عليه السلام» حسبما نسبه إليه ابن عساكر؟!

٤ ـ قد المحت بعض النصوص المتقدمة إلى أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخرج فاطمة «عليها السلام» دون سائر نسائه، حيث قالت: «وفاطمة تمشي خلف ظهره للملاعنة وله يومئذٍ عدة نسوة». أي أنه أخرجها دون نسائه رغم تعددهن، وذلك يدل على عدم صحة إضافة كلمتي: «وعائشة وحفصة» إلى

الجماعة التي أخرجها «صلى الله عليه وآله» إلى المباهلة.

البعض يفتئت ويناقش:

وقد حاول البعض التشكيك في حديث المباهلة، بأنحاء أخرى، فنقل عن أستاذه الشيخ محمد عبده: «أن الروايات متفقة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما. ويحملون كلمة «نساءنا» على فاطمة، وكلمة «أنفسنا» على علي فقط».

ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف، وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا، حتى راجت على كثير من أهل السنة.

ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فإن كلمة «نساءنا» لا يقولها العربي ويريد بها بنته، لا سيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم.

وأبعد من ذلك أن يراد بأنفسنا علي عليه الرضوان.

ثم إن وفد نجران الذين قالوا: إن الآية نزلت فيهم، لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم.

وكل ما يفهم من الآية أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو المحاجين والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب إلى الإجتماع رجالاً ونساءً، وأطفالاً، ويبتهلون إلى الله بأن يلعن هو الكاذب فيما يقول عن عيسى.

وهذا الطلب يدل على قوة يقين صاحبه، وثقته بما يقول. كما يدل امتناع من دعوا إلى ذلك من أهل الكتاب، سواء كانوا نصارى نجران أو غيرهم، على امترائهم في حجاجهم، ومماراتهم فيما يقولون، وزلزالهم فيما يعتقدون، وكونهم على غير بينة ولا يقين. وأنى لمن يؤمن بالله أن يرضى بأن

يجتمع مثل هذا الجمع من الناس المحقين والمبطلين في صعيد واحد، متوجهين إلى الله تعالى في طلب لعنه، وإبعاده من رحمته؟! وأي جراءة على الله، واستهزاء بقدرته وعظمته أقوى من هذا؟!

قال: أما كون النبي «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى «عليه السلام» فحسبنا في بيانه قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[1] فالعلم في هذه المسائل الإعتقادية لا يراد به إلا اليقين.

وفي قوله: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ..﴾[2] وجهان:

أحدهما: أن كل فريق يدعو الآخر، فأنتم تدعون أبناءنا، ونحن ندعو أبناءكم، وهكذا الباقي.

وثانيهما: أن كل فريق يدعو أهله، فنحن المسلمين ندعو أبناءنا ونساءنا وأنفسنا، وأنتم كذلك.

ولا إشكال في وجه من وجهي التوزيع في دعوة الأنفس، وإنما الإشكال فيه على قول الشيعة ومن شايعهم من القول بالتخصيص[3].

ونقول:

إن هذه المناقشات ظاهرة الوهن بينة السقوط، فلاحظ ما يلي:

أولاً: إن ما زعمه من أن مصادر هذا الحديث هم الشيعة غير صحيح، فإن هذا الحديث قد روي في صحاح أهل السنة ومجاميعهم الحديثية

---

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٣) المنار ج٣ ص٣٢٢ و ٣٢٣ وتفسير الميزان ج٣ ص٢٣٦.

والتفسيرية. ومن غير المعقول أن يكون الشيعة قد دسوا هذه الروايات في تلك المجاميع.. إذ إن ذلك يؤدي إلى سقوطها، ومنها صحيح مسلم والترمذي وتفسير الطبري، والدر المنثور، وسائر صحاح ومصادر أهل السنة عن الإعتبار..

كما أن ذلك لو صح، لأفسح المجال للقول: بأن الدس في كتب أهل السنة ميسور لكل أحد، وأن حصره في الشيعة لا وجه له، وتكون النتيجة هي: أن تصبح روايات أهل السنة كلها مسرحاً لتلاعب جميع الفئات، فتصبح موضع شك وريب، وتسقط بذلك عن الإعتبار..

وإن كان المقصود بالشيعة هو خصوص الصحابة والتابعين الذين رووا هذا الحديث فالأمر يصبح أشد خطورة، إذ هو يؤدي إلى نسبة جماعة من أئمة أهل السنة، ورواة حديثهم، وفقهائهم، إلى التشيع والشيعة، مع أنه لا يرتاب أحد في تسننهم، بل فيهم من هو من الأركان في التسنن..

ثانياً: بالنسبة لقوله عن الشيعة: «ويحملون كلمة نساءنا على فاطمة، وكلمة أنفسنا على علي فقط» نقول:

إن المقصود من التعبير بالنساء والأبناء هو: إيراد الكلام وفق ما يقتضيه طبعه العام، وإن كان مصداقه ينحصر في فرد واحد تماماً كما هو الحال في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[1]. إذ لا مصداق للمفهوم العام سوى علي بن أبي طالب «عليه السلام» في قضية تصدقه بالخاتم التي يعرفها كل أحد.

---

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

وكذلك الحال في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1]، التي لا يقصد بها سوى الأئمة الإثني عشر..

ومنه: آية التطهير التي قصد بها خصوص الخمسة أصحاب الكساء، مع أن كلمة أهل البيت يمكن أن تشمل العباس وأولاده أيضاً. ولكن الله أخرجهم منها. وبيّن أن المراد بالآية أشخاص بأعيانهم.

وكذلك الحال في قوله: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2]، مع أن المقصود بها خصوص أصحاب الكساء والأئمة الأثني عشر كما دلت عليه الروايات.

ومنه: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾[3] في حين أن إثبات بنات للنبي «صلى الله عليه وآله» غير الزهراء «عليها السلام» صعب المنال، فراجع كتابنا «بنات النبي أم ربائبه»، وكتاب: «القول الصائب في إثبات الربائب»..

ثالثاً: بالنسبة لقوله: «إن العربي لا يطلق كلمة نساءنا على بنت الرجل، لا سيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم» نقول:

ألف: إن الذين أوردوا هذه الروايات التي طبقت الآية على علي وفاطمة «عليهما السلام»، كانوا من العرب الأقحاح الذين عاشوا في عصر النبوة وبعده، وقد سجلها أئمة اللغة، وعلماء البلاغة في كتبهم ومجاميعهم، ولو كان

---

(١) الآية ٩٢ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

الأمر كما ذكره هذا الرجل لسجلوا تحفظهم على هذه الروايات أيضاً..

ب: إن إشكال هذا الرجل لو صح، فهو وارد على قوله هو على جميع الأحوال، فإنه يزعم: أن وفد نجران لم يكن معه نساءٌ ولا أولادٌ، فما معنى أن تقول الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ﴾؟!. فكيف يمكنه تطبيق الآية؟!.

ج: إن المقصود هو أن يُبْلِغَهم أنه يباهلهم بجميع الأصناف البشرية التي لها خصوصية اشتراك في العلم والأهلية، وهم النساء والأطفال والرجال، حتى لو لم يكن الجامعون للشرائط سوى فرد واحد من كل صنف، فهو كقول القائل: شرفونا وسنخدمكم نساءً ورجالاً وأطفالاً. أي أن جميع الأصناف سوف تشارك في خدمتهم، حتى لو شارك واحد أو اثنان من كل صنف.

رابعاً: زعم هذا القائل: أن ظاهر الآية هو أن المطلوب هو دعوة المحاجين والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب جميع نسائهم ورجالهم وأبنائهم، ويجمع النبي جميع أبناء ونساء ورجال المؤمنين، ثم يبتهلون. وهذا من طلب المحال. ويحق للنصارى أن يرفضوا هذا الطلب، وبذلك يثبت أن ثمة تعنتاً، وطلباً لما لا يكون. وهو يستبطن الإعتراف بصحة ما عليه النصارى..

وإن كان المقصود هو: نساء وأبناء الوفد، ونساء وأبناء النبي فيرد إشكال: إنه لم يكن مع الوفد نساء..

والجواب:

إن ما زعمه: من أنه لم يكن لدى الوفد أبناء ولا نساء، غير ظاهر المأخذ، فإن الناس كثيراً ما كانوا يسافرون ومعهم نساؤهم وأبناؤهم. وكان

النبي «صلى الله عليه وآله» يصطحب معه في حروبه إحدى زوجاته، وكان المشركون يأتون بنسائهم في حروبهم، كما كان الحال في بدر، وأحد.

أما في موضوع الوفود فلا يوجد فيها احتمال مواجهة أخطار، وتعرض لأذى وأسر وسبي، فالداعي إلى استصحاب النساء والأطفال، لا يواجهه أي مانع أو رادع..

خامساً: لقد زعم هذا القائل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى «عليه السلام». ونقول:

إن الآية تدل على يقين النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد دل فعل النبي «صلى الله عليه وآله» في المباهلة على أن الذين أخرجهم معه كانوا على يقين من ذلك أيضاً.

ودل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[1]. حيث إنهم جميعاً كانوا شركاء في الدعوى، وعلى يقين من صحتها.

وأما بالنسبة لسائر المؤمنين فلا شيء يثبت أنهم كانوا على يقين من ذلك، فلعل بعضهم كان خالي الذهن عن كثير من التفاصيل.

بل لقد صرح القرآن بأن الشكوك كانت تراود أكثرهم، فقال: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾[2].

سادساً: لا معنى لقوله: إن الآية قد تعني أن يفوض إلى النصارى دعوة الأبناء والنساء من المؤمنين، ويدعو المؤمنون أبناء ونساء النصارى في

---

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٠٦ من سورة يوسف.

المباهلة، إذ كيف يسلط النبي «صلى الله عليه وآله» النصارى على أبناء ونساء المؤمنين، ثم يطلب من النصارى أن يسلطوه على دعوة نسائهم وأبنائهم.. في حين أن المباهلة لا تحتاج إلى ذلك، بل يمكن أن يأتي كل فريق بمن أحب لكي يباهل الجماعة التي تأتي من قبل الفريق الآخر؟!.

سابعاً: بالنسبة لدعوة النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه نقول:

إن الشيعة لا يقولون بأن الآية تفرض ذلك، بل هم يقولون: إن المراد بقوله: وأنفسنا هو الرجال من أهل بيت الرسول «صلى الله عليه وآله»، الذين يكون حضورهم بمثابة حضور نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وهم إنما يحضرون بدعوة بعضهم بعضاً[1].

المباهلة بأعز الناس:

زعم بعضهم: أن آية المباهلة قد دلت على لزوم إحضار كل فريق أعز شيء عنده، وأحب الخلق إليه في المباهلة، والأعز والأحب هو الأبناء، والنساء، والأنفس (الأهل والخاصة).

ثم تقدم بعض آخر خطوة أخرى فزعم: أن إشراك أهل البيت في المباهلة أسلوب اتبعه النبي «صلى الله عليه وآله» للتأثير النفسي على الطرف الآخر ليوحي لهم بثقته بما يدَّعيه.

ونقول:

١ ـ إن هذا يؤدي إلى إبعاد قضية المباهلة عن أن تكون بمستوى الجدية

---

(١) راجع: تفسير الميزان ج٣ ص٢٤٢ و ٢٤٣.

الحقيقية، لتصبح أسلوب مناورة، يهدف للتأثير النفسي على الطرف الآخر، لينسحب من ساحة المواجهة.

٢ ـ إن اللافت هنا: أن هذا البعض قد نسب هذه المبادرة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، مع أن الآية قد صرحت: بأن الأمر للنبي «صلى الله عليه وآله» قد جاء من الله تبارك وتعالى، فهي تدبير إلهي، وقرار رباني.

٣ ـ إن كون هذا الأمر تدبيراً إلهياً يعطي: أن لهؤلاء الصفوة الذين أخرجهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» قيمة كبرى ومقاماً خاصاً عنده تبارك وتعالى، وليست القضية هي حب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لولده أو سبطه، أو لصهره الذي يوحي بأن سبب محبته ومعزته لهم هو الرابطة النسبية، وكونهم أبناءه ونساءه، وأهله «صلى الله عليه وآله»..

٤ ـ إننا لا نريد أن ننفي أن يكون في خروج هؤلاء إلى المباهلة دلالة على قيمتهم عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودلالة على معنى أن إشراك الحسنين والزهراء وعلي «عليهم السلام» في قضية لها مساس بحقيقة دين الإسلام، من حيث إن ما يراد إثباته، هو بشرية عيسى «عليه السلام»، ونفي الألوهية عنه يدل دلالة قاطعة على أن من يباهل النبي «صلى الله عليه وآله» بهم قد بلغوا في الفضل والكرامة والسؤدد حداً يصبح معه جعل الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» لهم في معرض الخطر، من أعظم الوثائق الدالة على صدق الرسول «صلى الله عليه وآله» فيما يدَّعيه من حيث إن التفريط بهم وهم أكرم الخلق عليه، والنموذج الأمثل للإنسان الإلهي في أسمى تجلياته يكون تفريطاً بكل شيء، حيث لا قيمة لشيء في هذا الوجود

بدونهم، وهو ما أشير إليه في الحديث الشريف[1].

وأنفسنا:

وزعم بعضهم: أن المراد بـ «أنفسنا» الرجال[2]، أي بقول مطلق، فتطبيق ذلك على علي «عليه السلام» لا لخصوصية فيه، بل لكونه رجلاً، وحسب.

وجوابه واضح:

فأولاً: روي عن علي «عليه السلام»، قوله يوم الشورى: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الرحم مني، ومن جعله نفسه، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه غيري؟!

قالوا: اللهم لا[3].

وعن الشعبي: أنه قال: أبناؤنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب[4].

---

(١) الكافي ج١ ص١٧٩ و ١٩٨ والغيبة للنعماني ص١٣٩ و ١٣٨ وبصائر الدجات ص٤٨٨ و ٤٨٩ وإكمال الدين للصدوق ص٢٣٣ وغيبة النعماني ص١٤٢ والبحار ج٢٣ ص٤٣ وتاريخ آل زرارة للزراري ص١٧٠.

(٢) راجع كلام الفضل بن روزبهان في دلائل الصدق ج٢ ص٨٣.

(٣) دلائل الصدق ج٢ ص٨٥ والبحار ج٣٥ ص٢٦٧ والغدير ج١ ص١٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٣٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص١١٦١ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٧٧.

(٤) دلائل الصدق ج٢ ص٨٥ والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ص٤٧ والبحار ج٣٥ ص٢٦٢ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص٦٨ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٤٦.

فإن ذلك كله يدل على أن المراد: هو خصوص شخص بعينه، لا مطلق الرجال..

مساواة علي عليه السلام للنبي ﷺ:

وقال العلامة الحلي «رحمه الله»: إن الله تعالى جعل علياً «عليه السلام» نفس محمد «صلى الله عليه وآله»، فساواه بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فأجاب الفضل بن روزبهان بأن دعوى المساواة خروج من الدين.

فرد عليه الشيخ محمد حسن المظفر: بأن المقصود هو: المساواة في الخصائص والكمال الذاتي عدا خاصة أوجبت نبوته، وميزّته عنه، وهو مفاد ما روي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله، ولا سألت الله شيئاً إلا أعطانيه، غير أنه قيل لي: إنه لا نبي بعدك[1].

ويدل عليه: ما روي مستفيضاً عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إن علياً

---

(١) دلائل الصدق ج٢ ص٨٢ و ٨٣ و ٨٥ والحديث الأخير نقله عن كنز العمال في فضائل علي «عليه السلام» عن ابن أبي عاصم، وابن جرير وصححه، وابن شاهين في السنة، والطبراني في الأوسط. والعقد النضيد للقمي ص٧٩ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٨٢ وأمالي المحاملي ص٢٠٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج٨ ص٤٧ ونظم درر السمطين للحنفي ص١١٩ وكنز العمال ج١٣ ص١٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣١١ وكشف الغمة للإربلي ج١ ص١٥٠ وراجع: كشف اليقين للحلي ص٢٨٣.

مني وأنا منه»[1].

فتدل الآية الشريفة على إمامة أمير المؤمنين «عليه السلام» لأن مساواته للنبي «صلى الله عليه وآله» في خصائصه عدا مزية النبوة تستوجب أن يكون مثله أولى بالمؤمنين من أ نفسهم، وأفضل من غيره بكل الجهات، وأن يمتنع صيرورته رعية ومأموراً لغيره كالنبي «صلى الله عليه وآله»»[2].

ونقل الرازي عن الشيخ محمود بن حسن الحمصي: أنه استدل بجعل علي «عليه السلام» نفس النبي «صلى الله عليه وآله» على كونه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد «صلى الله عليه وآله»، لأن النبي «صلى الله عليه

---

(١) دلائل الصدق ج٢ ص٨٥ والكافي ج٨ ص٣٢١ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٨٣ وأمالي الصدوق ص٢٦٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٤٤٩ وأمالي الطوسي ص١٣٤ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٢ ص٦٠ وج٣ ص١٤ والعمدة لابن البطريق ص١٩٨ و٢٠٣ والطرائف لابن طاووس ص٦٥ وذخائر العقبى للطبري ص٦٨ والبحار ج٢٠ ص١٠٨ وج٢٤ ص٢٦١ وج٣١ ص٦٥٥ وج٣٧ ص٢٢١ و٢٣٥ وج٣٨ ص٦٧ و٩٧ و١١٩ وج٣٩ ص٣٣٣ وج٥٦ ص٢٥٦ والغدير ج٣ ص٢١٥ ومسند احمد ج٤ ص٤٣٨ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٩٦ وفضائل الصحابة للنسائي ص١٥ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١١١ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٨ وعمدة القاري ج١٦ ص٢١٤ ومسند أبي داود الطيالسي ص١١١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٥ و١٢٦ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص٨٧ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج٦ ص١٦٢ والمعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص١٢٩ وتفسير فرات الكوفي ص٨١.

(٢) دلائل الصدق ج٢ ص٨٥ والصراط المستقيم لابن يونس العاملي ج٢ ص٢٦.

وآله» أفضل منهم، وعلي «عليه السلام» نفسه.

ثم رد الرازي على ذلك بقيام الإجماع على أن الأنبياء «عليهم السلام» أفضل من غيرهم.

وأجاب المظفر «رحمه الله»: بأن المجمع عليه هو تفضيل صنف من الأنبياء على صنف آخر منهم، وتفضيل كل نبي على جميع أمته، لا تفضيل كل شخص من الأنبياء على جميع من عداهم، حتى لو كان من أمم غيرهم.

فذلك نظير تفضيل صنف الرجال على صنف النساء، فإنه لا ينافي تفضيل امرأة بعينها على كثير من الرجال.

والقول بما قاله الحمصي قال به الشيعة قبل الحمصي..

سبب إثارة الشبهات:

وأخيراً.. فإننا لانجد مبرراً لكل تلك التمحلات البالية، والتوهمات والخيالات الخاوية سوى التخلص من شبح إثبات كرامة وفضيلة لأهل البيت «عليهم السلام»، وذلك بعد أن وجدوا: أن علماءهم مرغمون على الإقرار بهذا الأمر، والبخوع له، حتى لقد قال الزمخشري وغيره: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء»[1].

---

(١) راجع: الكشاف ج١ ص٣٧٠ والصواعق المحرقة ص١٥٣ عنه، وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٣٥١ والطرائف لابن طاووس ص٤٣ وكشف الغمة للإربلي ج١ ص٢٣٥ والصراط المستقيم لابن يونس العاملي ج١ ص٢٤٩ والبحار ج٢١ ص٢٨٢ وج٣٥ ص٦٠ وراجع: الإرشاد للمفيد ص٩٩ وتفسير الميزان ج٣ ص٢٣٨ وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج١ ص٢٩٤ وتفسير =

تناقضات الشعبي:

ويلاحظ هنا: أن الشعبي يقع في المتناقضات، فقد روى تارة: أن علياً «عليه السلام» هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ كما تقدم[1].

ولكنه في مورد آخر يروي قضية المباهلة ولا يذكر علياً «عليه السلام»، فتحيّر الراوي في ذلك، وعزاه إما إلى سقط في رواية الشعبي، أو لسوء رأي بني أمية في علي[2]. ولا ريب في أن الثاني هو الأصوب، حسبما عرفناه وألفناه من أفاعيلهم.

ونحن لا نستطيع في هذه العجالة أن نتعرض لجميع الجوانب التي لا بد من بحثها في حديث المباهلة، فإن ذلك يحتاج إلى تأليف مستقل، ولكننا نكتفي هنا بالإشارة إلى الأمور التالية:

الأمر الأول: النموذج الحي:

إن إخراج الحسنين «عليهما السلام» في قضية المباهلة لم يكن بالأمر العادي، أو الإتفاقي.. وإنما كان مرتبطاً بمعاني ومداليل هامة، ترتبط بنفس شخصية الحسنين «عليهما السلام»، فقد كانا صلوات الله وسلامه عليهما ذلك المصداق

= البحر المحيط لابي حيان الأندلسي ج٢ ص٥٠٣.

(١) دلائل الصدق ج٢ ص٨٥ والطرائف لابن طاووس ص٤٧ والبحار ج٢١ ص٣٤٩ وج٣٥ ص٢٦٢ وتفسير فرات الكوفي ص٨٧ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج٢ ص٣١١ وأسباب نزول الآيات الواحدي النيسابوري ص٦٨ وشواهد التنزيل ج١ ص١٥٩ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٤٦.

(٢) راجع: جامع البيان ج ٣ ص ٢١١ وفي (ط دار الفكر) ج٣ ص٤٠٤.

الحقيقي، والمثل الأعلى، والثمرة الفضلى التي يعنى الإسلام بالحفاظ عليها، وتقديمها على أنها النموذج الفذ لصناعته الخلاقة، والبالغة أعلى درجات النضج والكمال.. حتى إنه ليصبح مستعداً لتقديمها على أنها أعز وأغلى ما يمكن أن يقدمه في مقام التدليل على حقانيته وصدقه، بعد أن فشلت سائر الأدلة والبراهين ـ رغم وضوحها، وسطوع نورها، وقاطعيتها لكل عذر ـ في التخفيف من عنت أولئك الحاقدين، وصلفهم، وصدودهم عن الحق الأبلج..

فالنبي «صلى الله عليه وآله» حينما يكون على استعداد للتضحية بنفسه، وبهؤلاء، الذين هم القمة في النضج الرسالي، بالإضافة إلى أنهم أقرب الناس إلى الله، وهم النموذج الأعلى للتربية الإلهية، فإنه لا يمكن أن يكون كاذباً ـ والعياذ بالله ـ في دعواه.

كما لاحظه نفس رؤساء أولئك الذين جاؤوا ليباهلوه، وذلك لأن محبة النفس، ثم محبة الأقارب، وإن كانت قد تجعل الإنسان على استعداد للتفريط بكل شيء، قبل أن يفكر في التفريط بنفسه وبهم، إلا أن الأنبياء لا يفكرون بهذه الطريقة، وإنما يفكرون بما من شأنه حفظ الدين والرسالة، وهم لا يبخلون عليها بمال ولا بنفس ولا بولد حتى لو كان هذا الولد يملك من المزايا والفضائل والكمالات، ما لا يملكه أحد على وجه الأرض[1].

---

(١) ويرى المحقق العلامة الأحمدي «رحمه الله»: أن من الممكن أن يكون العباس قد اقتدى بالنبي «صلى الله عليه وآله»، حينما أخرج العباس الحسنين «عليهما السلام» للإستسقاء، ومنع عمر من الإلتحاق بهم، وقال له: لا تخلط بنا غيرنا ـ وذلك في قضية تبرك عمر بهم في حادثة الإستسقاء. راجع: تبرك الصحابة والتابعين ص٢٨٣ ـ ٢٨٧.

فإذا كان على استعداد للتضحية بنفسه، وبنوعيات كهذه ـ من أهل بيته ـ فإن ذلك يكون أدل دليل على صدقه، وعلى فنائه المطلق في هذا الدين، وعلى ثقته بما يدعو إليه ـ وليس هدفه هو الدنيا الفانية، وحطامها الزائل، لأنه يعلم أن أي ضرر يلحق به وبهؤلاء سوف يسقط محل هذه الدعوة التي جاء بها، لأنهم هم المحور والأساس لها..

وهذا بالذات هو ما حصل في قضية المباهلة، التي كان النزاع يدور فيها حول بشرية عيسى عليه الصلاة والسلام، وإبطال ما يقوله النصارى فيه، تمهيداً للتأكيد على صحة الإسلام، وأحقية ما جاء به النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله».

بل إن بعض الإخوة قد ذكر أن من المحتمل أن لا يريد النصراني في: «إذا باهلكم بأهل بيته فهو صادق» الإشارة إلى قاعدة عامة، وأن لكل نبي ـ أو كل من باهل ـ بأهل بيته فهو صادق، لأنهم أغلى ما عنده، ولا يمكنه التفريط بهم، بل يكون ذلك للإشارة إلى بعض المأثور عندهم في كتبهم من أن نبي آخر الزمان يباهلهم بأهل بيته الذين هم خير الناس وأفضلهم.

الأمر الثاني: التخطيط.. في خدمة الرسالة:

ولربما يتصور البعض: أن اعتبارنا هذا الوليد اليافع، وأخاه عليهما الصلاة والسلام ذلك المثل الأعلى، والنموذج الفذ لصناعة الإسلام وخلاقيته.. نابع عن متابعة غير مسؤولة للعواطف والأحاسيس المتأثرة بتعصب مذهبي، أثارته لجاجة الخصوم..

لكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، فإن ما ذكرناه نابع عن وعي عقائدي

سليم، فرضته الأدلة والبراهين، التي تؤكد ـ بشكل قاطع ـ على أن الأئمة الأطهار «عليهم السلام» كانوا حتى في حال طفولتهم في المستوى الرفيع الذي يؤهلهم لتحمل الأمانة الإلهية، وقيادة الأمة قيادة حكيمة وواعية، كما كان الحال بالنسبة لإمامنا الجواد والإمام الهادي عليهما الصلاة والسلام، وكذلك الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، حيث شاءت الإرادة الإلهية أن يتحملوا مسؤوليات الإمامة في السنين المبكرة من حياتهم. تماماً كما كان الحال بالنسبة لنبي الله عيسى «عليه السلام»، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فأشارَتْ إِلَيهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المَهدِ صَبِيّاً قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً..﴾ الآيات»[1].

وكما كان الحال بالنسبة لنبي الله يحيى عليه الصلاة والسلام، الذي قال الله سبحانه عنه: ﴿يَا يَحيىَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وآتَيناهُ الْحُكمَ صَبِياً﴾[2].

نعم.. لقد كان الحسنان «عليهما السلام» حتى في أيام طفولتهما الأولى في المستوى الرفيع من الكمال الإنساني، ويملكان كافة المؤهلات التي تجعلهما محلاً للعناية الإلهية، وأهلاً للأوسمة الكثيرة التي منحهما إياها الإسلام على لسان نبيه الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وتجعلهما قادرين على تحمل المسؤوليات الجسام، حتى يصح إشراكهما في الدعوى، وفي المباهلة لإثباتها.. حسبما أشار إليه العلامة الطباطبائي والمظفر رحمهما الله تعالى، على

---

(١) الآيتان ٢٩ و ٣٠ من سورة مريم.

(٢) الآية ١٢ من سورة مريم.

اعتبار أن قوله تعالى: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾[1] يراد منه: الكاذبون الذين هم في أحد طرفي المباهلة، وإذا كانت الدعوى، والمباهلة عليها هي بين شخص النبي «صلى الله عليه وآله»، وبين السيد والعاقب والأهتم، فكان يجب أن يأتي بلفظ صالح للإنطباق على المفرد والجمع معاً، كأن يقول: (فنجعل لعنة الله على الكاذب)، أو (على من كان كاذباً) مثلاً..

ولكن الآية أوردت صيغة الجمع، لتشير إلى وجود جماعة كاذبة، ولا بد من طلب إهلاكها.

وهذا يعطي: أن الحاضرين للمباهلة شركاء في الدعوى، فإن الكذب لا يكون إلا فيها.. وعليه.. فعليٌّ، وفاطمة، والحسنان «عليهم السلام» شركاء في الدعوى، وفي الدعوة إلى المباهلة لإثباتها. وهذا من أفضل المناقب التي خص الله بها أهل بيت نبيه[2].

وتقدم قول الزمخشري: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء».

وقال الطبرسي وغيره: «قال ابن أبي علان ـ وهو أحد أئمة المعتزلة ـ: هذا يدل على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

وقال أصحابنا: إن صغر السن ونقصانها عن حد البلوغ لا ينافي كمال

---

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) راجع: تفسير الميزان ج٣ ص٢٢٤ ودلائل الصدق ج٢ ص٨٤.

العقل، وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية»[1].

وقد كان سنهما في تلك الحال سناً لا يمتنع معها أن يكونا كاملي العقل.

على أن عندنا يجوز أن يخرق الله العادات للأئمة، ويخصهم بما لا يشاركهم فيه غيرهم، فلو صح أن كمال العقل غير معتاد في تلك السن، لجاز ذلك فيهم: إبانة لهم عمن سواهم، ودلالة على مكانهم من الله تعالى، واختصاصهم.

ومما يؤيده من الأخبار قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «ابناي هذان إمامان، قاما، أو قعدا»[2].

أضف إلى ما تقدم: أن مما يدل على ما ذكره الطباطبائي والمظفر وغيرهما: نزول سورة هل أتى، في أهل الكساء، ومنهم الحسنان «عليهما السلام»، وقد وعدهم الله تعالى جميعاً بالجنة.

---

(١) ومن الواضح: أنه قد لوحظ في ذلك عامة الناس وغالبهم.

(٢) مجمع البيان ج٢ ص٤٥٢ و ٤٥٣ وغنية النزوع للحلبي ص٢٩٩ والسرائر لابن إدريس ج٣ ص١٥٧ وجامع الخلاف والوفاق للقمي ص٤٠٤ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٠ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص٣٠٣ والمسائل الجارودية للمفيد ص٣٥ والنكت في مقدمات الأصول للمفيد ص٤٨ والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص١٤١ والبحار ج١٦ ص٣٠٧ وجوامع الجامع للطبرسي ج٣ ص٧٠ ومجمع البيان للطبرسي ج٢ ص٣١١ وإعلام الورى للطبرسي ج١ ص٤٠٧ وراجع: المناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٣٦٨. وكلام ابن أبي علان موجود في التبيان أيضاً ج٢ ص٤٨٥، وراجع الإرشاد للمفيد. وفي البحار للمجلسي بحث حول إيمان علي «عليه السلام»، وهو لم يبلغ الحلم.

ويؤيد ذلك أيضاً: إشراكهما «عليهما السلام» في بيعة الرضوان، ثم استشهاد الزهراء «عليها السلام» بهما في قضية نزاعها مع أبي بكر حول فدك[١]، إلى غير ذلك من أقوال ومواقف للنبي «صلى الله عليه وآله» منهما في المناسبات المختلفة..

كما أن ذلك كله ـ كان يتجه نحو إعداد الناس نفسياً ووجدانياً لقبول إمامة الأئمة «عليهم السلام»، حتى وهم صغار السن، كما كان الحال بالنسبة للأئمة: الجواد والهادي والمهدي «عليهم السلام».

الأمر الثالث: سياسات لا بد من مواجهتها:

هذا وقد كان ثمة سياسات ومفاهيم منحرفة، لا بد من مواجهتها، والوقوف في وجهها.. ونشير هنا إلى أمرين:

عنصر المرأة:

إن إخراج عنصر المرأة ممثلة بفاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، والتي تعتبر النموذج الفذ للمرأة المسلمة ـ في أمر ديني ومصيري كهذا. من شأنه أن يضرب ذلك المفهوم الجاهلي البغيض، الذي كان لا يرى للمرأة أية قيمة أو شأن يذكر، بل كانوا يرون فيها مصدر شقاء وبلاء، ومجلبة للعار، ومظنة للخيانة، وقد قدمنا بعض الكلام حول هذا الموضوع في بعض فصول هذا الكتاب؛ فلم يكن يتصور أحد أن يرى المرأة تشارك في مسألة حساسة وفاصلة، بل ومقدسة كهذه المسألة، فضلاً عن أن تعتبر

---

(١) ستأتي بعض المصادر لذلك إن شاء الله تعالى..

شريكة في الدعوى، وفي الدعوة لإثباتها ولو بمواجهة أعظم الأخطار.

ويرى البعض: أن إخراج الزهراء «عليها السلام» للمباهلة، دون سائر نسائه «صلى الله عليه وآله»، رغم أن الآية قد جاءت عامة، حيث عبرت بـ «نساءنا» ومع أن زوجاته «صلى الله عليه وآله» من أجلى مصاديق هذا التعبير ـ إن ذلك ـ له مغزى يشبه إلى حد كبير المغزى من إرسال أبي بكر بآيات سورة براءة، ثم عزله، استناداً إلى قول جبرئيل: لا يُبَلِّغُ عنك إلا أنت أو رجل منك!!.

وهكذا يقال بالنسبة للعموم في قوله: «وأنفسنا»، ولم يخرج سوى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وفي قوله: «وأبناءنا» ولم يخرج سوى الحسنين «عليهما السلام». انتهى.

ونقول:

إننا نلاحظ على ما ذكره هذا الأخ الكريم ما يلي:

أولاً: إن إطلاق كلامه حول النساء غير مقبول، فإن بعض نساء النبي «صلى الله عليه وآله» ـ كأم سلمة ـ لم يكنَّ ممن يستحقنّ التعريض بهن.. لأنها كانت من خيرة النساء، ومن فضلياتهنَّ.

إلا أن يقال: إن المقصود هو: أنه ليس أحد منهن أهلاً لأن يباهل النبي «صلى الله عليه وآله» به سوى فاطمة «عليها السلام»، لأنها وحدها المرأة التي بلغت أعلى درجات الكمال حتى استحقت أن تشارك الأنبياء والأوصياء في مثل هذه المهمات الكبرى..

وثانياً: إن هذا المحقق يريد: أن قوله: «نساءنا» لا يقصد به الزوجات، وإن كان قد أطلق في القرآن عليهن في بعض الموارد.

بل المقصود هو: المرأة المنسوبة إليه، وبنت الرجل تنسب إليه، ويطلق عليها: أنها من نسائه.

وعلى هذا نقول:

إن ما ذكره هنا يناقض ما ذكره هو نفسه في موضع آخر حيث قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخرج فاطمة «عليها السلام» للمباهلة بعنوان: «المرأة المسلمة من ذوات الأزواج، من أهل هذه الدعوة، لا باعتبار أنها من نساء النبي «صلى الله عليه وآله».

وإن كان كلامه هذا الأخير ليس في محله، كما ستأتي الإشارة إليه.

الحسنان أبناء النبي ﷺ:

إن إخراج الحسنين «عليهما السلام» إلى المباهلة بعنوان أنهما أبناء الرسول الأكرم، محمد «صلى الله عليه وآله»، مع أنهما ابنا ابنته الصديقة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها له دلالة هامة، ومغزى عميق كما سنرى..

لكننا قبل أن نشير إلى ذلك، وإلى مغزاه، لا بد من الإجابة على مناقشة طرحها بعض المحققين[1]، مفادها:

أن الآية لا تدل على أكثر من أن المطلوب هو إخراج أبناء أصحاب هذه الدعوة الجديدة، حيث قال: «أبناءنا»، ولم يقل «أبنائي». وليس في الآية ما يدل على لزوم إخراج ابني صاحب الدعوة نفسه، فكون الحسنين «عليهما السلام» ابنين لبعض أصحاب الدعوة كاف في الصدق.. انتهى.

---

(١) هو المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني «رحمه الله»..

ونقول:

١ ـ إن الإمام علياً «عليه السلام» قد استدل بهذه الآية يوم الشورى على أن الله سبحانه قد جعله نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وجعل ابنيه إبنيه، ونساءه نساءه..

واحتج بها أيضاً الإمام الكاظم «عليه السلام» على الرشيد.

واحتج بها أيضاً يحيى بن يعمر.

وكذلك سعيد بن جبير على الحجاج ـ كما سيأتي ـ فلم يكن استدلالهم بأمر تعبدي بحت، وإنما بظهور الآية، الذي لم يجد الخصم سبيلاً إلا التسليم به، والخضوع له..

٢ ـ لو كان المراد مطلق أبناء أصحاب الدعوة، لكان المقصود بأنفسنا مطلق الرجال الذين قبلوا بهذا الدين، وليس شخص النبي «صلى الله عليه وآله» فقط.. وعليه فقد كان الأنسب أن يقول: «ورجالنا ورجالكم» بدل قوله: «وأنفسنا».

أضف إلى ذلك: أن من غير المناسب أن يقصد من الأنفس شخص النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم يقصد من الأبناء والنساء أبناء ونساء رجال آخرين، إذ الظاهر: أن الأبناء والنساء هم لنفس من أرادهم بقوله: «وأنفسنا»، ولو كان المقصود بأنفسنا شخص النبي «صلى الله عليه وآله»، وبأبنائنا أبناء الآخرين، لكان من قبيل قولنا: «إن لم يكن ما أدعيه صحيحاً فليمتني الله، وليمت ابن فلان» مثلاً!!..

٣ ـ إن كلمات: «أنفسنا»، و «أبناءنا»، و «نساءنا» كلها جاءت بصيغة الجمع.. فلماذا اقتصر من الأنفس على اثنين، وكذلك من الأبناء، ومن

النساء، على واحدة؟! فإن ذلك إنما يدل على مزيد من الخصوصية لهؤلاء الذين أخرجهم بالذات..

ولو كان المقصود مجرد النموذج، فلماذا لم يكتف بواحد واحدٍ من الأنواع الثلاثة؟.

ولو كان المقصود تخصيص جماعة بشرف معين، للتعبير عن أنهم وحدهم هم الذين بلغوا الذروة في فنائهم بهذه الدعوة، التي يراد المباهلة من أجلها.

فيصح قولهم: إن هذه الآية تدل على فضيلة لا أعظم منها لأصحاب الكساء. ولا سيما بملاحظة ما تقدم عن العلامتين ـ الطباطبائي والمظفر ـ: من أن هؤلاء شركاء في الدعوى، وفي الدعوة للمباهلة لإثباتها.

وهكذا يتضح: أن دعوى أن الآية لا تدل على أكثر من الأمر بإخراج نموذج من أبناء من اعتنق هذه الدعوة لا يمكن القبول بها، ولا الاعتماد عليها بوجه.

عود على بدء:

كانت تلك هي المناقشة التي أحببنا الإشارة إليها، وكان ذلك هو بعض ما يمكن أن يقال في الإجابة عنها..

وبعد ذلك.. فإننا نشير إلى أن إخراج الحسنين «عليهما السلام» في المباهلة، يدل دلالة واضحة على أنهما ابنان للنبي «صلى الله عليه وآله»، مع أنهما ابنا ابنته، فلا مجال لإنكار ذلك، أو للتشكيك فيه، حتى إنهم ليعترفون صراحة بأن: في الآية دلالة على أن الحسن والحسين، وهما ابنا البنت يصح

أن يقال: إنهما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه وعد أن يدعو أبناءه، ثم جاء بهما»[1].

وظاهر الآية: أن كلمة الأبناء قد أريد بها المعنى الحقيقي، سواء بالنسبة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، أو بالنسبة إلى النصارى والكافرين.

وذلك له دلالات هامة، أشرنا إلى بعضها آنفاً، ونضيف هنا ما يلي:

أولاً: إن ذلك يسقط المفهوم الجاهلي البغيض، القائل: بأن أبناء الأبناء هم الأبناء في الحقيقة، دون بني البنات، الأمر الذي ينشأ عنه أن يتعرض جماعات من الناس لكثير من المشاكل النفسية، والمصاعب الإجتماعية، والإقتصادية، وغيرها. تلك المشاكل التي لا مبرر لها، ولا منطق يساعدها، إلا منطق الجاهلية الجهلاء، والعصبية العمياء..

ولكن مما يؤسف له هو: أن المروجين لهذه المفاهيم العمياء قد أصروا بعده «صلى الله عليه وآله» على الأخذ بها إلى حد أنها انعكست حتى على آرائهم الفقهية أيضاً، ومن ذلك جعلهم قوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي**

---

(١) تفسير الرازي ج٨ ص٨١ وفتح القدير ج١ ص٣٤٧ وتفسير النيسابوري (بهامش تفسير الطبري) ج٣ ص٢١٤ والتبيان ج٢ ص٤٨٥ عن أبي بكر الرازي (وهو غير الفخر الرازي)، ومجمع البيان ج٢ ص٤٥٢ والغدير ج٧ ص١٢٢ عنه، وعن الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٤ ص١٠٤ والسرائر لابن إدريس ج٣ ص٢٣٨ والكافي ج٨ ص٣١٧ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٥٨ والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص١٤٢ والبحار ج٤٣ ص٢٣٢ وج٩٣ ص٢٣٩ وتفسير القمي ج١ ص٢٠٩.

أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[1] مختصاً بعقب الأبناء، دون من عقبته البنات.

قال ابن كثير: «قالوا: إذا أعطى الرجل بنيه، أو وقف عليهم، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه، «أي دون بني بنته»، واحتجوا بقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا   بنوهن أبناء الرجال الأباعد[2]

«**وقال العيني**: هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر، والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث، وأن الإنتساب إلى الآباء، والفقهاء كذلك في الوصية، وأهل المعاني والبيان في التشبيه»[3].

ونقل القرطبي: أن الإمام مالك بن أنس هو الذي لا يدخل ولد البنات في الوقف الذي يكون على الولد، وولد الولد[4].

ومالك هذا هو الذي كان خلفاء بني العباس يعظمونه، وقد بلغ من اهتمامهم بأمره: أن أرادوا حمل الناس على العمل بالموطأ بالقوة[5].

وحينما أخذ المنصور أموال عبد الله بن الحسن، وباعها، وجعلها في بيت

---

(١) الآية ١١ من سورة النساء.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص١٥٥ والغدير ج٧ ص١٢١ عنه.

(٣) الغدير: ج ٧ ص ١٢٢ وخزانة الأدب ج ١ ص ٣٠٠ وفي (ط دار الكتب العلمية).

(٤) الغدير: ج ٧ ص ١٢٣ عن تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣١.

(٥) جامع بيان العلم ج ١ ص ١٦٠، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول ص ١٦٥، وأضواء على السنة المحمدية ص ٢٩٨ عن الانتقاء ص٤١ وعن الشافعي.

مال المدينة «أخذ مالك بن أنس الفقيه رزقه من ذلك المال بعينه اختياراً»[١].

كما أن المنصور كان إذا أراد أن يولي أحداً على المدينة يستشيره أولاً[٢].

كما أن محمد بن الحسن الشيباني يقول: إن من أوصى لولد فلان، وله ابن، وولد بنت «إن الوصية لولد الابن، دون ولد البنت»[٣].

نعم.. لقد ألغى الله سبحانه ذلك المفهوم الجاهلي البغيض بنص المباهلة، ولكن هؤلاء قد احتفظوا به، حتى حكَّموه في آرائهم الفقهية، وذلك انصياعاً للجو السياسي، وتنفيذاً لمآرب الحكام، الذين كانوا ـ سواء منهم الأمويون أو العباسيون ـ يحاولون تركيز هذا المفهوم وتثبيته، كما سنرى..

وثانياً: لقد كان لا بد من تفويت الفرصة على أولئك الحاقدين والمنحرفين، الذين سوف يستفيدون من ذلك المفهوم الجاهلي لمقاصد سياسية، فيما يتعلق بموضوع الإمامة والخلافة والزعامة بعد رسول «صلى الله عليه وآله»، وبالذات فيما يختص بشخص هؤلاء الذين أخرجهم عليه وآله الصلاة والسلام للمباهلة، وكرمهم في حديث الكساء، وآية التطهير، وغير ذلك مما لا مجال له هنا..

وذلك لأن الذين استأثروا بالأمر بعد النبي محمد «صلى الله عليه وآله» قد احتجوا في السقيفة بأنهم: أولياء النبي «صلى الله عليه وآله»، وعشيرته،

---

(١) أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ٨٨..

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول ص ٤٩٤ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ١٦٤و ١٦٥.

(٣) حقائق التأويل ص ١١٥.

وبأنهم عترة النبي، وبأنهم أمسُّ برسول الله «صلى الله عليه وآله» رحماً[1].

وجاء الأمويون أيضاً، واتّبعوا نفس الخط، وساروا على نفس الطريق، وكانت الخطط الجهنمية لهؤلاء وأولئك تتجه نحو تضعيف شأن أهل البيت «عليهم السلام»، وعزلهم عن الساحة، بل والقضاء عليهم وتصفيتهم بشكل نهائي: إعلامياً وسياسياً، وإجتماعياً، ونفسياً، بل وحتى جسدياً، أيضاً..

وكان رأس الحربة يتجه أولاً وبالذات إلى أولئك الذين طهرهم الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه، وأخرجهم نبيه الأكرم محمد «صلى الله عليه وآله» ليباهل بهم أهل الكفر، واللجاج والعناد.. حيث إن تصفية هؤلاء على النحو الذي قدمناه هي الأصعب، والأهم، وذلك بسبب ما سمعته الأمة من النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وبسبب ما عرفته من آيات قرآنية نزلت في حقهم وبيان فضلهم.. فضلاً عن كثير من المواقف التي لا يمكن تجاهلها أو على الأقل لا يمكن تشويهها، أو التعتيم عليها بيسرٍ وسهولة..

نعم.. لقد كان الأمويون يحاولون إظهار أنفسهم على أنهم هم دون غيرهم أهل بيت النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، وذوو قرباه.. وقد أثرت

---

(١) راجع: نهاية الإرب ج٨ ص١٦٨ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٢٣٣ والعقد الفريد ج٤ ص٢٥٨ وتاريخ الأمم والملوك للطبري (ط دار المعارف بمصر) ج٣ ص٢٢٠ والإمامة والسياسة (ط الحلبي بمصر) ج١ ص١٤ و ١٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٧ و ٨ و ٩ و ١١ والأدب في ظل التشيع ص٢٤ نقلاً عن البيان والتبيين للجاحظ، والإمام الحسين للعلايلي ص١٨٦ و١٩٠ والبحار ج٢٨ ص٣٣٥ وتاريخ الطبري ج٢ ص٤٥٧ والإمامة والسياسة لابن قتيبة (تحقيق الشيري) ج١ ص٢٤ والشافي للشريف المرتضى ج٣ ص١٨٧ وغيرهم.

جهودهم في تضليل كثير من الناس حتى ليحلف للسفاح عشرة من قواد أهل الشام، وأصحاب الرياسة فيها: أنهم ما كانوا يعرفون إلى أن قُتِل مروان أقرباء للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية[1].

كما أن أروى بنت عبد المطلب تُذكِّر معاوية بهذا الأمر، وتقول له: «ونبينا (صلى الله عليه وآله) هو المنصور، فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله الخ..»[2].

ويقول الكميت:

وقالوا: ورثناها، أبانا وأمنا ... ولا ورثتهم ذاك أم ولا أب

وقال إبراهيم بن المهاجر، الذي كان يسير في الإتجاه العباسي:

أيها الناس اسمعوا أخبركم ... عجباً زاد على كل عجب

عجباً من عبد شمس إنهم ... فتحوا للناس أبواب الكذب

ورثوا أحمد فيما زعموا ... دون عباس بن عبد المطلب

كذبوا والله ما نعلمه ... يحرز الميراث إلا من قرب[3]

---

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي ص٢٨ ومروج الذهب ج٣ ص٣٣ والفتوح لابن أعثم ج٨ ص١٩٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٧ ص١٥٩ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص١٥٩.

(٢) العقد الفريد ج٢ ص١٢٠ وراجع: الغدير ج١٠ ص١٦٧ والطرائف لابن طاووس ص٢٨ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٤٩.

(٣) مروج الذهب ج٣ ص٣٣ والنزاع والتخاصم ص٢٨.

هذا كله.. رغم أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخرج بني عبد شمس من قرباه، حينما قسَّم خمس بني النضير، أو خيبر، فاعترض عليه عثمان، وجبير بن مطعم، بأن: قرابة بني أمية وبني هاشم واحدة، فلم يقبل النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك منه. والقصة معروفة ومتواترة[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٠٩ و (ط دار المعرفة) ٤٧٦ و ٤٧٧ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٤١ عن أحمد، ونيل الأوطار ج٨ ص٢٢٨ عن أحمد، والبخاري، والنسائي، وابن ماجة، وأبي داود، والبرقاني. وسنن أبي داود ج٣ ص١٤٦ و ١٤٥ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٦١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٩٦ والإصابة ج١ ص٢٢٦ وبداية المجتهد ج١ ص٤٠٢ والخراج لأبي يوسف ص٢١ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٠ عن البخاري، ومسند أحمد ج٤ ص٨٥ و٨٣ و٨١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٢٨٤ وتشييد المطاعن ج٢ ص٨١٨ و٨١٩ عن زاد المعاد، وسنن البيهقي ـ بأسانيد ـ ج٦ ص٣٤٠ و٣٤١ و٣٤٢ والدر المنثور ج٣ ص١٨٦ عن ابن أبي شيبة، والبحر الرائق ج٥ ص٩٨ وتبيين الحقائق ج٣ ص٢٥٧ ونصب الراية ج٣ ص٤٢٥ و٤٢٦ عن كثيرين جداً، فليراجع. ومصابيح السنة ج٢ ص٧٠ والبخاري (ط سنة ١٣١١ هـ) ج٤ ص١١١ وج٦ ص١٧٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣١٢ وفتح القدير ج٢ ص٣١٠ وتفسير الخازن ج٢ ص١٨٥ والنسفي (بهامشه) ج٢ ص١٨٦ وتفسير جامع البيان للطبري ج١٠ ص٥ والكشاف ج٢ ص٢٢١ وسنن النسائي ج٧ ص١٣٠ و١٣١ ومقدمة مرآة العقول ج١ ص١١٨ ونقل ذلك بعض المحققين عن المصادر التالية: الأموال لأبي عبيد ص٤٦١ و٤٦٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٧ ص١٢ وفتح الباري ج٧ ص١٧٤ وج٦ ص١٥٠ وتفسير المنار ج١٠ ص٧ وترتيب مسند الشافعي ج٢ ص١٢٥ و١٢٦ وإرشاد الساري ج٥ ص٢٠٢ والمحلى ج٧ ص٣٢٨.

وبعد هذا.. فإن العباسيين قد اتّبعوا نفس هذا الأسلوب أيضاً، فأظهروا أنفسهم على أنهم هم ذوو قربى النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، بهدف إضفاء صفة الشرعية على حكمهم وسلطانهم، حتى لنجد الرشيد يأتي إلى قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن عم، فيتقدم الإمام الكاظم «عليه السلام» إلى القبر الشريف ويقول: السلام عليك يا أبه، فتغير وجه الرشيد، وتبين الغيظ فيه[1].

هذا.. وقد ربط العباسيون دعوتهم وحبل وصايتهم في البداية بأمير المؤمنين «عليه السلام»، ونجحوا في الإستفادة من عواطف الناس تجاه ما تعرض له العلويون وأهل البيت «عليهم السلام» من ظلم، واضطهاد، وآلام، على يد أسلافهم الأمويين..

ولكنهم بعد ذلك رأوا: أنهم في مجال التمكين لأنفسهم لا يسعهم الإستمرار بربط دعوتهم بأمير المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام، لوجود من هم أمسّ بعلي «عليه السلام» رحماً منهم، فاتجهوا نحو التلاعب ببعض

---

(١) كشف الغمة ج٣ ص٢٠ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٢٣٤ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص٣٦ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٦٦ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص١٦٧ والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٤٣٤ والبحار ج٢٥ ص٢٤٣ وج٤٨ ص١٣٦ وج٩٣ ص٢٣٩ وتاريخ بغداد ج١٣ ص٣٢ وتهذيب الكمال ج٢٩ ص٥٠ وسير أعلام النبلاء ج٦ ص٢٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١٢ ص٤١٨ وإعلام الورى للطبرسي ج٢ ص٢٨ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص٦٥٤ وكشف الغمة للإربلي ج٣ ص٢٢.

الركائز والمنطلقات الفكرية والعقائدية للناس، فأسس المهدي ـ والظاهر أن هذه هي فكرة أبيه المنصور من قبل ـ فرقة تَدَّعي: أن الإمام بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو العباس بن عبد المطلب، ثم ولده عبد الله، ثم ولده.. وهكذا.. إلى أن ينتهي الأمر إلى العباسيين.

ولكنهم أجازوا بيعة علي «عليه السلام»، لأن العباس نفسه كان قد أجازها.. وادَّعوا: أن الإرث للعم دون البنت، ولذلك فإن حق الخلافة لا يصل إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»، عن طريق فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

واهتموا في إظهار هذا الأمر وتثبيته كثيراً، حتى قال شاعرهم:

أنــى يكــون وليـس ذاك بكـائن   لـبـنـي البنــات وراثـة الأعمــام

فنال على هذا البيت مالاً عظيماً.

وهذا موضوع واسع ومتشعب، وقد تحدثنا عنه وأوردنا له بعض الشواهد في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام»» ص٧٨ ـ ٨١ فليراجعه من أراد.

الخطة.. ومواجهتها:

ولكن هذا الخط السياسي، وإن حظي بكثير من الدعم والإصرار من قبل الحكام، وكل أعوانهم.. وقد جندوا كل طاقاتهم المعنوية والمادية من أجل تأكيده وتثبيته.. إلا أنه قد كان ثمة عقبة كؤود تواجههم، وتعترض سبيل نجاحهم في تشويه الحقيقة، وتزوير التاريخ، وهي وجود أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الذين يملكون أقوى الحجج، وأعظم

الدلائل والشواهد من القرآن، ومن الحديث المتواتر، ومن المواقف النبوية المتضافرة، التي يعرفها ورآها وسمعها عدد هائل من صحابة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وسمعها منهم التابعون، ثم من بعدهم..

وكان من جملة تلك الحجج الدامغة «آية المباهلة» بالذات.. وكم رأينا من مواقف للأمويين وللعباسيين على حد سواء يصرون فيها على نفي بنوة الحسنين «عليهما السلام» له «صلى الله عليه وآله».. فكانت تواجه من قبل أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، والمنصفين من غيرهم بالإحتجاجات القوية والفاصلة.. الأمر الذي جعل «السحر ينقلب على الساحر»..

وسرعان ما أدركوا: أن أسلوب الحجاج والمنطق، من شأنه أن يظهر الحق الذي يجهدون في إخفائه، وتشويهه.. فكانوا يعملون على عزل الأئمة وشيعتهم عن الساحة، وإبعادهم عن الأنظار، عن طريق الإرهاب والإضطهاد والتنكيل، حتى إذا وجدوا أن ذلك لا يجدي، تصدوا لتصفيتهم جسدياً.. بالسم تارة، وبالسيف أخرى..

أمثلة تاريخية هامة:

ونستطيع أن نذكر هنا بعض ما يتضمن محاولتهم نفي بنوة الحسنين «عليهما السلام» له «صلى الله عليه وآله»، واحتجاجات الأئمة وغيرهم عليهم في ذلك.. وبعضه يتضمن الإستدلال بآية المباهلة.. وذلك في ضمن النقاط التالية:

١ ـ عن ذكوان، مولى معاوية، قال: «قال معاوية: لا أعلمنَّ أحداً

سمى هذين الغلامين[1] ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولكن قولوا: ابني علي «عليه السلام».

قال ذكوان: فلما كان بعد ذلك، أمرني أن أكتب بنيه في الشرف.

قال: فكتبت بنيه وبني بنيه، وتركت بني بناته.. ثم أتيته بالكتاب، فنظر فيه، فقال: ويحك، لقد أغفلت كُبر بنيّ!

فقلت: من؟

فقال: أما بنو فلانة ـ لابنته ـ بَنيَّ؟. أما بنو فلانة ـ لابنته ـ بنيّ؟.

قال: قلت: الله!! أيكون بنو بناتك بنيك، ولا يكون بنو فاطمة بني رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال: ما لك؟ قاتلك الله! لا يسمعنَّ هذا أحد منك؟!..»[2].

٢ ـ جاء عن الإمام الحسن «عليهما السلام» محتجاً على معاوية قوله: «فأخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء فاطمة أمي، من الناس جميعاً، فنحن أهله، ولحمه ودمه، ونفسه، ونحن منه وهو منا»[3].

٣ ـ قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ

---

(١) الغلام: الكهل. والطار الشارب، فهو من الأضداد، راجع: أقرب الموارد ج٢ ص٤٨٤، والبحار ج٣٣ ص٢٥٨ وكشف الغمة للإربلي ج٢ ص١٧٢.

(٢) كشف الغمة للأربلي ج٢ ص١٧٦ والبحار ج٣٣ ص٢٥٨.

(٣) ينابيع المودة ص٤٧٩ عن الزرندي المدني، وص٤٨٢ و٥٢ وتفسير البرهان ج٢ ص٢٨٦ وأمالي الطوسي ج٢ ص١٧٢ وفي (ط دار الثقافة قم) ص٥٦٤ والبحار ج١٠ ص١٤١ وج٦٩ ص١٥٤ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٨٦.

وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ..﴾ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾[1] ـ بعد أن ذكر دلالة الآية على بنوة الحسنين «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله» ـ قال ـ: «ويقال: إن أبا جعفر الباقر استدل بهذه الآية عند الحجاج بن يوسف»[2].

٤ ـ إحتج أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يوم الشورى على المجتمعين، بأن الله، تعالى جعله نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وجعل ابنيه ابنيه، ونساءه نساءه[3].

٥ ـ عن الشعبي، قال: كنت عند الحجاج، فأُتِيَ بيحيى بن يعمر، فقيه خراسان، من بلخ، مكبلاً بالحديد فقال له الحجاج: أنت زعمت: أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

فقال: بلى.

فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله (!!)، أو لأقطعنَّك عضواً عضواً.

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله يا حجاج.

قال: فتعجبت من جرأته بقوله: يا حجاج.

---

(١) الآيتان ٨٤ و ٨٥ من سورة الأنعام.

(٢) تفسير الرازي ج١٣ ص٦٦ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٢٤١ عنه.

(٣) ينابيع المودة ص٢٦٦ عن الدارقطني، والصواعق المحرقة ص١٥٤ وفضائل الخمسة ج١ ص٢٥٠ وحياة أمير المؤمنين «عليه السلام» للسيد محمد صادق الصدر ص٢٠٥ عن الصواعق، والبحار ج٣٥ ص٢٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٣٢ وكشف الغمة للإربلي ج١ ص٣٨٥ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٧٧.

فقال له: ولا تأتني بهذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾.

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله، وهو قوله: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ..﴾ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾[1]. فمن كان أبو عيسى، وقد ألحق بذرية نوح؟!.

قال: فأطرق الحجاج ملياً، ثم رفع رأسه فقال: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله حلُّوا وثاقه الخ..»[2].

وفي نور القبس: أنَّ الحجاج طلب منه أن لا يعود لذكر ذلك، ونشره.

٦ ـ لسعيد بن جبير قصة مع الحجاج شبيهة بقصة يحيى بن يعمر، فلا نطيل بذكرها[3].

٧ ـ سأل هارون الرشيد الإمام الكاظم «عليه السلام»، فقال له: كيف قلتم: إنَّا ذرية النبي، والنبي لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأنثى، وأنتم ولد البنت، ولا يكون له عقب؟

فسأله «عليه السلام» أن يعفيه، فلم يقبل، فاحتج «عليه السلام» بأن

---

(١) الآيتان ٨٤ و٨٥ من سورة الأنعام.

(٢) تفسير الرازي ج٢ ص١٩٤ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٦٤ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص٢٤٧ و ٢٤٨ والدر المنثور ج٣ ص٢٨ عن ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم، والبيهقي، والغدير ج٧ ص١٢٣ عن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص١٥٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٨٩، وراجع: العقد الفريد ج٥ ص٢٠ ونور القبس ص٢١ و ٢٢ والكنى والألقاب ج١ ص١٢.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٨٩ و٩٠ والبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٢٩ والخصائص الفاطمية للكجوري ج٢ ص٥٥٨.

القرآن قد اعتبر عيسى من ذرية إبراهيم في آية سورة الأنعام، مع أنه ينتسب إليه عن طريق الأم. ثم احتج عليه بآية المباهلة، حيث قال الله تعالى فيها: ﴿أَبْنَاءنَا﴾[1].

٨ ـ إن عمرو بن العاص أرسل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» يعيبه بأشياء، منها: أنه يسمي حسناً وحسيناً ولَدَيْ رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال لرسوله: «قُلْ للشانيء ابن الشانيء: لو لم يكونا ولديه لكان أبتر، كما زعم أبوك»[2].

٩ ـ قال الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كربلاء: «اللهم إنَّا أهل بيت نبيك، وذريته وقرابته، فاقصم من ظلمنا، وغصبنا حقنا، إنك سميع قريب».

فقال محمد بن الأشعث: أي قرابة بينك وبين محمد؟!.

فقال الحسين «عليه السلام»: «اللهم إن محمد بن الأشعث يقول: ليس بيني وبين محمد قرابة، اللهم أرني فيه في هذا اليوم ذلاً عاجلاً، فاستجاب الله دعاءه الخ..»[3].

---

(١) نور الأبصار ص١٤٨و ١٤٩ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٨٤ و ٨٥ تفسير نور الثقلين ج١ ص٢٨٩ و ٢٩٠ وتفسير الميزان ج٣ ص٢٣٠ وتفسير البرهان ج١ ص٢٨٩ وذخيرة المعاد (ط.ق) للسبزواري ج١ ق٣ ص٤٨٧ وجواهر الكلام ج١٦ ص٩٥ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج٢ ص٨٠ والإحتجاج ج٢ ص١٦٤ والبحار ج٤٨ ص١٢٨ وج٩٣ ص٢٤٠.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٣٣٤.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٤٩ ومقتل الحسين للمقرم ص ٢٧٨ عنه، والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٢١٥ والبحار ج٤٥ ص٣٠٢.

١٠ ـ وقد أوضح الباقر «عليه السلام» لنا: أنه قد كانت سياسات الآخرين تقضي بنفي بنوة الحسنين «عليهما السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»، فراجع ما قاله «عليه السلام» في ذلك[1].

هذا ولهم «عليهم السلام» احتجاجات أخرى بآية المباهلة على خلافة أمير المؤمنين، وعلى أفضليته «عليه السلام»، وغير ذلك، لا مجال لذكرها هنا[2].

مفارقة:

وبعد أن اتضح: أن السياسة الأموية كانت تقضي بأن يستبعد اسم علي «عليه السلام» من جملة من باهل بهم النبي «صلى الله عليه وآله» ثم الإصرار على نفي بنوة الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

فإننا نجدهم يصرون على خؤولة معاوية للمؤمنين، ويجعلون ذلك ذريعة للإنكار على من ذكر معاوية بسوء، ولكنهم إذا ذكر محمد بن أبي بكر

---

(١) راجع: تفسير القمي ج١ ص٢٠٩ والحدائق الناضرة للبحراني ج١٢ ص٣٩٨ وج٢٢ ص٢٤٤ وجواهر الكلام ج١٦ ص٩٣ والكافي ج٨ ص٣١٧ والبحار ج٤٣ ص٢٣٢ وج٩٣ ص٢٣٩ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٣٤٨ وتفسير الميزان ج٧ ص٢٦٣ والعدد القوية للحلي ص٤٠.

(٢) لا بأس بمراجعة البحار ج٣٥ ص٢٥٧ وج٤٩ ص١٨٨ وتفسير الميزان ج٢ ص٢٣٠ و٣٢٩ وتفسير البرهان ج١ ص٢٨٦ و ٢٨٧ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص٣٨ وغير ذلك.

بسوء رضوا أو أمسكوا، ومالوا مع ذاكره، وخؤولته ـ حسب منطقهم ـ ظاهرة بائنة.

وقد نفرت قلوبهم من علي بن أبي طالب «عليه السلام»، لأنه حارب معاوية وقاتله، وسكنت قلوبهم عند قتل عمار ومحمد بن أبي بكر، وله حرمة الخؤولة، وهو أفضل من معاوية، وأبوه خير من أبي معاوية، وما ذلك إلا خديعة أو جهالة، وإلا فلماذا لا يستنكرون قتل محمد بن أبي بكر ولا يذكرون خؤولته للمؤمنين؟![1].

من مواقف الإمام الحسن عليه السلام:

نعم.. ولم يقتصر الأئمة في تصديهم للمغرضين والحاقدين، والوقوف في وجه سياساتهم تلك بحزم وصلابة ـ على مواقف الحِجَاج هذه، بل تعدَّوا ذلك إلى المناسبات الأخرى، واستمروا يعلنون بهذا الأمر على الملأ، ويؤكدون عليه في كثير من المناسبات والمواقف الحساسة، وكشفوا زيف تلك الدعاوى بشكل لا يدع مجالاً لأي شك أو ريب..

وقد صدع الإمام الحسن «عليه السلام» بهذا الأمر أيضاً في أكثر من مناسبة، وأكثر من موقف..

ولم يكن يكتفي بإظهار وإثبات بنوَّته لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وحسب.. وإنما كان يهتم بالتأكيد على أن حق الإمامة والخلافة له وحده، ولا تصل النوبة إلى معاوية وأضرابه، لأن معاوية ليس فقط يفقد

---

(١) مقتبس من كتاب: المعيار والموازنة ص٢١.

المواصفات الضرورية لهذا الأمر، وإنما هو يتصف بالصفات التي تنافيها وتنقضها بصورة أساسية.. وكمثالٍ على كل ذلك نذكر:

١ ـ أنه «عليه السلام» يخطب فور وفاة أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيقول: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي»[1].

لاحظ كلمة: «الوصي» في هذه العبارة الأخيرة.

وفي نصٍ آخر أنه قال: «فأنا الحسن بن محمد (صلى الله عليه وآله)»[2].

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٧٢ وذخائر العقبى ص١٣٨ عن الدولابي، وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص١٧٣ عن الجنابذي على ما يظهر، ومسائل علي بن جعفر ص٣٢٩ وأمالي الصدوق ص٢٤٤ وتحف العقول ص٢٣٢ ومقاتل الطالبيين ص٣٣ وأمالي الطوسي ص٢٧٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص١٧٨ وذخائر العقبى للطبري ص١٣٨ و١٤٠ والبحار ج٢٥ ص٢١٤ وج٤٣ ص٣٣١ و٣٥٥ وج٤٤ ص٤١.

(٢) راجع: الفصول المهمة للمالكي ص١٤٦ وتفسير فرات ص٧٠ و ٧٢ وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص١٥٩ وينابيع المودة ص٢٢٥ و ٣٠٢ و ٢٧٠ و ٤٧٩ و ٤٨٢ عن أبي سعد في شرف النبوة، والطبراني في الكبير، والبزار، والزرندي المدني، وغيرهم، وإرشاد المفيد ص٢٠٧ وفرائد السمطين ج٢ ص١٢٠ ومستدرك الحكام ج٣ ص١٧٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص٤٦ وحياة الصحابة ج٣ ص٥٢٦ وذخائر العقبى ص١٣٨ و١٤٠ وعن الدولابي في الذرية الطاهرة، ونزهة المجالس ج٢ ص١٨٦ والمحاسن والمساوي ج١ ص١٣٢ و١٣٣ والمناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص١١ و١٢ والإحتجاج ج١ ص٤١٩ والبحار ج٤٤ وأمالي الشيخ الطوسي ج١ ص١٢ وإعلام الورى ص٢٠٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٦ ص٣٠.

وقال حينئذٍ أيضاً: «أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله طاعتهم في كتابه الخ..».

ثم قام ابن عباس، فقال: «هذا ابن بنت نبيكم، ووصي إمامكم فبايعوه»[1].

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» قال حينئذٍ أيضاً: «وعنده نحتسب عزاءنا في خير الآباء رسول الله الخ..»[2].

٢ ـ وفي مناسبة أخرى في الشام، طلب منه معاوية ـ بمشورة عمرو بن العاص ـ أن يصعد المنبر، ويخطب ـ رجاء أن يحصر ـ فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم أورد خطبة هامة، تضمنت ما تقدم، وسواه الشيء الكثير، قال الراوي: «ولم يزل به حتى أظلمت الدنيا على معاوية، وعرف الحسن من لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم، ثم نزل.

فقال له معاوية: أما إنك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة، ولست هناك!

فقال الحسن «عليه السلام»: أما الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمل بطاعة الله عز وجل. وليس الخليفة من سار بالجور، وعطل السنن، واتخذ الدنيا أماً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولاً، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكاً، فتمتع منه قليلاً، كَأَنْ قد انقطع عنه..»

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧١٧ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٨ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) للحلي ص١٤٥ والبحار ج٤٣ ص٣٦٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٠٧ وكشف الغمة للإربلي ج٢ ص١٥٦ و١٦١.

(٢) البحار ج ٤٣ ص ٣٦٣ وكفاية الأثر للقمي ص١٦١.

إلى آخر كلامه عليه السلام [١].

ونفس هذه القضية تذكر له مع معاوية، حينما جرى الصلح بينهما في الكوفة [٢].

وهذا يؤيد ما ذكره البعض: من أن معاوية قد دس السم الى الإمام الحسن «عليه السلام»، لأنه كان يقدم عليه إلى الشام [٣].

٣ ـ وفي نص آخر: أن معاوية طلب من الإمام الحسن «عليه السلام»: أن يصعد على المنبر، ويخطب.. فصعد المنبر وخطب، وصار يقول: أنا ابن، أنا ابن.. إلى أن قال: «لو طلبتم ابناً لنبيكم ما بين لابتيها لم تجدوا غيري وغير أخي» [٤]. ومن أراد الرواية بطولها فليراجع المصادر.

٤ ـ وفي نص آخر: أن معاوية طلب منه: أن يصعد المنبر وينتسب،

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٤١٩ والخرائج والجرائح ص٢١٨ ومقاتل الطالبيين ص٤٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٦ ص٤٩ والكلام الأخير موجود أيضاً في مصادر أخرى فراجع الهامش التالي.

(٢) ذخائر العقبى ص١٤٠ عن أبي سعد، وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٢٦ لكن فيه: أن ذلك كان بالمدينة، والبحار ج٤٤ ص١٢٢ والمحاسن والمساوي ج١ ص١٣٣ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٦ ص٤٩ ومقاتل الطالبيين ص٧٣ والإمام الحسن لآل يس ص١١٠ ـ ١١٤ وتحف العقول ص١٦٤.

(٣) الغدير ج١١ ص٨ عن طبقات ابن سعد.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص١٢ عن العقد الفريد والمدائني والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص١٧٨ وليراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٢٦ والبحار ج١٠ ص١٤٣ وج٤٣ ص٣٥٥ و ٣٥٦ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص١٧٢ والإحتجاج ج١ ص٤٢٠ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٨٨.

فصعد، وصار يقول: بلدتي مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفا، وانا ابن النبي المصطفى..

إلى أن قال: فأذن المؤذن، فقال: أشهد أن محمداً رسول الله، فالتفت إلى معاوية، فقال: أمحمد أبي؟ أم أبوك؟! فإن قلت: ليس بأبي، كفرت، وإن قلت: نعم، فقد أقررت..

ثم قال: أصبحت العجم تعرف حق العرب بأنَّ محمداً منها، يطلبون حقنا، ولا يردون إلينا حقنا»[1].

٥ ـ وفي مناسبة أخرى، طلب منه معاوية أن يخطب ويعظهم، فخطب وصار يقول: أنا ابن رسول الله، أنا ابن صاحب الفضايل، أنا ابن صاحب المعجزات والدلايل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقي.. إلى أن قال: أنا إمام خلق الله، وابن محمد رسول الله، فخشي معاوية أن يتكلم بما يفتن به الناس، فقال: إنزل، فقد كفى ما جرى، فنزل»[2].

٦ ـ بل لقد رأينا معاوية يعترف له بهذا الأمر، فيقول له مرة في كلام له: «ولا سيما أنت يا أبا محمد، فإنك ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيد شباب أهل الجنة»[3].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص١٢ وفي (ط مطبعة الحيدرية النجف) ج٣ ص١٧٨ والبحار ج٤٣ ص٣٥٦ وراجع ج٤٤ ص١٢١ و١٢٢ وتحف العقول ص٢٣٢ والخرايج والجرايح ص٢١٧ و٢١٨.

(٢) أمالي الصدوق ص١٥٨ والخرائج والجرائح للراوندي ج١ ص٢٣٧ والبحار ج٤٣ ص٣٣٢ وج٤٤ ص٨٩.

(٣) المحاسن والمساوي ج١ ص١٢٢.

ويدخل في هذا المجال أيضاً: قول الإمام الحسن «عليه السلام» لأبي بكر، وقول الإمام الحسين «عليه السلام» لعمر: انزل عن منبر أبي، حسبما سيأتي، إن كان المقصود بأبي: هو النبي «صلى الله عليه وآله»، كما يظهر من اعترافهما لهما. وإن كان المقصود به أباهما أمير المؤمنين ـ كما احتمله بعض المحققين[1]ـ فيدخل في مجال احتجاجاتهما «عليهما السلام» على أحقيتهم بالأمر، دون كل أحد سواهم.. ويكونان قد انتزعا منهما اعترافاً صريحاً وهاماً في هذا المجال.

والإمام الحسين عليه السلام أيضاً:

وبعد ذلك، فإنا نجد الإمام الحسين «عليه السلام» يخطب الناس، ويقول: «أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد «صلى الله عليه وآله»، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته، تريدون قتلهم..

إلى أن قال: ألست أنا ابن بنت نبيكم، وابن وصيه، وابن عمه»[2].

ويقول في موضع آخر، حينما اشتد به الحال: «ونحن عترة نبيك، وولد نبيك، محمد «صلى الله عليه وآله»، الذي اصطفيته بالرسالة الخ..»[3].

---

(١) هو المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني «رحمه الله».

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص٢٧٤ عن مقتل محمد بن أبي طالب الحايري والبحار ج٤٥ ص٦.

(٣) المصدر السابق عن الإقبال، ومصباح المتهجد، وعنهما في مزار البحار ص١٠٧ باب زيارته يوم ولادته، ومصباح المتهجد للطوسي ص٨٢٧ والمزار للمشهدي ص٣٩٩ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٣ ص٣٠٤ والبحار ج٩٨ ص٣٤٨.

ويقول في وصف جيش يزيد، في يوم عاشوراء: «فإنما أنتم طواغيت الأمة.

إلى أن قال: وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء»[1].

وقد اعترفوا له بذلك حينما ناشدهم، فقال: أنشدكم الله، هل تعرفوني؟

قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه»[2].

الإمام السجاد ابن رسول الله ﷺ:

وللإمام السجاد «عليه السلام» موقف هام في الشام، حينما ألقى خطبته الرائعة، فقال: «أيها الناس، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا..

إلى أن قال: أنا ابن من حُمِلَ على البراق، وبلغ به جبرئيل سدرة المنتهى..».

إلى آخر الخطبة التي كان من نتيجتها: أن «ضجَّ الناس بالبكاء، وخشي يزيد الفتنة، فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة».. ولكنه «عليه السلام» تابع خطبته، واحتجاجاته الدامغة على يزيد، وتفرق الناس، ولم ينتظم لهم صلاة في ذلك اليوم[3].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٧ والبحار ج٤٥ ص٨ وراجع: مقتل الحسين للمقرم ص٢٨٢ للإطلاع على مصادر أخرى.

(٢) أمالي الصدوق ص١٤٠ واللهوف لابن طاووس ص٥٢.

(٣) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٦٩ و ٧٠ ومقتل الحسين للمقرم ص٤٤٢ و ٤٤٣ عنه، وعن نفس المهموم ص٢٤٢.

خطبة زينب وسواها:

وبعد ذلك.. فإننا نجد العقيلة زينب تقف في وجه يزيد لتقول له: «أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله سبايا؟..».

وفيها: «واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله»..».

إلى أن قالت: «ولتردنَّ على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته ولحمته»[1].

وفي خطبة لها لأهل الكوفة: «الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار».

وفي نص آخر: «والصلاة عن أبي رسول الله»[2].

وتقول فاطمة بنت الحسين في خطبة لها في الكوفة أيضاً: «..وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ أولاده ذبحوا بشط الفرات»[3].

وتتبع كلمات الأئمة وأبناءهم في هذا السياق يحتاج إلى جهد مستقل ووقت طويل، وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد الرشد والهداية.

---

(١) بلاغات النساء (ط دار النهضة) ص٣٥ و ٣٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٦٤ و ٦٥ ومقتل الحسين للمقرم ص٤٥٠ و ٤٥١ والبحار ج٤٥ ص١٣٤.

(٢) راجع: الأمالي للشيخ الطوسي ج١ ص٩٠ ومقتل الحسين للمقرم ص٣٨٥ عنه وعن أمالي ابنه، وعن اللهوف، وابن نما، وابن شهرآشوب، والإحتجاج.

(٣) مقتل الحسين للمقرم ص٣٩٠ والإحتجاج ج٢ ص٢٧ واللهوف لابن طاووس ص٨٨.

على خطى النبي الأكرم ﷺ:

وبعد.. فإنَّ ذلك كله لم يكن منهم «عليهم السلام» إلا تأسياً بالنبي محمد «صلى الله عليه وآله»، الذي كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وقد ورد عنه الكثير مما يدل على إصراره «صلى الله عليه وآله» على تركيز قضية بنوة الحسنين «عليهما السلام» له «صلى الله عليه وآله» في ضمير الأمة ووجدانها، بشكل لا يبقى معه أي مجال للشبهة، أو الشك والترديد..

وكنموذج على ذلك نشير إلى ما يلي:

١ ـ قال «صلى الله عليه وآله»: «هذان ابناي، من أحبهما فقد أحبني»[١].

وفي نص آخر: «هذان ابناي، وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما، وأحب من يحبهما»[٢].

---

(١) ذخائر العقبى ص١٢٤ وصفة الصفوة ج١ ص٧٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢٠٦ وفي (ط دار الفكر) ج١٣ ص١٩٩وكنز العمال (ط ٢) ج٦ ص٢٢١ والغدير ج٧ ص١٢٤ عن مستدرك الحاكم ج٣ ص١٦٦ ونقل عن الترمذي رقم (٣٧٧٢)، وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٩٥ والبداية والنهاية ج٨ ص٣٩ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص٤٢ وترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» لابن عساكر ص٥٩ وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» لابن عساكر ص١٢١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٥٧.

(٢) ينابيع المودة ص١٦٥ عن الترمذي، وتاريخ الخلفاء ص١٨٩ والمعجم الصغير للطبراني ج١ ص٢٠٠ وخصائص الإمام علي للنسائي ص١٢٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٨٠ وراجع: مستدرك الحاكم ج٣ ص١٦٦ و ١٧١ وذخائر العقبى ص١٢٤ وفي هامش الخصائص للنسائي عن كفاية الطالب ص٢٠٠ وكنز العمال ج٦ ص٢٢٠ وعن الترمذي ج٢ ص٢٤٠ وغيرهم.

وفي رواية أخرى عن عائشة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يأخذ حسناً، فيضمه إليه، ثم يقول: «اللهم إن هذا ابني، وأنا أحبه، فأحببه، وأحب من يحبه»[١].

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» بمجرد ولادة أحدهما: الحسن والحسين «عليهما السلام»، يقول لأسماء: هلمي ابني، كما تقدم.

٣ـ ويقول: إن ابني هذا سيد[٢].

٤ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يجلس في المسجد، ويقول: ادعوا لي ابني، قال: فأتى الحسن يشتد..

إلى أن قال: وجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفتح فمه في فمه، ويقول: «اللهم إني أحبه، فأحبَّه، وأحبَّ من يحبه، ثلاث مرات»[٣].

٥ ـ وعنه «صلى الله عليه وآله» إنه قال: كل ابن آدم ينتسبون إلى عصبة أبيهم، إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم، وأنا عصبتهم»[٤].

---

(١) كنز العمال ج١٦ ص٢٦٢ (ط ٢) وفي (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٥٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٧٦ وترجمة الإمام الحسن بن علي «عليهما السلام» لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص٥٦ وفي هامشه عن المعجم الكبير للطبراني (ط ١) ج١ ص٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص١٩٧.

(٢) مصادر ذلك كثيرة، لا يكاد يخلو منها كتاب، ولذا فلا حاجة لتعدادها.

(٣) ذخائر العقبى ص١٢٢ عن الحافظ السلفي ونظم درر السمطين ص١٩٨.

(٤) الصواعق المحرقة ص١٥٤ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٦٤ وتاريخ بغداد ج١١ ص٢٨٥ وينابيع المودة ص٢٦١ وفرائد السمطين ج٢ ص٦٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٦٨ وإحقاق الحق ج٩ ص٦٤٤ ـ ٦٥٥ عن مصادر كثيرة، =

ومن أراد المزيد من النصوص الدالة على بنوة الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فليراجع المصادر المذكورة في الهامش[1].

= وذخائر العقبى ص١٢١ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٣ ص١٤٩ وعن كنز العمال ج٦ ص٢١٦ و٢١٥ وعن مجمع الزوائد ج٩ ص١٧٢.

(١) الغدير ج٧ ص١٢٤ ـ ١٢٩ وراجع: ينابيع المودة ص٢٥٩ و١٣٨ و١٤٦ و٢١٤ و١٨٣ و١٨٢ و٢٥٥ و١٣٦ و٢٢١ و٢٥٨ و٢٢٢ و٣٣١ و٢٥٠ وإسعاف الراغبين ص١٣٢ و١٣٣ وكفاية الطالب ص٢٣٥ و٢٣٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٥٨ و١٥٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٢٦ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤ ص١٥٢ و٢٠٣ و٢٠٤.

الباب التاسع

... إلى حجة الوداع

غزوة تبوك في القرآن الكريم
الفصل الأول: الإعداد والإستعداد
الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة
الفصل الثالث: النفير العام
الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون
الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك
الفصل السادس: هكذا يكيدون علياً عليه السلام
الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلي تبوك
الفصل الثامن: جيش الإسلام في تبوك
الفصل التاسع: رسائل وأجوبتها
الفصل العاشر: في طريق العودة
الفصل الحادي عشر: أصح الروايات عن تبوك.. أو زبدة المخض
الفصل الثاني عشر: النبي صلى الله عليه وآله في المدينة بعد تبوك

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

غزوة تبوك في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَفَا

---

(١) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[١].

---

(١) الآيات ٣٨ ـ ٥٧ من سورة التوبة.

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ

---

(١) الآيات ٦٢ ـ ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٤ من سورة التوبة.

وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آَمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَتَّخِذُ

مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3].

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

---

(١) الآيات ٨١ ـ ٩٩ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ١٠١ و ١٠٢ من سورة التوبة.

(٣) الآيتان ١١٧ و ١١٨ من سورة التوبة.

(٤) الآيتان ١٢٠ و ١٢١ من سورة التوبة.

[illegible]
[illegible]

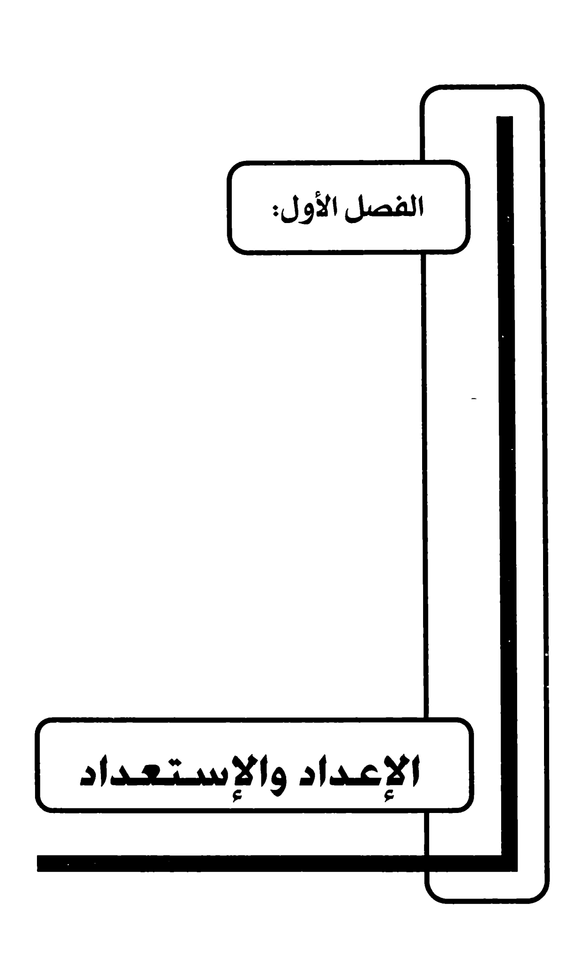
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

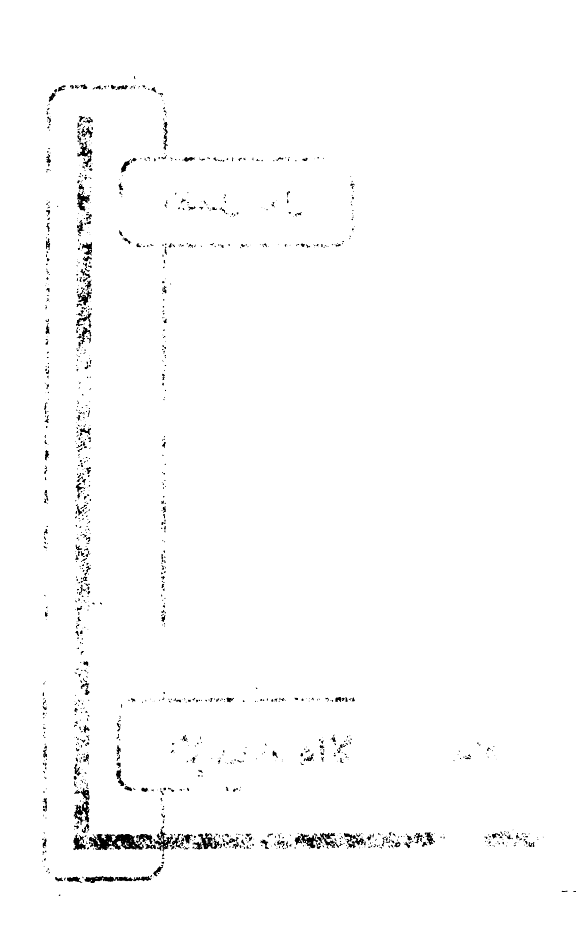
---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]



الفصل الأول:

الإعداد والإستعداد



تبوك علم لا ينصرف:

تبوك اسم موضع، ولفظه لا ينصرف للعَلَمية ووزن الفعل، وقيل للعلمية والتأنيث، فإن أريد صرفها، فيراد منها «الموضع» ـ كقول كعب بن مالك كما في بعض الروايات ـ:«فلم يذكرني حتى بلغ تبوكاً»[1].

تبوك هي أقصى موضع بلغه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزواته.. وهي في طرف الشام من جهة القبلة، وبينها وبين المدينة المشرَّفة اثنتا عشرة مرحلة[2]. وقيل: أربع عشرة[3].

قال في النور: وقد سرناها مع الحجيج في اثنتي عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة[4].

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص٣٨٧، وشرح مسلم للنووي ج١٧ ص٨٩، والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤٠٠، وصحيح ابن حبان ج٨ ص١٥٧.

(٢) معجم البلدان ج٢ ص١٥ و كتاب العين ج ٥ ص ٣٤٢.

(٣) فتح الباري ج ٨ ص ٨٤ وعمدة القاري ج٩ ص٦٥وج١٨ ص٤٥ وتحفة الأحوذي وج٥ ص٣١٠ ج٨ ص٤٠٢ وعون المعبود ج١ ص١٧٤.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٩، وراجع: فتح الباري ج٨ ص٨٥ وعمدة القاري ج٩ ص٦٥وج١٨ ص٤٥.

وهذا الإختلاف لا يضر ولا نرى كثير فائدة في تحقيقه، فإن هذا الموضع معروف اليوم.

سبب تسمية الغزوة بتبوك:

قال في الروض تبعاً لابن قتيبة: سميت الغزوة بعين تبوك، وهي العين التي أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ألا يمسوا من مائها شيئاً، فسبق إليها رجلان، وهي تبض بشيء من ماء، فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها، فسبهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال لهما: ما زلتما تبوكانها منذ اليوم، فلذلك سميت العين تبوك.

والبوك: كالنقش والحفر في الشيء، ويقال: منه باك الحمار الأتان يبوكها إذا نزا عليها[1].

ونقول: إن لنا مع هذا النص وقفات:

الأولى: فسبهما رسول الله ﷺ:

زعم هذا النص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سب ذينك الرجلين اللذين حاولا إثارة ماء العين بسهميهما..

وهذا كلام باطل لما يلي:

أولاً: إن هذين الرجلين لم يقصدا الخلاف على رسول الله «صلى الله

---

(١) سبيل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٩ وراجع: وفاء الوفاء ج٤ ص١١٥٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٦٥. وراجع: معجم البلدان ج٢ ص١٥، وعمدة القاري ج١٨ ص٤٤، وفتح الباري ج٨ ص٨٤.

عليه وآله» وإنما وجداها تبض بماء قليل، فأرادا إثارتها، ليزداد ماؤها لينتفع به المسلمون.. وهذا معناه: أن نيتهما كانت صالحة، فلم يفعلا ما يستحقان به السبّ بحسب ظاهر الأمر..

ومع غض النظر عن ذلك، فقد كان اللازم هو الرفق بهما، والإستعلام عن نيتهما، ثم تكون العقوبة، أو يكون العفو، وهو الأمثل والأجمل برسول الله «صلى الله عليه وآله»، المأمور بالعفو عن الناس..

ثانياً: لو سلمنا أنهما قصدا الخلاف عليه، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يزل ينهى عن سب الناس، والتفوه بالألفاظ الفاحشة، فقد روي أن عائشة قالت له معترضة عليه: قلت لفلان: بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألنت له القول؟

فقال: «يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش»[1].

وقال لها: «..إن الفحش لو كان مثالاً لكان مثال سوء»[2].

---

(١) المجموع للنووي ج١٨ ص١٧٩ والمغني لابن قدامة ج٩ ص١٧٣ والشرح الكبير لابن قدامة ج٩ ص١٥٧ والكرم والجود للبرجلاني ص٣٩ وكتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا ص١٨٤ وكنز العمال ج٣ ص٥٩٧ وفيض القدير ج٢ ص٣٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٢٩٢ ومستند الشيعة للنراقي ج١٤ ص١٦٦ والكافي للكليني ج٢ ص٣٢٦ وشرح أصول الكافي ج١ ص٢٦٧ وج٩ ص٣٦٥ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٦.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٢٤ و ٣٢٥ و ٦٤٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٢ ص٧٨ وج١٦ ص٣٢ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٤٥٣ وج١١ ص٣٢٧ والبحار ج١٦ ص٢٥٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٣٢ وج١٥ ص٦٠٨ والحدائق =

وقال «صلى الله عليه وآله»: «لو كان الفحش خَلْقاً لكان شر خَلق الله»[١].

وقال: «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام»[٢].

وروي عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: «ألا أخبركم بأبعدكم مني شبهاً»؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «الفاحش المتفحش البذيء»[٣].

= الناضرة ج٩ ص٧١ ومفتاح الكرامة ج٨ ص١٢٨ وجواهر الكلام ج ١١ ص١١٤ ومصباح الفقيه (ط.ق) ج٢ ق٢ ص٤٢٢ وشرح أصول الكافي ج ٩ ص٣٦٣ وج١١ ص١١٨ والبحار ج١٦ ص٢٥٨ وج ١٠٨ ص ٢٢٥.

(١) كنز العمال ج٣ ص٥٩٩ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٣٧٧ وكتاب الصمت وآداب اللسان لابن ابي الدنيا ص٢٩٣ والجامع الصغير ج٢ ص٤٣٤ وفيض القدير ج٥ ص٤١٢ وكشف الخفاء ج٢ ص١٦١.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٨٩ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٨٨ وكتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا ص١٨٤ ومسند أبي يعلى ج١٣ ص٤٥٨ والمعجم الكبير ج٢ ص٢٥٦ والجامع الصغير ج١ ص٣١٩ وكنز العمال ج٣ ص٥٩٨ والتاريخ الكبير ج٦ ص٢٩١ وجامع السعادات ج١ ص٢٧٧ وعيون الحكم للواسطي ص٢٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٣٢ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٣٧٦.

(٣) الكافي ج٢ ص٢٩١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٤١ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٣٧٠ والبحار ج٦٩ ص١٠٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٩٧ و ٥٤٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٣ ص٢٩٧ وج٤ ص١٦٣ وج٨ ص ٣٢٥ وج٩ ص١٢٩ وميزان الحكمة ج١ ص٦٤٨ و ٨٠٧ وج٣ ص٢٣٧٦.

وقال: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة»[١].

وأما بالنسبة لسباب المسلم، فقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «سباب المسلم فسق»[٢].

وقال «صلى الله عليه وآله»: «سباب المسلم فسق وقتاله كفر»[٣].

---

(١) الدر المختار للحصكفي ج٤ ص٤٠٠ ورياض السالكين للسيد علي خان ج٣ ص٣٦٨ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٢٩ وصحيح مسلم ج٧ ص٥ وتحفة الأحوذي ج٦ ص٩٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٨٩ وكنز العمال ج٣ ص٥٩٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٢٩٣ وتفسير الآلوسي ج٥ ص١٠٠ والقاموس المحيط ج٢ ص٢٨٢ وتاج العروس ج٩ ص١٥٧.

(٢) حديث مروي عن النبي «صلى الله عليه وآله» أخرجه: البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وأحمد، والبيهقي، والطبري، والدارقطني، والخطيب، وغيرهم من طريق: ابن مسعود، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وجابر، وعبد الله بن مغفل، وعمرو بن النعمان. راجع: الغدير ج١٠ ص٢٦٧ والفتح الكبير للنبهاني ج٢ ص١٥٠ و ١٥١ وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٣٧ .

(٣) راجع: الغدير ج١٠ ص٢٧٢ والفتح الكبير ج٢ ص١٥٠ و ١٥١ وأسنى المطالب للحوت ص١٦٨ ح٧٤٦ والجامع الصغير ح٤٦٣٤ وصحيح الجامع الصغير ح٣٥٨٠ والتمييز بين الخبيث والطيب ح٧٠٢ وتاريخ بغداد ج٥ ص١٤٤ وج١٠ ص٨٦ وج١٣ ص١٨٥ وصحيح البخاري ج٧ ص٧٦٩ ك الأدب، و (ط دار الفكر) ج١ ص١٧ وج٧ ص٨٤ وج٨ ص٩١، وحلية الأولياء ج٥ ص٢٣ و ٢٤ وج٦ ص٢٠٤ و ٣٤٣ وج٨ ص١٢٣ و ٣٥٩ وج١٠ ص٢١٥. وراجع: مسند أحمد ج١ ص٣٨٥ و ٤١١ و ٤٥٤ وصحيح مسلم ج١ ص٥٨ وسنن ابن ماجة =

فما معنى أن ينسب إليه أنه قد بادر إلى سب ذينك الرجلين؟!

ثالثاً: لعل المقصود بنهيه عن مساس ذلك الماء بشيء هو عدم الأخذ منه، تماماً كما جرى في قضية، قول طالوت لعسكره: ﴿**إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ**﴾(1).

ولا أقل من أن ذلك قد يكون مما احتمله أو ظنه الرجلان المشار إليهما،

= ج١ ص٢٧ وج٢ ص١٢٩٩ و ١٣٠٠ وسنن الترمذي ج٣ ص٢٣٨ وج٤ ص١٣٢ وسنن النسائي ج٧ ص١٢١ و ١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٠ ومجمع الزوائد ج٤ ص١٧٢ وج٧ ص٣٠٠ وج٨ ص٧٣ وفتح الباري ج١١ ص٤٤٨ وج١٣ ص٢٢ وعمدة القاري ج١ ص٢٧٧ و ٢٧٩ وج٩ ص١٩٠ وج٢٢ ص١٢٣ وج٢٤ ص١٨٨ ومسند الحميدي ج١ ص٥٨ ومسند ابن راهويه ج١ ص٣٧٩ والأدب المفرد للبخاري ص٩٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣١٣ و ٣١٤ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٤٠٨ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٢٦٦ والمعجم الأوسط ج١ ص٢٢٣ وج٤ ص٤٤ وج٦ ص٣٧ والمعجم الكبير ج١ ص١٤٥ وج١٠ ص١٠٥ و ١٥٧ و ١٥٩ و ١٧٨ وج١٧ ص٣٩ وكتاب الدعاء للطبراني ص٥٦٦ و ٥٦٧ ومسند الشاميين ج٣ ص٣٠٩ والتمهيد لابن عبد البر ج٤ ص٢٣٦ و ٢٣٧ وج١٧ ص١٥ والأذكار النووية ص٣٦٥ وتغليق التعليق ج٥ ص٩٤ والجامع الصغير ج٢ ص٤٠ و ٤١ وكشف الخفاء ج١ ص٤٤٧ جامع البيان ج٢ ص٣٧٦ ونيل الأوطار للشوكاني ج١ ص٣٧٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٢ ص٢٨١ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٥٩٨ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٢١٥ وأمالي الطوسي ص٥٣٧ والبحار ج٧٤ ص٨٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٣٢٤ وج٢٣ ص١٤٥ وج٢٦ ص١٠٤.

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

فما معنى سبهما قبل التأكد من الأمر؟!

رابعاً: إن كلمة: «فسبهما» من الراوي كما لا يخفى، في حال أنّا لا نرى في قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «ما زلتما تبوكانها منذ اليوم» أي سباب، بعدما تقدم من أن البوك هو النقش والحفر!!

إلا إذا كان المراد: أنه «صلى الله عليه وآله» قد سبهما بكلام آخر غير هذه الكلمة..

الثانية: تسمية العين تبوك:

ولا مجال أيضاً لقبول ما زعمته تلك الرواية: من أن تسميتها بتبوك بسبب قول النبي «صلى الله عليه وآله» لذينك الرجلين: ما زلتما تبوكانها.. لأن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه قد أطلق اسم تبوك على تلك البقعة قبل أن يصل إلى تبوك بيوم، حيث رووا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه: «إنكم ستأتون غداً ـ إن شاء الله ـ عين تبوك»[1].

فهذا الاسم كان ثابتاً للموضع، ومتداولاً قبل وصول النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، ومنهم ذانك الرجلان إليه، فما معنى قولهم: أن تسميتها بتبوك متفرع على اعتراضه «صلى الله عليه وآله» على الرجلين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٥٠، والموطأ لمالك ج١ ص١٤٣، ومسند أحمد ج٥ ص٢٣٨، وصحيح مسلم ج٧ ص٦٠، وفتح الباري ج٨ ص٨٤ و٨٥، وعمدة القاري ج١٨ ص٤٤، وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٨٢، وصحيح ابن حبان ج٤ ص٤٦٩ وج١٤ ص٤٧٥، والإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص٢٠٤، والمعجم الكبير ج٢٠ ص٥٧ والتمهيد لابن عبد البر ج١٢ ص١٩٣، وغيرهم.

تاريخ غزوة تبوك وهي آخر مغازيه:

وقد صرحوا: بأن تبوك آخر مغازيه «صلى الله عليه وآله»[1]، وهي المعروفة بغزوة العسرة، وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها كما سيأتي إن شاء الله تعالى..

وقد وقع في الصحيح ـ يعني صحيح البخاري ـ ذكرها بعد حجة الوداع.

قال الحافظ: وهو خطأ، ولا خلاف أنها قبلها، ولا أظن ذلك إلا من النساخ، فإن غزوة تبوك كانت في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف.

وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس: أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر.

وليس هذا مخالفاً لقول من قال إنها في رجب إذا حذفنا الكسور، لأنه «صلى الله عليه وآله» قد دخل المدينة بعد رجوعه إلى الطائف في ذي الحجة[2].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٦٦ عن أحمد، وابن عقبة، وفتح الباري ج١ ص٣٦٩ وج٨ ص٢٣٨، وعمدة القاري ج١٨ ص٢٥٩، وفيض القدير ج١ ص٧٢٣، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٨٠، وأضواء البيان للشنقيطي ج١ ص٣٣٦ و٣٣٩، والإحكام لابن حزم ج٧ ص٩٨٢، والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج١ ص١٦٣، وغيرهم.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٩ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٤ ص٦٦. وراجع: فتح الباري ج٨ ص٨٤.

إما تبوك، وإما الهلاك:

في حديث عمران بن حُصين: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يجلس كل يوم على المنبر فيقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تُعبد في الأرض. فلم يكن للناس قوة»[1].

ونحن نعلم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال هذه الكلمة في بدر، وهو ساجد.. وقد ذكرنا أن حرب بدر كانت مصيرية بالنسبة إلى الإسلام، والمسلمين، فقوله «صلى الله عليه وآله» هذه الكلمة في تبوك يفيد:

أولاً: أن ثمة خطراً حقيقياً يتهدد عصابة أهل الإيمان كلها. وكان ذلك في بدر ظاهراً للعيان، فإن قريشاً إذا انتصرت، فسوف لا تبقي على أحد تتوهم فيه أنه سيكون ميّالاً إلى القيام بأي نشاط في الدعوة إلى عبادة الله سبحانه.. وسوف تدخل المدينة لتلتقي مع المشركين واليهود، وسيكونون فرحين جداً بها، وسيتعاونون معها لاستئصال البقية الباقية من المسلمين في المدينة أيضاً، وذلك سيكون أغلى أمانيهم، وأعظم إنجازاتهم بنظرهم..

ثانياً: إنه لا ريب في أن هلاك تلك العصابة سينتج أن لا يعبد الله تعالى على الأرض.. وهذا يساوق محو معالم الدين، وإزالة كل أثر له من العقول، والنفوس..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٤ عن الطبراني. وقال في الهامش: أخرجه مسلم ج٣ ص١٣٨٣ وأحمد ج١ ص٣٢. وراجع: مجمع الزوائد ج٦ ص١٩١، والمعجم الكبير ج١٨ ص٢٣٢، وكنز العمال ج١٣ ص٣٧، وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٦٣.

ثالثاً: إنما كان «صلى الله عليه وآله» يقول ذلك على المنبر، لأنه يريد أن يعرف الناس خطورة تلكئهم عن ذلك المسير حيث يثير ذلك شهية العدو الخارجي لانتهاز فرصة العمر بزعمه، وليبطل كيد المنافقين الذين كانوا يتآمرون على تضييع جهد النبي «صلى الله عليه وآله» في حشد الناس للجهاد والدفاع..

ولعل هناك من يتوهم أن الكثرة سوف تغني عنهم من الله شيئاً، فأهملوا، وتقاعسوا، واتكلوا عليها، ولم يلتفتوا إلى أن كثرة المنافقين والساعين في عرقلة الأمور، والمدبرين للمكائد والمصايد والساعين للإخلال بالأمن الداخلي بعد مسير الجيش باتجاه تبوك، فإن ذلك كله سوف يطمع جيش الروم، ويدفعه لاغتنام الفرصة لإنزال أقسى ضرباته بجيش الإسلام..

رابعاً: إن هذا الذي ذكرناه يبين أن كلمة: فلم يكن للناس قوة، قد جاءت في غير محلها، وأنها مجرد أسلوب تضليلي عن حقيقة معاناة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع قومه..

لماذا كانت غزوة تبوك؟!:

وقد اختلفت المزاعم والإجتهادات في بيان أسباب غزوة تبوك، ونذكر هنا بعض ترهاتهم وأباطيلهم في هذا المجال، مع الإشارة إلى بعض وجوه الخلل فيه، وذلك على النحو التالي:

١ـ النبي ﷺ ليس ألعوبة بيد اليهود:

ورووا عن عبد الرحمن بن غنم: أن اليهود أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً، فقالوا: يا أبا القاسم، إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق

بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء.

فصدَّق ما قالوا، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[1]، فأمره الله تعالى بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك ومنها تبعث.

فرجع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمره جبريل فقال: اسأل ربك عز وجل، فإن لكل نبي مسألة، وكان جبريل له ناصحاً، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» له مطيعاً.

قال: «فما تأمرني أن أسال»؟!.

قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾[2]، فهذه الآيات أنزلت عليه مرجعه من تبوك[3].

---

(١) الآيتان ٧٦ و ٧٧ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٨٠ من سورة الإسراء.

(٣) سبل الهدى الرشاد ج٥ ص٤٣٣ و ٤٦٢ عن البيهقي بإسناد حسن، وابن أبي حاتم، وأبي سعد النيسابوري، وفي هامشه عن: دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٢٥٤ والدر المنثور ج٤ ص١٩٥ عن ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر. وراجع: عمدة القاري ج١٨ ص٤٥، وتفسير الثعلبي ج٦ ص١١٩، وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٩٧، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٧، وفتح الباري ج٨ ص٨٥، والدر المنثور ج٤ ص١٩٥، ولباب النقول ص١٣٩، وفتح القدير ج٣ ص٢٤٩.

ونقول:

إننا لا نرتاب في عدم صحة هذه الرواية أيضاً لما يلي:

أولاً: إنه بغض النظر عما نراه، فإن نفس هؤلاء يزعمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر، فإن كان «صلى الله عليه وآله» لم يأت بقوله هذا عن الله تعالى، فما معنى قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾؟![1]، وإن كان ينطق عن الله، فما معنى تصديقه اليهود في أمر قد أوحى الله إليه خلافه؟!

واحتمال أن يراد بالشام ما يشمل فلسطين بما فيها بيت المقدس لا مجال لقبوله، فإن رواية ابن غُنْم المتقدمة قد أكدت أن غزو النبي «صلى الله عليه وآله» لتبوك قد كان لأجل الوصول إلى الشام، وإنما يقصد بها البلد المعروف.. لا ما يعم بيت المقدس.. فيقع التعارض بينها وبين ما دل على أن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر..

ثانياً: لماذا لم يعترض الناس على اليهود في زعمهم، ولماذا لم يسألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب تصديقه اليهود في خبر يخالف ما جاءه عن الله تبارك وتعالى بل أطاع الناس كلهم، ونفروا معه وتكبدوا المشاق والمتاعب، وكانوا يبحثون عن سبب ـ ولو كان مثل الطحلب ـ ليتشبثوا به للإمتناع عن ذلك المسير؟!

إلا إذا فرض: أن أحداً ممن سمع من النبي «صلى الله عليه وآله» ما أخبر به عن بيت المقدس لم يكن حاضراً حين جاء اليهود إلى النبي «صلى الله

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

عليه وآله»، وطلبوا منه ذلك..

ويجاب عن هذا أيضاً بأن من الواضح: أن طلب اليهود هذا لا بد أن ينتشر وأن يتداوله الناس، وسوف يحاولون تحليله وتأويله كل بحسب ما لديه.

ثالثاً: حتى لو كانت الشام هي أرض المحشر والمنشر فلماذا يجب عليه «صلى الله عليه وآله» أن يلحق بها؟! وهل أرض المحشر والمنشر أفضل من مكة والمدينة؟ وما سواهما مما أخبر الله تعالى بفضله؟!..

رابعاً: هل صحيح أن أنبياء الله تعالى كانوا بالشام، أم أنهم كانوا منتشرين في لبنان والشام وفي فلسطين وفي الحجاز وغيره؟!

خامساً: لماذا تأخر إعلام الله تعالى لرسوله بالحقيقة حتى بلغ تبوك، فأمره حينئذٍ بالرجوع إلى المدينة، مع أن الطبيعي هو: أن يعلمه تعالى بالأمر فور إعلام اليهود إياه بما يخالف الحقيقة؟! ولماذا أفسح المجال لشماتتهم، بالرسول وبالمسلمين، وأتعب قلب النبي «صلى الله عليه وآله» وكلف المسلمين هذه النفقات الباهظة في أيام يزعمون أن المسلمين فيها يعانون من العسرة والحاجة والجهد، ولا يجدون ما ينفقون؟!..

سادساً: إن قول الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»: إنه يحيا ويموت ويبعث في المدينة[1]، يدل أيضاً على عدم صحة ما زعموه من أن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر.

سابعاً: إن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ

---

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١ ص١٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٦٢.

مِنْهَا وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[1] رغم أنه في سورة مكية، لا ينطبق على قصة اليهود المزعومة، لأن الآية قد صرحت بما يلي:

١ ـ إنهم كادوا أن يستفزوه من أرضه. أي كادوا أن يصلوا إلى هذا الأمر، ولكنهم لم يصلوا إليه فعلاً، مع أن الرواية المتقدمة تدَّعي: أنهم قد استفزوه بالفعل، ونفر مع جيش قوامه ثلاثون ألفاً، وسار حتى بلغ تبوك.

إلا إن كان المراد بالإستفزاز: الإخراج من الأرض إلى أرض أخرى، والبقاء فيها..

٢ ـ إن الآية تقول: إن عقوبة أو عاقبة هذا الإستفزاز هي: أن لا يلبث اليهود خلافك إلا قليلاً. مع أن أمر اليهود كان قد حسم قبل ذلك بزمان، من الناحية العسكرية أو السياسية في المنطقة، وإن كان المقصود هو هلاكهم واستئصالهم، فإننا لم نجد أن شيئاً من ذلك قد حصل لليهود بعد استفزازهم إياه من الأرض، رغم أنه قد بلغ تبوك. وهذا يدل على أن الآية لا تعنيهم، بل تعني مشركي مكة كما سنرى.

إلا إن كان المراد الإستفزاز إلى أرض أخرى والبقاء فيها، فهذا لم يتحقق، فلم يصبهم عذاب الإستئصال، الذي علق على هذا الإستفزاز..

ثامناً: عن قتادة، وابن عباس، وسعيد بن جبير: أن مشركي مكة هم الذين حاولوا أن يستفزوا النبي «صلى الله عليه وآله» ليلتحق بالشام[2]، ربما

---

(١) الآيتان ٧٦ و ٧٧ من سورة الإسراء.

(٢) الدر المنثور ج٤ ص١٩٥ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنـذر، وابن أبي =

ليواجه الروم، الذين يظنون أنهم سيكونون أقدر على حسم أمره منهم، ولا سيما مع سعة سلطانهم، وكثرة عساكرهم، مع عدم وجود أية إحراجات قبائلية تمنع من الإمعان في مواجهته، واتخاذ أي إجراء يروق لهم ضده.

تاسعاً: زعمت تلك الرواية: أن قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[1]. قد نزلت عليه مرجعه من تبوك.

ونقول:

إنه رغم أن هذه الآية كآية الإستفزاز من الأرض مكية وليست مدنية، فإن الروايات تقول ما يلي:

١ ـ عن ابن عباس قال: «كان النبي «صلى الله عليه وآله» بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾»[2].

= حاتم عن قتادة، وعن ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس. وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير. وجامع البيان للطبري ج١٥ ص١٦٦، وأسباب نزول الآيات ص١٩٧، وفتح القدير ج٣ ص٢٤٩.

(١) الآية ٨٠ من سورة الإسراء.

(٢) الدر المنثور ج٤ ص١٩٨ عن أحمد، والترمذي والحاكم وصححاه، وابن المنذر، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في دلائل النبوة والضياء المختارة. وراجع: مسند أحمد ج١ ص٢٢٣، وسنن الترمذي ج٤ ص٣٦٦ ـ ٣٦٧، وجامع البيان للطبري ج١٥ ص١٨٥، وزاد المسير ج٥ ص٥٥، والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣١٣، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٦٢، والكامل لا بن عدي ج٦ ص٤٩.

٢ ـ عن قتادة في معنى الآية، قال: أخرجه الله من مكة مخرج صدق، وأدخله المدينة مدخل صدق. قال: وعلم نبي الله «صلى الله عليه وآله» أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله تعالى، وحدوده، وفرائضه، وإقامة كتاب الله تعالى، فإن السلطان عزة من الله تعالى، جعلها بين عباده، ولولا ذلك لغار بعضهم على بعض، وأكل شديدهم ضعيفهم[1].

ونقول:

إن قتادة هنا قد خلط وخبط، وجاء بخطابات طنانة، وشعارات رنانة ليفسر السلطان النصير الذي طلبه النبي «صلى الله عليه وآله» من ربه، فجاءت النتيجة بعد الإبراق والإرعاد، منسجمة مع القاعدة المعروفة والمألوفة: «تمخض الجبل فولد فأرة».. وقد تابعه زيد بن أسلم أيضاً على ذلك، كما سيأتي في الرواية التالية، فجانب الحق، وتجاهل الحقيقة فيما ادَّعاه من أن المقصود بالسلطان النصير هو الأنصار.

والحقيقة هي: أن السلطان هي القوة التي ترهب العدو، وتسقط مقاومته عسكرياً ومادياً وعلمياً أيضاً، وغير ذلك مما يفيد في التأييد والتسديد.

وقد كان علي «عليه السلام» هو ذلك السلطان الناصر له «صلى الله عليه وآله» في كل مجال، والذاب والمؤيد له في كل مقام ومقال كما أوضحته

---

(١) الدر المنثور ج٤ ص١٩٨ و ١٩٩ عن الحاكم وصححه، وعن البيهقي في الدلائل. وراجع: المستدرك للحاكم ج٣ ص٣، وجامع البيان للطبري ج١٥ ص١٨٨، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٦٢ ـ ٦٣، وتفسير الثعلبي ج٦ ص١٢٧، وتفسير البغوي ج٣ ص١٣٢.

الرواية الآتية عن ابن عباس.

٣ ـ عن زيد بن أسلم في الآية، قال: جعل الله مدخل صدق المدينة، ومخرج صدق مكة، وسلطاناً نصيراً، الأنصار[١].

وهذا وإن كان غير سليم عن النقاش، ولكنه هو الآخر يخالف ما زعمته الرواية السابقة من أن المقصود هو الدخول والخروج من المدينة وإليها في قضية تبوك.

٤ ـ عن ابن عباس: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، يعني مكة، ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾. قال: لقد استجاب الله لنبيه «صلى الله عليه وآله» دعاءه، فأعطاه علي بن أبي طالب «عليه السلام» سلطاناً ينصره على أعدائه[٢].

٥ ـ وقال القمي في هذه الآية: نزلت يوم فتح مكة لما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» دخولها: وقال: قل يا محمد ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ

---

(١) الدر المنثور ج٤ ص١٩٩ عن الزبير بن بكار في أخبار المدينة. وراجع: تفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٣٨٩، وجامع البيان للطبري ج١٥ ص١٨٦، وتفسير الثعلبي ج٦ ص١٢٧، وتفسير البغوي ج٣ ص١٣٢، وتفسير الرازي ج٢١ ص٣٢و٣٣، وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٢٢٧، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٦٢، وغيرهم.

(٢) البرهان (تفسير) ج٢ ص٤٤١ عن ابن شهرآشوب من كتاب أبي بكر الشيرازي. والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٣٤١، وشواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٤٥٢ والبحار ج٤١ ص٦١.

صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾. قال: قوله: ﴿سُلْطَاناً نَصِيراً﴾، أي معيناً[1].

أهداف هذه الفرية:

إنه قد يفهم من تلك الرواية المزعومة أنها تهدف إلى الإنتقاص من مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين تظهره على أنه أُلعوبة بيد اليهود، حتى إنه ليجرد الجيش الجرار ـ ثلاثين ألفاً ـ في وقت عسر وجهد كما يدَّعون، دون أن يراجع ربه ويسأله عن تكليفه أمام هذه الترهات التي يسمعها من أناس لم يعرف منهم الصدق ولا الأمانة، بل هو ما عرف منهم إلا الكذب والكيد والخيانة، واشتراءهم بآيات الله ثمناً قليلاً..

وقد حدَّثه الله عنهم، ووصفهم له في كتابه الكريم بما لا يدع مجالاً لأي شك أو شبهة في أمرهم، ولا أقل من أن كل هذه البيانات الواضحة والفاضحة تحتم على أي إنسان مهما كان عادياً التثبت فيما يعرضه عليه هؤلاء الناس.

يضاف إلى ذلك: أن هذه الرواية تريد أن تطعن وتستخف بقيمة هذه الغزوة التي ظهرت خيراتها وبركاتها ولو بفضحها لواقع النفاق المستشري، وبإيجابها التأكيد على أمر الإمامة التي يكون بها حماية هذا الدين وبقاؤه، وقد تجلى هذا الإستخفاف حين اعتبرت أن خروج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك لم يكن بأمر من الله تبارك وتعالى، ولا كان خروج صحة وصدق، فلا عبرة بعد هذا بأي شيء مما قاله «صلى الله عليه وآله» مما يرتبط

---

(١) البرهان (تفسير) ج٢ ص٤٤١ وتفسير القمي ج٢ ص٢٦ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٢١٢ والبحار ج٢١ ص١١٤عن تفسير القمي.

بأمر الإمامة، وبذلك يتم التعتيم والتمويه، والتستر على الفعلة الشنعاء التي ظهرت من أهل النفاق، فإن لله وإنا إليه راجعون..

٢ـ الأخبار الكاذبة هي السبب:

وقد اختلف في سبب غزوة العسرة والفاضحة، فقيل: إن جماعة من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة ذكروا للمسلمين: أن الروم جمعوا جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معهم لخم وجذام، وعاملة وغسان، وغيرهم من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء.

ولم يكن لذلك حقيقة، ولما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك ندب الناس إلى الخروج[1].

ونقول:

إن هذا الزعم غير معقول ولا مقبول.

إذ المعروف الذي لا شك فيه من أحد هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرصد تحركات أعدائه بدقة متناهية، لكي لا يؤخذ على حين غرة. ولذلك كان يستبق حملاتهم بالمبادرة إلى تسديد ضربات حاسمة تحبط كيدهم، وتسقط مقاومتهم، بأيسر طريق، وأقلها تكلفة وخسائر..

وكان «صلى الله عليه وآله» يعلم بعداوة الروم له، وكان قد كاتب

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٣ عن ابن سعد، والواقدي. وراجع: عمدة القاري ج١٨ ص٤٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٥، وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٤، وإمتاع الأسماع ج٢ ص٤٧.

ملكهم، قبل سنوات، وخاض معهم حرباً قوية قبل مدة وجيزة، لا تزيد على سنة وشهرين.. وقد قتل في تلك الحرب قادته الثلاثة، جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة..

فهل يعقل أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أهمل رصد تحركات هذا الجبار والعدو الخطر جداً، الذي كان يعيش لتوِّه نشوة الإنتصار على مملكة فارس. فاعتمد «صلى الله عليه وآله» على إخبار أنباط وافدين، لا يدينون بدينه، في حين أن القرآن يقول له: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾[1].

ولنفترض: أنه أهمل الرصد، لسبب أو لآخر، وجاءه هذا الخبر من هؤلاء، فلماذا لا يبحث عن صحة هذا الخبر، مع اتخاذ جانب الإحتياط والحذر، بل يترك ذلك جانباً، ويبادر إلى جمع جيش يعد بعشرات الألوف، ويخض المنطقة بأسرها، ويعطي ذلك العدو الخطِر المبرر للقيام بأي عمل لصد ما يعتبره عدواناً عليه، ويزين لأتباعه بأن عليهم مواجهة أعدائهم بحرب هم أوقدوا نارها، وأثاروا إعصارها.

٣ـ تعويض قريش عن متاجرها:

وقيل: إن سبب غزوة تبوك هو أن الله سبحانه وتعالى لما منع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش: لتقطعن عنا المتاجر والأسواق، وليذهبن ما كنا نصيب منها، فعوضهم الله تعالى عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم

---

(١) الآية ٧٣ من سورة آل عمران.

صاغرون، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]».

وعزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام[3].

ونقول:

١ ـ إن ذلك لا يمكن قبوله أيضاً، فإن الله لم يكن ليشرع الجهاد، وأخذ الجزية وما يترتب على ذلك من قهر للناس، وقتل، وأسر، وسبي، واغتنام لأموالهم، لمجرد تعويض قريش أو غيرها عن بعض المتاجر التي فاتتها، مع صرف النظر عن أنها أمضت أكثر من عقدين من الزمن، وهي تحارب الإسلام وأهله، بغياً منها عليه، وجحوداً لآياته، من أجل الدنيا وزينتها..

٢ ـ لو صح هذا الزعم، فينبغي أن تكون الجزية أو الغنيمة خاصة

---

(١) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٣ من سورة آل عمران.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٣ عن ابن مردويه عن ابن عباس، وابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد، وابن جرير عن سعيد بن جبير. وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣.

لقريش، ولا يشاركها فيها احد. لا الأنصار، ولا غيرهم من أهل الإسلام المنتشرين في المنطقة العربية وغيرها..

وإن شاركها أحد في الغنائم، فينبغي أن يكون بعد حصول التعويض لقريش، بحيث يصل إلى الآخرين ما يزيد عن هذا المقدار، بعد اكتفاء قريش بهم..

٣ ـ إن أخذ الجزية من أهل الكتاب قد سبق غزوة تبوك، التي كانت في شهر رجب سنة تسع.. وأخذ من العديد من الجماعات، فلاحظ الموارد التالية:

ألف: كتب «صلى الله عليه وآله» سنة ثمان مع العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وإلى سيبخت مرزبان هجر، أو مرزبان البحرين يدعوها إلى الإسلام أو الجزية، (وفي نص آخر: أرسله ليدعو أهل البحرين إلى الإسلام أو الجزية)، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم الخ..»[1].

ب: بل قيل: إنه وجَّه العلاء إلى البحرين في سنة ست[2].

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٢٠٩ عن المصادر التالية: الإصابة ج١ ص١٠٦ (٤٦١) وفتوح البلدان للبلاذري ص١٠٧ وفي (ط أخرى) ص٨٩ ومعجم البلدان ج١ ص٣٤٨ في كلمة بحرين، ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٠٥ و ٢٠٦ وراجع:المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٤ ص١٩٧ و ٢١١ ومسند ابن راهويه ج١ ص٢٣ والبحار ج٢٠ ص٣٩٦.

(٢) معجم البلدان ج١ ص٣٤٧ و (نشر مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة) ج١ ص٩٦ والبحار ج٢١ ص٤٩.

قال ابن الأثير في حوادث سنة ست: «وأما المنذر بن ساوى، والي البحرين، فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية، وكانت ولاية البحرين للفرس، فأسلم المنذر بن ساوى، وأسلم جميع العرب بالبحرين.

فأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس، فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية، من كل حالم دينار»[1].

ج: هناك كتابه «صلى الله عليه وآله» لأهل خيبر المتضمن لإسقاط الجزية والكلف والسخرة عنهم[2].

وقد ناقشوا في الكتاب، بأن فيه شهادة سعد بن معاذ الذي كان قد استشهد قبل خيبر بسنتين، وشهادة معاوية، وإنما أسلم بعد خيبر بسنة.

وبأن الجزية لم تكن وقت فتح خيبر، لأن آيتها قد نزلت سنة تسع.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص٢١٥ والجزية وأحكامها للكلانتري ص١٨.

(٢) مكاتيب الرسول ج١ ص٢٥٨ و ٢٥٩ وج٢ ص٣٣٦ عن: مجموعة الوثائق السياسية ص١٢٤ عن المنتظم لابن الجوزي ج٨ ص٢٦٥ و ٣١٢ في أحوال أحمد الخطيب البغدادي، وتذكرة الحفاظ للذهبي في أحوال الخطيب البغدادي ج٣ ص٣١٧ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج٣ ص١٢ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٢٥١ وج١٢ ص١٠١ و ١٠٢ والإرشاد لياقوت ج١ أحوال أحمد بن علي الخطيب البغدادي، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ للسخاوي ص٧٥ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ص٧ و ٨ والخطيب البغدادي ليوسف العش ص٣٢ وقد أرجع إلى: كتب ابن شهبة ص١٣٩ والسبكي ج٣ ص١٤ وتذكرة الحفاظ ج٣ ص١٧ أيضاً.

ولم يكن على أهل خيبر كلف ولا سخرة في زمن النبي «صلى الله عليه وآله» لتوضع عنهم.

ويمكن أن يجاب عن ذلك بما يلي:

إنه ليس بالضرورة أن يكون هذا الكتاب قد كتب لأصحاب الحصون في خيبر، فلعله كتب لبعض الجماعات الأخرى في خيبر، قبل استشهاد سعد بن معاذ.

ويمكن إلحاق شهادة معاوية بالكتاب بعد إسلامه بطلب من تلك الجماعة، وبموافقة النبي «صلى الله عليه وآله»..

وعن تأخير تشريع الجزية نقول:

إن هذا هو أول الكلام..

يضاف إلى ذلك: أن من الممكن ان تكون قد شرعت على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» قبل نزول الآية.

وعن الكلف والسخرة نقول:

لعلهم لم يريدوا بذلك رفع السخرة عنهم، بل اشترطوا ذلك احتياطاً لأنفسهم تحسباً من أن توضع عليهم في المستقبل.

د: وقد كتب إلى بكر بن وائل بالجزية، وذلك بعد سنة ثمان فراجع[1].

هـ: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا زيد الأنصاري إلى عبد وجيفر ابني الجلندى الأزديين في سنة ست، وقال «صلى الله عليه وآله» لأبي زيد:

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٥٢. وراجع: الإصابة ج٣ ص٢٩٣، والأنساب للسمعاني ج١ ص٤٥.

«خذ الصدقة من المسلمين، والجزية من المجوس»[1].

و: سئل الإمام الصادق «عليه السلام» عن المجوس: أكان لهم نبي؟

فقال: نعم، أما بلغك كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل مكة: أن أسلموا وإلا نابذتكم بحرب.

فكتبوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن خذ منا الجزية، ودعنا على عبادة الأوثان.

فكتب إليهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «إني لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب».

فكتبوا إليه يريدون بذلك تكذيبه: زعمت أنك لا تأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، ثم أخذت الجزية من مجوس هجر.

فكتب إليهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «إن المجوس كان لهم نبي فقتلوه، وكتاب أحرقوه»[2].

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص٩٣ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص١٧٨.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٣ وأشار في هامشه إلى المصادر التالية: الكافي ج٣ ص٥٦٨ كتاب الجهاد، والتهذيب ج٤ ص١١٣ وج٦ ص١٥٨ والتذكرة كتاب الجهاد، والبحار ج١٤ ص٤٦٣ والإختصاص ص٢٢٢ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٩٦ عن الكافي والتهذيب، وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٢١٣ ومرآة العقول ج١٦ ص١١٩. وراجع: مستدرك سفينة البحار ج٩ ص٣٣٨ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠٢ وميزان الحكمة ج٤ ص٣١٨٣.

وهناك نصوص ذكر فيها وضع الجزية أيضاً على بعض الفئات، مع احتمال أن يكون وضعها عليهم قبل غزوة تبوك، ونحن نذكر من ذلك ما يلي:

ألف: جاء في كتابه «صلى الله عليه وآله» للأسبذيين: «ومن أبى فعليه الجزية على رأسه معافاً، على الذكر والأنثى»[1].

ب: وقد كتب ليهود تيماء: «أن لهم الذمة وعليهم الجزية»[2]. وذلك حين بلغهم وطء النبي «صلى الله عليه وآله» لوادي القرى في سنة تسع. فلعل ذلك كان قبل شهر رجب الذي كانت فيه غزوة تبوك

ج: وكتب «صلى الله عليه وآله» إلى يُحَنَّة بن رؤبة وفيه: «فأسلم أو أعط الجزية»[3].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص١٢٤ عن مجموعة الوثائق السياسية ص١٥٥ و ١٥٦ عن الأموال لابن زنجويه.

(٢) مكاتيب الرسول ج٣ ص٤٢٢ و ٤٢٣ وأشار إلى المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج١ ص٢٧٩ وفي (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٢٩ وإعلام السائلين ص٤٩ ونثر الدر للآبي ج١ ص٢٢٧ ومدينة البلاغة ج٢ ص٣٣٠ واللسان والنهاية في سدى ومدى. ومجموعة الوثائق السياسية ص٩٨/ ١٩ عن: الطبقات، ومجموعة المكتوبات النبوية لأبي جعفر الديبلي الهندي ص٦ ثم قال: قابل الخراج لقدامة: ورقة ١٢٠ ـ ب، واللسان مادة عدا، والنهاية لابن الأثير مادة عدا، وانظر كايتاني ج٩ ص٥٠ واشبرنكر ج٣ ص٤٢١. وراجع: الفائق للزمخشري ج٣ ص٣٥٢ وناسخ التواريخ ص٣٠٥ في تاريخ رسول الله «صلى الله عليه وآله».

(٣) مكاتيب الرسول ج٣ ص٤٧٣ وأشار إلى المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج١ ص٢٧٧ وفي (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٨ وتهذيب تايخ ابن عساكر ج ص١٤ =

قال العلامة الأحمدي: «ولكن لم يعلم أنه كتبه إليه من تبوك أو قبل ذلك، ولم يتعرض له الناقلون، والذي يستفاد هو: أنه كتبه «صلى الله عليه وآله» إليه بعد نزول الجزية، إما سنة تسع، أو قبل فتح مكة»[1].

٤ ـ وأخيراً، فقد ذكرنا آنفاً: أنه لا مانع من ان يشرع الله تعالى بعض الأحكام على لسان نبيه «صلى الله عليه وآله»، ثم تنزل الآية القرآنية بعد ذلك بمدة لحكمة تقتضي ذلك.. فلا مجال للإصرار على تأخر تشريع الجزية استناداً إلى تأخر نزول الآية.

٤ ـ هلكت أموالهم:

عن عمران بن حصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذي قد خرج يدَّعي النبوة هلك، وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن، فبعث رجلاً من عظمائهم، وجهز معه أربعين ألفاً، فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر

= ورسالات نبوية ص١٧ وراجع: التراتيب الإدارية ج١ ص٢٠١ ومدينة البلاغة ج٢ ص٣٢٦ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٠٩ و ١٢٢ و ١٢٣ ومجموعة الوثائق السياسية ص١١٦/ ٣٠ عن الزرقاني ج٣ ص٣٦٠، وابن حجر في المطالب العالية ص٢٦٣١ عن المسدد. وقال: انظر كايتاني ج٩ ص٣٨ التعليقة الأولى، واشپرنكر ج٣ ص٤٢١ واشپربر ص٢١. وراجع: شرح الزرقاني ج٣ ص٣٦٠ والنهاية في بحر، والمفصل ج٤ ص٢٤٩ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٧٨.

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٤٧٩.

بالجهاد[1].

ونقول:

إنه لا مجال لقبول هذا النص على ظاهره:

فأولاً: هو يقول عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه قد هلك، وهذا غير صحيح، ولا يمكن أن يقدم على هذه الكذبة أحد، ولا سيما مع قيصر، الذي لا بد أن يواجه الكاذبين بالعقوبات القاسية حين يظهر له كذبهم، وأنهم قد سعوا للمكر به..

إلا إذا فرض: أنهم يقصدون بذلك أنه هلك من الناحية الإقتصادية مثلاً.. أو السياسية، أو يعاني من الضعف العسكري أو نحو ذلك..

ولكن هذا أيضاً لا يحل الإشكال، فإن قوته «صلى الله عليه وآله» قد تضاعفت، وقد سقطت أمام جيوشه كل حصون الكفر والشرك في المنطقة بأسرها.. فإذا ظهر لقيصر أنهم قد كذبوا عليه في هذا الأمر الواضح، فسوف يلحق بهم الأذى والهوان.

ثانياً: قد ادَّعوا: أن سنين من القحط والعدم قد اصابت المسلمين، حتى هلكت أموالهم، مع أن السنين إنما أصابت أهل مكة، وقد مدّ هو «صلى الله عليه وآله» لهم يد العون، تفضلاً منه وكرماً..

ثالثاً: إنه لم يمض على مواجهة جيش الروم للمسلمين في مؤتة سوى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٣ عن الطبراني بسند ضعيف، وعن مجمع الزوائد ج٦ ص١٩٤. وراجع: فتح الباري ج٨ ص٨٥، والمعجم الكبير ج١٨ ص٢٣٢، وكنز العمال ج١٣ ص٣٧، وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٦٣.

سنة وشهرين، وقد وجد فيهم من البسالة والإقدام ما يحير العقول، حتى لقد واجه ثلاثة آلاف منهم مئات الألوف من جيوش قيصر، ولم تستطع تلك الحشود الهائلة أن تقتل من جيش المسلمين سوى بضعة أفراد، وربما لم يمكنهم ذلك إلا بعد أن طحن المسلمون جيوشه الجرارة طحناً..

ولولا حدوث الخيانة من خالد بن الوليد، فلربما لم يخرج من الجيوش التي حشدها إلا أقل القليل..

فأين هي تلك السنون التي مرت على المسلمين حتى هلكت أموالهم وتَمَهَّدَ السبيل للإنقضاض والقضاء عليهم؟!

رابعاً: إذا كانت مئات الألوف القيصرية مع جيش منتصر على إمْبَراطورية فارس قد عجزت عن فعل أي شيء مع ثلاثة آلاف في بلاد بعيدة عن بلادها، فإذا أراد قيصر أن يقضي على المسلمين، ويستأصل شأفتهم، فسيحتاج إلى أضعاف ما حشده في مؤتة، ولا سيما بعد أن تعرض جيشه فيها لضربة روحية بالغة القسوة والأثر..

فما معنى أن يكتفي الآن بأربعين ألفاً، يرسلهم مع أحد قواده؟!!

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

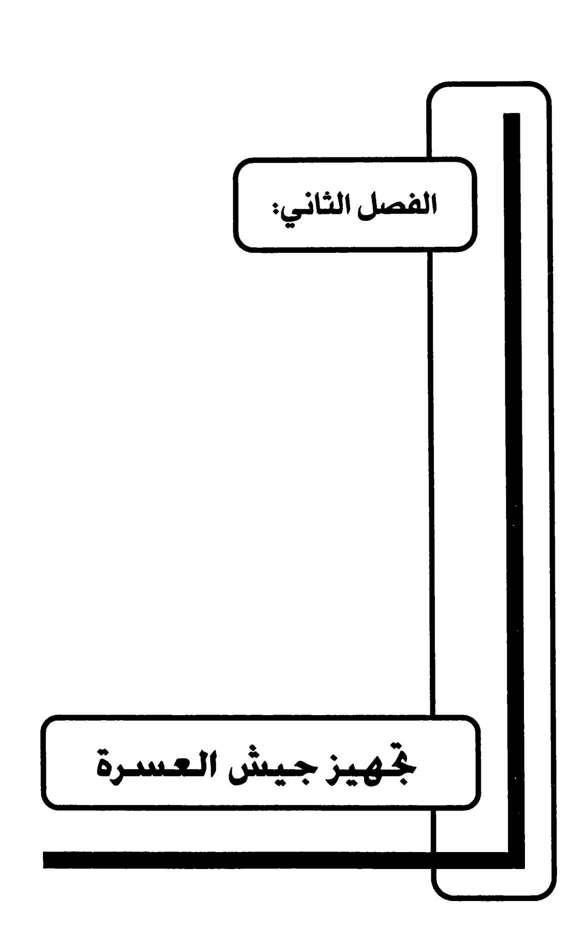
[illegible]

[illegible]

[illegible]

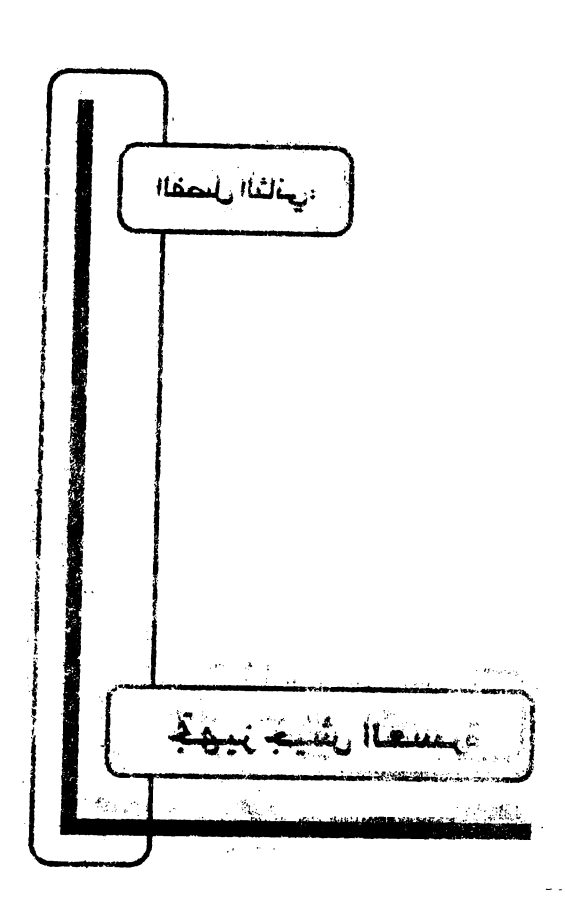
[illegible]

[illegible]



الفصل الثاني:

تجهيز جيش العسرة



الفصل الثاني:
تجهيز جيش العسرة

المنفقون في جيش العسرة:

لما عزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قتال الروم عام تبوك، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد، وحين طابتِ الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على تلك الحال من الزمان الذي هم عليه[1].

قرر رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسير إلى تبوك وحضّ على الصدقات، فجاؤوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر، جاء بماله كله أربعة آلاف درهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل أبقيت لأهلك شيئاً»؟.

فقال: أبقيت لهم الله ورسوله[2].

وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله، فقال رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٤. وتفسير الواحدي ج١ ص٤٦٣ و ٤٦٤، وزاد المسير ج٣ ص٢٩٦، وتفسير السمرقندي ج٢ ص٥٧و٥٨، وتفسير ابن زمنين ج٢ ص٢٠٥و٢٠٦، وتفسير الثعلبي ج٥ ص٤٦، ولباب النقول ص١١٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٩١ وحياة الصحابة ج١ ص٤٢٩ عن ابن عساكر ج١ ص١١٠.

وآله»: «هل أبقيت لأهلك شيئاً»؟

قال: نعم، مثل ما جئت به.

وحمل العباس، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن عبادة، وحمل عبد الرحمن بن عوف مائتي أوقية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً من تمر[1].

وعند الدياربكري: أن عمر جاء بنصف ماله. وأن طلحة جاء بمال، وجاء عبد الرحمن بمائتي أوقية من الفضة. وجاء سعد بن عبادة بمال، وجاء محمد بن مسلمة بمال، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقاً من تمر[2]..

وجعل الرجل من ذوي اليسار يحمل الرهط من فقراء قومه، ويكفيهم مؤونتهم، وبعثت النساء بكل ما قدرن عليه من مسك، ومعاضد، وخلاخل، وقرطة، وخواتيم[3].

كما أن العباس بن عبد المطلب قد حمل مالاً يقال: إنه تسعون ألفاً.

وفي نص آخر: جاء بمال كثير[4].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥. وتفسير السمرقندي ج٢ ص٧٧، والتفسير الكبير للرازي ج١٦ ص١٤٥.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣. وكنز العمال ج٢ ص٤٢٨ وج١٠ ص٥٦٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٤٨.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٤٨.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص١٤٨ والغدير ج٩ ص٣٣٠ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٤٨ والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج١ ص١١٣ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٤٢١.

وفي نص آخر: وحمل رجال، وقوى ناس دون هؤلاء من هم أضعف منهم، حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: هذا البعير بيننا نعتقبه، ويأتي الرجل بالنفقة، فيعطيها بعض من يخرج، حتى إن النساء كنَّ يبعثن بما يقدرن عليه.

وحمل كعب بن عجرة واثلة بن الأسقع[1].

فعن واثلة بن الأسقع قال: نادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك، فخرجت إلى أهلي ـ وقد خرج أول أصحابه ـ فطفت في المدينة أنادي: ألا من يحمل رجلاً وله سهمه؟ فإذا شيخ من الأنصار ـ سماه محمد بن عمر: كعب بن عجرة ـ فقال: سهمه على أن تحمله عقبة، وطعامه معنا؟

فقلت: نعم.

فقال: سر على بركة الله تعالى.

فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا[2].

قال الواقدي: بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة.

قال: فأصابني قلائص ـ قال الواقدي: ستة ـ فسقتهن حتى أتيته بهن.

فخرج، فقعد على حقيبة من حقائب إبله، ثم قال: سقهن مقبلات، فسقتهن.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٩١. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٣٥٧، وأسد الغابة ج٥ ص٧٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٦ عن الواقدي، وأبي داود. وراجع المصادر السابقة.

ثم **قال**: سقهن مدبرات، فقال: ما أرى قلائصك إلا كراماً.

فقلت: إنما هي غنيمتك التي شرطت لك.

قال: خذ قلائصك يا ابن أخي، فغير سهمك أردنا(١).

عثمان يجهز جيش العسرة:

وقال الواقدي أيضاً: وجهز عثمان بن عفان ثلث ذلك الجيش، حتى أنه كان يقال: ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم(٢).

قال الصالحي الشامي:

قلت: كان ذلك الجيش زيادة على ثلاثين ألفاً، فيكون جهز عشرة آلاف(٣).

وذكروا: أن عثمان حمل على تسعمائة بعير ومائة فرس بجهازها.

وقال ابن إسحاق: أنفق عثمان في ذلك الجيش نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها(٤).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٦ عن الواقدي. وسنن أبي داود ج١ ص٦٠٤، والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٨، والآحاد والمثاني ج٢ ص١٧٩، والمعجم الكبير ج٢٢ ص٨١ و٨٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ عن الواقدي. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٥ إمتاع الأسماع ج٢ ص٤٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ عن أبي عمرو في الدرر، وتبعه في الإشارة، وراجع: الغدير ج٩ ص٣٢٩ عن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٧٢ و (نشر مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٩٤٥ وعيون الأثر ج٢ ص٢٥٣ والدر المنثور ج٣ ص٢٤٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٧ والكامل في التاريخ ج٢ =

وفي نص آخر: أن عثمان أنفق في جيش العسرة ألف دينار. قلت: غير الإبل والزاد، وما يتعلق بذلك.

قال: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم ارض عن عثمان، فإني عنه راض»[1].

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بألف دينار في كمه حين جهز رسول الله «صلى الله عليه وآله» جيش العسرة، فصبها في حجر النبي «صلى الله عليه وآله»، فجعل النبي «صلى الله عليه وآله» يقلبها بيده ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»[2]. يرددها مراراً.

وعن عبد الرحمن بن خُباب قال: خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

= ص٢٧٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٦٧ والثقات لابن حبان ج٢ ص٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ عن ابن هشام، وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٧، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ عن أحمد، والبيهقي، والترمذي وحسنه، وقال في هامشه: أخرجه الترمذي (٣٧٠١) والحاكم ج٣ ص١٠٢ وابن أبي عاصم ج٢ ص٥٨٧ (٥٩٢) والبيهقي في الدلائل ج٥ ص٢١٥، وانظر البداية والنهاية ج٥ ص٤، وراجع: سنن الترمذي ج٥ ص٢٨٩، وكتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص٥٧٣، وتفسير السمعاني ج٥ ص٣٦٧.

فحثّ على جيش العسرة، فقال عثمان: عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها.

ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث، فقال عثمان: عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها.

ثم نزل مرقاة أخرى فحث، فقال عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها.

فرأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول بيده ـ هكذا ـ يحركها كالمتعجب: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم».

أو قال: بعدها[1].

وعن الأحنف بن قيس قال: سمعت عثمان يقول لسعد بن أبي وقاص، وعلي، والزبير، وطلحة: أنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «من جهز جيش العسرة غفر الله له»، فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟

قالوا: اللهم نعم[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ و ٤٣٦ عن زوائد المسند، والبيهقي، والترمذي، وفي هامشه عن: الترمذي (٣٧٠٠) وأحمد ج٤ ص٧٥ وابن سعد ج٧ ص٥٥، وأبي نعيم في الحلية ج١ ص٩٩، والدولابي في الكنى ج٢ ص١٧، والبخاري في التاريخ ج٥ ص٢٤٧، وراجع: الغدير ج٩ ص٣٣١ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٨٩ وعمدة القاري ج١٤ ص٧٢ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٦٤ والآحاد والمثاني ج٣ ص١٠٣ والمعجم الأوسط ج٦ ص٩٨ وكنز العمال ج١١ ص٥٩٤. بالإضافة إلى مصادر كثيرة..

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٦ عن الطيالسي، وأحمد، والنسائي، وفي هامشه=

مناقشة النصوص:

ولا بد لنا من وقفة أو وقفات مع النصوص المتقدمة، لكي ندل على زيف الزائف، ونأخذ بما هو متيقن أو أرجح، فنقول:

أبو بكر ينفق ماله كله:

ويستوقفنا هنا حديث نفقة أبي بكر في تبوك، من عدة جهات، نذكر منها ما يلي:

١ ـ قولهم إن أبا بكر جاء بماله كله، أربعة آلاف درهم يجعلنا نتساءل:

لماذا لم ينفق من هذه الأربعة آلاف ولو درهماً واحداً ليناجي رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين أمر الله تعالى المسلمين بذلك؟! حيث لم يعمل بآية النجوى سوى علي «عليه السلام»[1].

= قال: أخرجه البيهقي ج٦ ص١٦٧ والدارقطني ج٤ ص٢٠٠ والنسائي في الأحباس باب (٤)، والبيهقي في الدلائل ج٥ ص٢١٥. وراجع: مسند أحمد ج١ ص٧٠ وسنن النسائي ج٦ ص٢٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٦٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٤ والسنن الكبرى ج٤ ص٩٦ وكنز العمال ج١٣ ص٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص ٣٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص١١١٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٨ وج٧ ص١٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٧.

(١) راجع: الأوائل ج١ ص٢٩٧ ودلائل الصدق ج٢ ص١٢٠ وتلخيص الشافي ج٣ هامش ص٢٣٥ و ٢٣٧ عن العديد من المصادر. وراجع: المستدرك للحاكم ج٢ ص٤٨٢، وفتح الباري ج١١ ص٦٨، وتحفة الأحوذي ج٩ ص١٣٨، وغيرهم.

٢ ـ كيف قبل النبي «صلى الله عليه وآله» منه أن لا يبقي لأهله شيئاً؟ فأين رحمة النبي «صلى الله عليه وآله» ورأفته بالمؤمنين؟!..

ولا سيما إذا كان أبوب بكر يملك بعض الأموال، إذ إن ذلك يجعله مسؤولاً عن نفقة عائلته، ولا يصح منه تركهم بلا مال، كما لا يصح أن يكفلهم النبي «صلى الله عليه وآله» بالطرق الغيبيّة على سبيل الكرامة لأبي بكر..

٣ ـ على أن لنا أن نسأل: هل أبقى النبي «صلى الله عليه وآله» لأهله شيئاً أيضاً؟

فإن كان الجواب بالإيجاب، فإن أبا بكر يكون أفضل وأسخى واكثر رغبة بثواب الله من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟.. ولماذا لم يقتد «صلى الله عليه وآله» بأبي بكر في هذه الحالة؟!!

وإن كان الجواب بالنفي، فنقول: ألَم يكن لأهل أبي بكر حقوق عليه؟! أم أن ذلك لا يعد تفريطاً بحقوق الأهل، وتخلياً عن أمر واجب عليه؟!

أم أن الذي سوَّغ له ذلك هو تزاحم الواجبات، فقدّم الأهم على المهم؟! فإن كان الأمر كذلك، فقد كان يجب على عمر أيضاً، وعلى غيره من الصحابة أن يأتوا بجميع أموالهم.

أم أن القصة مختلقة من أساسها؟!!

٤ ـ لماذا لم ينزل في هذا الذي أنفق ماله كله شيء من القرآن، ولو بمقدار نصف آية، كما نزل في علي «عليه السلام» حين نزلت فيه الآيات والسور، لتثني على تصدقه بخاتم في صلاته، فنزلت فيه آية الولاية، وبأقراص شعير فنزلت سورة هل أتى، وبدرهم ليلاً، ودرهم نهاراً، وبدرهم سراً، ودرهم

علانية، فنزلت الآية المشيدة بذلك[1].

فهل اقتضت عدالة الله الثناء على هذا، وحرمان ذاك ولو من نصف آية رغم بذله لماله كله في سبيل الله؟!..

واللافت هنا: أن هذه الأربعة آلاف تبقى هي المحور بالنسبة إلى أبي بكر، كما سنشير إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى، فسبحان من يغيّر، ولا يتغير.

كعب بن عجرة كان عثمانياً:

وعن حديث واثلة بن الأسقع مع كعب بن عجرة، وأن كعباً حمله إلى تبوك، ولم يرد إلا ثواب الله نقول:

قد تكون هذه القصة موضوعة إكراماً لعيني كعب بن عجرة، كما أنها قد تكون صحيحة، ولكن ذلك لا يعني أن تكون عاقبة كعب بن عجرة إلى خير، فقد ذكر الطبري: أن كعباً هذا كان عثمانياً، وقد امتنع عن بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»[2].

حديثهم يكذب بعضه بعضاً:

وبعد، فإننا إذا أخذنا بحديث مناشدة عثمان لعلي «عليه السلام» وسعد، وطلحة، والزبير في أنه جهز جيش العسرة حتى ما يفقدون خطاماً ولا

---

(١) راجع مصادر ذلك في فصل: هجرة النبي «صلى الله عليه وآله»، في الأجزاء الأولى من هذا الكتاب.

(٢) قاموس الرجال ج٧ ص٤٢٣. وأنساب الأشراف للبلاذري ص٢٩١.

عقالاً[1]، فإنه يدل على ارتفاع حاجة جيش العسرة إلى مال أبي بكر، وعمر، وطلحة، وسعد، والعباس، وابن عوف، وابن مسلمة، وسواهم من المقربين والمؤيدين للسلطة، أو من أركانها المنحرفين عن أمير المؤمنين علي وأهل بيته «عليهم السلام»..

وسنشير إلى طائفة من تناقضات رواياتهم هذه فيما يأتي من مناقشة لتجهيز عثمان لجيش العسرة..

لم يكن في تبوك عسرة مالية:

وجميع دعاواهم هذه ترتكز على دعوى أن غزوة تبوك كانت في شدة من الزمان، حتى سموا ذلك الجيش بجيش العسرة[2]، اقتباساً من الآية القرآنية التي أطلقت هذا الوصف في هذه المناسبة، فقد قال تعالى في إلماحة منه إلى حالتهم هذه: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ**

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٦ عن الطيالسي، وأحمد، والنسائي، وفي هامشه عن: سنن البيهقي ج٦ ص١٦٧ ودلائل النبوة للبيهقي أيضاً ج٥ ص٢١٥ وسنن الدارقطني ج٤ ص٢٠٠ والنسائي في الأحباس، باب٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٤. وتفسير غريب القرآن للطريحي ص٢٦٣، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٨٠ وعمدة القاري ج١٦ ص٢٠٢ وج١٨ ص٢٧٧ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٣٠ ومعاني القرآن للنحاس ج٣ ص٢٠٩ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٧٨ وتفسير البغوي ج٢ ص٣١٥ والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ج٣ ص٦٥ وتفسير الرازي ج١٦ ص٥٩ وتفسير ابن كثير ج٢ ص٣٧٢ و٣٩١ والنهاية لابن الأثير ج٣ ص٢٣٥.

﴿اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

ثم رتبوا مقولات لا أساس لها عن نفقات هذا الصحابي أو ذاك، وجعلوا ذلك ذريعة لنسبة الفضائل والكرامات لمن أعوزتهم الفضائل في شتى مجالاتها ومظاهرها.

والحقيقة هي: أنه لم تكن في تبوك عسرة مالية، ولا احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى أخذ الأموال من أحد، وهذا هو ما قررته الآيات القرآنية الكثيرة، التي نزلت لتعالج أمر هذه الغزوة..

ويدلنا على ذلك أمور:

١ ـ قد ذكرت الآيات والروايات: أن المشكلة الأساسية في حرب تبوك هي الخوف والرعب من بني الأصفر، ففي بعض النصوص: أن الجد بن قيس مثلاً قد اعتذر عن تخلفه بقوله: «ما لي وللخروج في الريح والحر الشديد، والعسرة إلى بني الأصفر، فوالله ما آمن خوفاً من بني الأصفر، وأنا في منزلي، أفأذهب إليهم أغزوهم، إني والله يا بني عالم بالدوائر»[2].

٢ ـ إنهم لا يتوقّعون من تلك الغزوة غنائم ولا سبايا، ولا فتح بلاد، وهذا هو ما يسعى إليه الكثيرون منهم، حيث رضوا بالحياة الدنيا، ولولا ذلك لسارعوا إلى الخروج، لأنهم كانوا يعرفون أن الحرب ستكون مع جبار، لا يسهل الحصول على شيء من ذلك معه.

---

(١) الآية ١١٧ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٧.

وقد رووا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال للجد بن قيس يحرضه على الخروج: «تجهز فإنك موسر، لعلك تحقب من بنات بني الأصفر»[1].

وقال تعالى مشيراً إلى ذلك، وإلى كذبهم في تعللاتهم التي يسوقونها للتخلص والتملص من المسير: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[2].

٣ ـ إنهم كرهوا أن ينفروا في الحر ـ بحسب زعمهم ـ قال تعالى: ﴿..وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[3].

٤ ـ إنهم قد رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[4].

٥ ـ إنه لا صحة لما يدَّعى من وجود شحة في الأموال، وحاجة إلى النفقات، ولذلك لم تزل الآيات الكثيرة تنعى عليهم امتناعهم عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، رغم كثرة الأموال لديهم.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[5].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٣٣ والدر المنثور ج٣ ص٢٤٨.

(٢) الآية ٤٢ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٨١ من سورة التوبة.

(٤) الآية ٣٨ من سورة التوبة.

(٥) الآية ٥٥ من سورة التوبة.

وقال جل وعلا: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾(٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾(٤).

٦ ـ قد صرحت الآيات القرآنية في نفس مناسبة غزوة تبوك: بأن الله تعالى لم يطلب من الذين لا يجدون ما ينفقون أن ينفروا للغزو، فلا معنى للتعلل بفقدان ما يحتاجون إليه من أموال، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ

---

(١) الآية ٦٩ من سورة التوبة.

(٢) الآيات ٧٥ ـ ٧٧ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٨١ من سورة التوبة.

(٤) الآيتان ٨٥ و ٨٦ من سورة التوبة.

وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾[1].

ويقول بعض الإخوة هنا: إن نفس هذه الآيات دليل على أن الأكثرين كانوا يجدون ما ينفقون، إذ لا يصح في الحكمة ترخيص غير الواجد إذا كانوا الأكثر، أو فقل: إذا كانوا بحيث لو رخِّصوا لم يبق من يخرج إلا القليل، ثم هي تدل على أن الآخرين كانوا واجدين من عند أنفسهم، لا بتبرع فلان وفلان، وإلا فلماذا الترجيح بجعل هذا واجداً، وهو لم يجد إلا من التبرعات، وجعل ذلك فاقداً ثم ترخيصه في العقود؟!

٧ ـ إنه ليس بالضرورة أن يكون المقصود بالآيات التي مدحت اتباع النبي «صلى الله عليه وآله» في ساعة العسرة خصوص العسرة المالية، فإن كون الإسلام والمسلمين في خطر شديد وأكيد من قبل جبار بني الأصفر، مع ظهور الفشل في أصحابه، وإصرار المنافقين على المكر به «صلى الله عليه وآله» وبالمسلمين ـ إن ذلك ـ من أعظم موجبات العسر والحرج على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكيف إذا كان سبب تخلف الكثيرين هو هذه الأمور التافهة، مثل بُعد الشقة، وكون الجو حاراً، وترك مواسم القطاف للثمار التي أينعت، وما إلى ذلك؟!

وذلك كله يدل على أن المقصود بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ

---

(١) الآيات ٩١ ـ ٩٣ من سورة التوبة.

﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾(١)، ليس هو العسرة المالية، بل هو الخطر الشديد والأكيد على الإسلام وأهله، إذ لو كان المراد العسر المالي، فالمفروض أنه لم يكلفهم بالمسير معه، كما أنهم معذورون في التخلف عنه، ولا مورد لشن هذا الهجوم على المتخلفين، ولا يحسن تأنيبهم بهذه الحدة والشدة..

٨ ـ على أنهم يدَّعون: أن عثمان وبعضاً آخر قد أزاحوا علة الجيش كله من الناحية المالية، ولم تبق عسرة، رغم أن الآية المشار إليها آنفاً تقول: إن العسرة باقية، وقد كاد يزيغ قلوب فريق من المهاجرين والأنصار، لولا أن الله تعالى قد تداركهم بالتوبة..

٩ ـ إن الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع هم أفراد قليلون جداً، لا يزيدون على سبعة أشخاص معروفة أسماؤهم وقبائلهم(٢).

فإذا كان عثمان وطلحة وعمر وبعض آخر، قد جهزوا جيش العسرة الذي كان يعد بعشرات الألوف، فهل عجزوا عن تجهيز سبعة أشخاص، وتركوهم حتى تولوا وأعينهم تفيض من الدمع؟! ولم يرق لهم قلب، ولا ارتعش لهم جفن. رغم أن ما سألوه لم يكن هو الدواب والمراكب، بل مجرد

---

(١) الآية ١١٧ من سورة التوبة.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٦٧ و ٢٦٨ عن ابن جرير، وابن مردويه، وابن أبي شيبة، وابن سعد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن إسحاق، وأبي الشيخ ، عن محمد بن كعب، ومجمع بن حارثة، ومجاهد، والزهري، ويزيد بن يسار، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر وبن قتادة وغيرهم.. وراجع: تفسير السمرقندي ج٢ ص٨١، وتفسير الثعلبي ج٥ ص٨١.

أن يزودوهم بنعال[1]، أو بالماء والزاد، كما في بعض الروايات[2].

إن ذلك كله يدلنا على أن القضية لم تكن هي أن الجيش كله أو جله كان في عسرة من أمره، بل القضية هي شحة هؤلاء الناس بأموالهم وأنفسهم وسعيهم للتملص من هذا المسير، الذي كان لازماً وضرورياً جداً.. وعليه يتوقف حفظ الدين وحياة المسلمين، في حين أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يذكرهم في كل يوم من على منبره ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض».

تجهيز عثمان لجيش العسرة خرافة:

وأما بالنسبة لحديث تجهيز عثمان لجيش العسرة، فلا يمكن قبوله، من الناحية العلمية، بل الأدلة متضافرة على لزوم رده، والحكم عليه بأنه موضوع ومصنوع.. وقد تعرَّض العلامة الأميني «رحمه الله» في كتابه القيم «الغدير» لهذا الحديث، وبيَّن طرفاً من تناقضاته، وأكد عدم صحة أسانيده[3].

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٦٨ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مشيخة من جهينة، وإبراهيم بن أدهم، والحسن. وراجع: تفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٦٣، وفتح القدير ج٢ ص٣٩٤، وتفسير الآلوسي ج١٠ ص١٥٩، وتفسير الثعلبي ج٥ ص٨١، وأسباب نزول الآيات ص١٧٤، وتفسير البيضاوي ج٣ ص١٦٥، وغيرهم.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٦٨ عن ابن أبي حاتم عن أنس.

(٣) راجع: الغدير (ط مركز الغدير للدراسات الإسلامية سنة ١٤١٦هـ قم ـ إيران) ج٩ ص٤٤٧ ـ ٤٧٢.

ونحن نذكر هنا بعض تناقضات هذا الحديث، ثم نعقِّب ذلك ببعض ما يفيد ويزيد في جلاء الحق، و سطوع شمس الحقيقة، فنقول:

تناقض الروايات:

قال ابن هشام: أنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها، حدثني من أثق به: أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار.

زاد الصالحي الشامي قوله: غير الإبل والزاد[1]..

وأنه «صلى الله عليه وآله» قال: ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم..

وعند الكلبي: جهزهم بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، زاد قتادة عليها سبعين فرساً أيضاً[2]..

وعند البلاذري: جهزهم بسبعين ألفاً[3]..

وعند الطبراني: جهزهم بمائتي بعير بأحلاسها وأقتابها، ومائتي أوقية

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٦١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣ والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص١٤٨ وابن أبي عاصم ج٢ ص٥٨٧ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٠٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٢١٥ وحلية الأولياء ج١ ص٥٩ ومسند أحمد ج٦ ص٥٥ حديث رقم ٢٠١٠٧، وقرة العيون المبصرة ج١ ص١٧٩ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٥٨٥.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣. وعمدة القاري ج٨ ص٢٩٧، وأسباب نزول الآيات للواحدي ص٥٥.

(٣) أنساب الأشراف ج٦ ص١١٢.

من الذهب[١].

وعند أبي يعلى: سبع مائة أوقية من الذهب[٢].

وعند ابن عدي: بعشرة آلاف دينار[٣].

وعند ابن حنبل: بثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وقال صلى الله عليه وآله: ما على عثمان ما عمل بعد هذا[٤].

وعند ابن عساكر: جهز ثلث الجيش[٥].

وعند ابن الأثير: جهز نصف جيش العسرة[٦].

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣ وراجع: الغدير ج٩ ص٣٢٩ عن الطبراني.

(٢) فتح الباري ج٥ ص٣٠٦ ومجمع الزوائد ج٩ ص٨٥ والغدير ج٩ ص٣٢٩.

(٣) الكامل ج١ ص٣٤٠ وراجع: السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص١٤٨ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٣٨ وفتح الباري ج٨ ص٤٠٨ وج٧ ص٥٤ والمواهب اللدنية ج١ ص٦٢٧ وشرح المواهب ج٣ ص٦٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣ والغدير ج٩ ص٣٢٩.

(٤) مسند أحمد ج٥ ص٢٨ و٣٨ وحلية الأولياء ج١ ص٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ و٤٣٦ وابن سعد ج٧ ص٥٥ والتاريخ الكبير للبخاري ج٥ ص٢٤٧ والدولابي في الكنى ج٢ ص١٧ والترمذي رقم ٣٧٠٠.

(٥) السنن الكبرى ج٦ ص١٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ وسنن الدارقطني ج٤ ص١٢٤ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٤٨ والمعجم الأوسط ج٢ ص٣٩ وموارد الظمآن ج٧ ص١٢٠.

(٦) أسد الغابة ج٣ ص٥٨٢ ومسند أحمد ج١ ص٥٩ وسنن النسائي ج٦ ص٢٣٦ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٨١ والسنن الكبرى ج٤ ص٩٨ وسنن الدارقطني ج٤ ص١٢٤ وكنز العمال ج١٣ ص٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٣٣٩.

وفي الكامل في التاريخ: قيل كانت ثلاث مئة بعير وألف دينار[1].

وعند عماد الدين العامري: أنفق ألف دينار، وحمل على تسعمائة بعير، ومائة فرس. والزاد، وما يتعلق بذلك، حتى ما تربط به الأسقية[2].

وفي الحلبية أيضاً: عند بعض أعطى ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً[3].

وعن أبي عمرو في الدرر: أن عثمان حمل على تسعماية بعير ومئة فرس بجهازها[4].

أبو بكر أعطى ماله كله:

تقدم: أنهم يقولون: إن أبا بكر قد أعطى في هذه الغزوة ماله كله[5].

وقالوا: إنه ـ يعني مال أبي بكر ـ كان أربعة آلاف درهم[6].

---

(١) الكامل في التاريخ ج١ ص٦٣٥ والغدير ج٩ ص٣٢٩ عنه.

(٢) السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ مطبعة مصطفى محمد بمصر) ج٣ ص١٤٨ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٠ والغدير ج٩ ص٣٢٩ عنه.

(٣) راجع: الغدير ج٩ ص٤٤٨ و ٤٤٩، والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص١٤٨ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٠.

(٤) الدرر لابن عبد البر ص٢٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٩ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٠.

(٥) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣ وتاريخ ابن عساكر ج١ ص١١٠، وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص٦٤ والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ بمصر) ج٣ ص١٤٨ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥.

(٦) حياة الصحابة ج١ ص٤٢٩ عن ابن عساكر ج١ ص١١٠ وسبل الهدى والرشاد =

ونحن وإن كنا قد أثبتنا قبل صفحات يسيرة عدم صحة ذلك، ولكننا نقول:

إنه على فرض صحة ذلك، وإلزاماً لهؤلاء القائلين بما ألزموا به أنفسهم نسأل: ألم يكن من حمل ماله كله أولى من عثمان بالإعلان بشأنه، والدعاء له، والثناء عليه؟! وإذا كانت النفقات العظيمة لا تختص بعثمان، فلماذا يفوز عثمان وحده بالأوسمة، والألقاب، دون غيره. ممن أنفق وساهم من الرجال والنساء؟!.

فإن الثناء على الرجل بملاحظة مستوى تضحيته أولى من الثناء عليه بملاحظة مقدار ما يبذله من مال!. لا سيما وأن الثناء إنما جاء من رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى..

حديث المناشدة باطل:

ثم إنهم يقولون: إن جيش العسرة ـ كما يقولون ـ كان ثلاثين ألفاً وكان معهم من الإبل اثنا عشر ألف بعير، وعشرة آلاف فرس، وعند أبي زرعة كانوا سبعين ألفاً، وفي رواية أربعين ألفاً[1].

= ج٥ ص٤٣٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٩١ والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص١٤٨ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣.

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد: رقم التسلسل ٦٨٣، وتاريخ ابن عساكر ج١ ص١١١ وإمتاع الأسماع ص٦٥٠ وفتح الباري ج٨ ص٩٣ والمواهب اللدنية ج١ ص١٧٣ وإرشاد الساري ج٦ ص٤٣٨ وشرح بهجة المحافل ج٢ ص٣٠ والغدير ج٥ ص٤٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص١٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢.

وقد تقدم: أن عثمان حينما حوصر، ناشد طلحة والزبير، وسعداً، وأضافت بعض الروايات الإمام علياً «عليه السلام» أيضاً، فكان مما قررهم به، فأقروا: أنه صاحب جيش العسرة، وأنه اشترى بئر رومة[1].

وعند البلاذري أنه قال: أنشدكما الله هل تعلمان أني جهزت جيش العسرة من مالي؟![2].

وفي نص آخر: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من حفر بئر رومة فله الجنة، فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزته؟ قال: فصدقوه لما قال[3].

وقد صرح بأنهما اعترفا له بأن النبي حكم له بأنه شهيد، وبأنه من أهل الجنة، مقابل ما بذله في بئر رومة، ومقابل ما بذله في شراء ما أضيف إلى المسجد.

---

(١) راجع: مسند أحمد ج١ ص١١٣ و ١٢٠ حديث ٥٥٦ و ٥١٣، والإصابة ج٢ ص٤٦٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٦٧ وحلية الأولياء ج١ ص٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٦ وسنن الدارقطني ج٤ ص٢٠٠ وسنن النسائي في الأحباس باب ٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٢١٥.

(٢) أنساب الأشراف ج٦ ص١٠٦ وراجع: السنن الكبرى ج٦ ص١٦٨ والغدير ج٩ ص٣٣٢ وسنن النسائي ج٦ ص٢٣٥ وكنز العمال ج١٣ ص٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٣٣٦.

(٣) البخاري كتاب الوصايا (ط دار الفكر سنة ١٤٠١ هـ) ج٣ ص١٩٣ وفتح الباري ج٨ ص٤٠٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٦٧ وسنن الدارقطني ج٤ ص١٢٥.

ونقول:

ألف: كيف أقر طلحة والزبير لعثمان بما ذكر، ثم واصلا حربه ضدهم، ولم يرتدعا عن محاصرته التي انتهت بقتله؟!.. وكيف وبماذا بررا ذلك للناس، الذين سمعوا عثمان يقررهما، وسمعوهما يقران له بذلك؟!

ب: كيف عرف سائر الصحابة: أن الله قد غفر لعثمان ذنوبه ثم يعاملونه هذه المعاملة ويحرضون على قتله، بل ويشاركون فيه بحجة أنه قد خالف أحكام الله، وتعدى حدوده؟!

وكيف يقتلون رجلاً وعده الله ورسوله بالجنة، وحكم بغفران كل ذنوبه، التي سوف يرتكبها.. أو صرح بعدم إضرار أي من ذنوبه به عند الله؟!..

ج: هل صحيح: أن من يبذل هذا المقدار من المال الذي بذله عثمان يمكنه أن يفعل ما يشاء من الذنوب، كبيرها، وصغيرها، حتى ما توعد الله عليه بالخلود بالنار كقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وما إلى ذلك؟

د: إذا صحت هذه الرواية فينبغي أن لا يتخلف أحد عن المسير إلى تبوك لارتفاع العسرة عن الجميع بما أعطاه عثمان، فلماذا يرجع الناس إلى منازلهم يبكون، لأنهم لم يجدوا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يحملهم عليه كما نصت عليه الآيات الآتية؟!

هـ: إذا كان ذلك صحيحاً، فلماذا احتاج إلى مال أبي بكر، ونصف مال عمر، وما أعطاه العباس، وطلحة، وسعد، والزبير، وابن مسلمة، و.. و.. الخ..

و: إذا صح ذلك لم يكن معنى للتخفيف عن الذين لا يجدون، وتصبح الآية الكريمة التي تتحدث عن هؤلاء بلا موضوع ويبطل قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾[1].

ز: إذا صح ذلك فلماذا تنزل الآية المقرعة واللائمة، والمتوعدة بالعذاب والعقاب لأولئك الذين لم ينفقوا في سبيل الله، إذ لا مورد ولا محل لنفقاتهم بعد ما أعطاه عثمان.

إلا إذا كان قد ظهر منهم قبل إنفاق عثمان ما يدل على امتناعهم عن البذل في سبيل الله، مع قدرتهم على ذلك.

بئر رومة:

إن شراء عثمان لبئر رومة بماله، ووقفه لها على المسلمين، حديث باطل لأسباب كثيرة، كما أن حديث مناشدته لطلحة والزبير، أو لهما بالإضافة إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، المتضمن لذكر هذا الأمر، ولأمور باطلة أخرى، ولتناقضات لا دواء لها، لا يمكن أن يصح أيضاً، فراجع[2].

لا توجد أموال بهذا الحجم:

إنه لم يكن لدى الصحابة تلكم المبالغ الهائلة، التي يدَّعى أن عثمان قدّم

---

(١) الآيات ٩١ ـ ٩٣ من سورة التوبة.

(٢) الجزء الرابع من هذا الكتاب (الطبعة الرابعة) ص١٦٣ ـ ١٦٨.

أرقاماً منها في جيش العسرة، لا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا في عهد أبي بكر.

فقد روي أن أنس بن مالك، جاء بمال إلى عمر، بعد موت أبي بكر، فبايع عمر، ثم أخبره بأنه قد جاء بأربعة آلاف، فأعطاه إياها. قال أنس: فكنت أكثر أهل المدينة مالاً[1].

عثمان والعدل الإلهي:

إذا كان لعثمان هذا السخاء، وهذا الاندفاع للعطاء في سبيل الله، فلماذا لم يتصدق ولو بدرهم، في مناسبة آية النجوى، التي لم يعمل بها سوى علي «عليه السلام»؟![2].

---

(١) حياة الصحابة ج٢ ص٢٣٥ وكنز العمال ج٥ ص٤٠٥ عن ابن مسعود. وراجع: تهذيب الكمال للمزي ج٣ ص٣٧٢، وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٨٥٤.

(٢) المناقب للخوارزمي ص١٩٦ والرياض النضرة ج٣ ص١٨٠ والصواعق المحرقة ص١٢٩ عن الواقدي، ونظم درر السمطين ص٩٠ و ٩١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٢٧ و ٣٢٦ وجامع البيان ج٢٨ ص١٤ و ١٥ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٢٨ ص٢٤ و ٢٥ وكفاية الطالب ص١٣٦ و ١٣٧ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٤٢٨ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٤٨٢ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك) ج٢ ص٤٨٢ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٦٤ و ٢٦٥ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٦٧٣ و ٦٧٥ ولباب التأويل ج٤ ص٢٢٤ ومدارك التنزيل (مطبوع بهامش لباب التأويل) ج٤ ص٢٢٤ وأسباب النزول ص٢٣٥ وشواهد التنزيل ج٢ ص٢٣١ و ٢٤٠ والدر المنثور ج٦ ص١٨٥ عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، =

فمن يبخل بدرهم كيف يعطي هذه الألوف المؤلفة، ثم يجهز جيشاً بأكمله؟! إننا نتوقع أن تنزل في الثناء عليه سورة مثل سورة البقرة، فضلاً عن آية أو آيات..

كما أن الإمام علياً «عليه السلام» حين تصدق بأربعة دراهم سراً وجهراً وليلاً ونهاراً، نزلت فيه آية قرآنية[1].

وحين يُطعم ثلاثة أقراص شعير لمسكين ويتيم وأسير، تنزل فيه سورة

= والحاكم وصححه، وسعيد بن منصور، وابن راهويه. وفتح القدير ج٥ ص١٩١ والتفسير الكبير ج٢٩ ص٢٧١ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٣٠٢ والكشاف ج٤ ص٤٩٤ وكشف الغمة ج١ ص١٦٨ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج٣ ص١٢٩ و ١٤٠ وج١٤ ص٢٠٠ ـ ٢١٧ وج٢٠ ص١٨١ ـ ١٩٢ عن بعض من تقدم، وعن مصادر كثيرة أخرى. وإعلام الورى ص١٨٨.

(١) الكشاف ج١ ص٣١٩ وتفسير المنار ج٣ ص٩٢ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وغيرهما، والتفسير الكبير ج٧ ص٨٣ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٢٦ عن ابن جرير، وابن مردويه وابن أبي حاتم، وفتح القدير ج١ ص٢٩٤ عن عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، وابن عساكر وغيرهم، والدر المنثور ج١ ص٣٦٣ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص٥٠ وأسباب النزول ص٥٠ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٣٤١ عن العياشي، والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٠٧ ونظم درر السمطين ص٩٠ وذخائر العقبى ص٨٨ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤١٢ والمناقب لابن المغازلي ص٢٨٠ وينابيع المودة ص٩٢، وروضة الواعظين ص٣٨٣ و ١٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص٢١.

كاملة، هي سورة «هل أتى»[١]..

ويتصدق بخاتم في الصلاة فتنزل فيه آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢]»[٣].

---

(١) المناقب للخوارزمي ص١٨٩ و ١٩٥، والرياض النضرة ج٣ ص٢٠٨ و ٢٠٩ والتفسير الكبير ج٣٠ ص٢٣٤ و ٢٤٤ عن الواحدي، والزمخشري. وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٢٩ ص١١٢ و ١١٣ والكشاف ج٤ ص٦٧٠ ونوادر الأصول ص٦٤ و ٦٥ والجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص١٣١ عن النقاش، والثعلبي، والقشيري، وغير واحد من المفسرين. واللآلي المصنوعة ج١ ص٣٧٢ و ٣٧٤ ومدارك التنزيل للنسفي (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج٤ ص٣٣٩ وكشف الغمة ج١ ص١٦٩ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٦٩ و ٤٧٧ عن أمالي الصدوق، والقمي، والطبرسي، وابن شهرآشوب، وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٧٤٩ و ٧٥٢ وتفسير فرات ص٥٢١ و ٥٢٨ وذخائر العقبى ص٨٩ وتفسير القمي ج٢ ص٣٩٨ و ٣٩٩ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤١٢ والوسائل ج١٦ ص١٩٠، وفرائد السمطين ج٢ ص٥٤ و ٥٦ ومجمع البيان ج١٠ ص٤٠٤ و ٤٠٥ والمناقب لابن المغازلي ص٢٧٣ والإصابة ج٤ ص٣٧٨ وينابيع المودة ص٩٣ و ٩٤ وروضة الواعظين ص١٦٠ و ١٦٣ ونزهة المجالس ج١ ص٢١٣ وربيع الأبرار ج٢ ص١٤٧ و ٢٤٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص٢١ وأسد الغابة ج٥ ص٥٣٠ و ٥٣١ والبحار ج٣٥ ص٢٣٧ ـ ٢٥٤ وإحقاق الحق ج٩ ص١١٠ ـ ١٢٣ وج٣ ص١٥٧ ـ ١٧٠ عن مصادر كثيرة.

(٢) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٣) راجع المصادر التالية: الكشاف ج١ ص٦٤٩ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص٩٣ عن الطبراني، وابن جرير، وأسباب النزول ص١١٣ وتفسير المنار ج٦ ص٤٤٢، =

فلماذا أهمل الله نفقات عثمان، وهي هائلة، واهتم بذكر نفقات أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي بضعة دراهم، أو بضعة أقراص من شعير؟!

= وقال: رووا من عدة طرق وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٣٣ و ٣٣٧ عن الكافي، والإحتجاج، والخصال، والقمي، وأمالي الصدوق، وجامع البيان ج٦ ص١٨٦، وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٦ ص١٦٧ والتفسير الكبير ج١٢ ص٢٦ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٧١ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٣ و ٢٩٤ عن أبي الشيخ وابن مردويه، والطبراني، وابن أبي حاتم، وابن عساكر، وابن جرير، وأبي نعيم، وغيرهم، وفتح القدير ج٢ ص٥٣ عن الخطيب في المتفق والمفترق. وراجع ما عن عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وغيرهم ممن تقدم ذكره. ولباب التأويل للخازن ج١ ص٤٧٥ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٢١ والكافي ج١ ص٢٢٨ وشواهد التنزيل ج١ ص١٧٣ و ١٨٤ والخصال ج٢ ص٥٨٠ وكفاية الطالب ص٢٢٩ وكنز العمال ج١٥ ص١٤٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٠٨ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٧ ومعرفة علوم الحديث ص١٠٢ وتذكرة الخواص ص١٥ والمناقب للخوارزمي ص١٨٦ و ١٨٧ ونظم درر السمطين ص٨٦ و ٨٧ والرياض النضرة ج٣ ص٢٠٨ وذخائر العقبى ص١٠٢ عن الواقدي، وأبي الفرج ابن الجوزي، والبداية والنهاية ج٧ ص٣٥٨ ونور الأبصار ص٧٧ وفرائد السمطين ج١ ص١٨٨ وتأويل الآيات الظاهرة ج١ ص١٥١ ـ ١٥٤ والبحار ج٣٥ ص١٨٣ و ٢٠٣ عن مصادر كثيرة، وربيع الأبرار ج٢ ص١٤٨ والمناقب لابن المغازلي ص٣١٢ و ٣١٣ وروضة الواعظين ص٩٢ والعمدة لابن بطريق ص١١٩ و ١٢٥ وإثبات الهداة ج٢ ص٤٧ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٢ و ١٠ وكشف الغمة ج١ ص١٦٦ و ١٦٧ والأمالي للصدوق ص١٠٩ و ١١٠، والوسائل ج٦ ص٣٣٤ و ٣٣٥ وسعد السعود ص٩٦ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤٨٠ و ٤٨٥ ومجمع البيان ج٣ ص٣١٠ ـ ٣١٢ وإحقاق الحق ج٢٠ ص٣ ـ ٢٢ وراجع ج٣ ص٥٠٢ ـ ٥١١ وج٢ ص٣٩٩ ـ ٤٠٨ عن مصادر كثيرة.

هل كان عثمان من الأجواد؟!:

ولماذا لا يعدون عثمان من أجواد قريش، بل من أجواد العرب، إن لم نقل: إنه من أجواد الدنيا؟!

إلا أن يقال: إن عثمان كان سخياً في سبيل الله، بخيلاً على الناس، والجواد إنما يقال له: جواد، إذا كان يجود بماله على الناس!!

من أين لك هذا؟!:

من أين وكيف حصل عثمان على هذه الأموال الطائلة والهائلة، وهو قد جاء إلى المدينة صفر اليدين؟!

فإن كان ذلك من مال التجارة.. فنحن لم نسمع ولم نقرأ شيئاً عن هذه التجارة التي تدرُّ عليه هذه الأرباح العظيمة..

ولماذا لم يشتغل غير عثمان بهذه التجارات، ويحصل على تلك الأرباح؟!

أم يعقل أن يكونوا قد اشتغلوا، وعلى المال حصلوا، ثم هم به قد بخلوا؟!.. ولماذا لم ينقل لنا أسماء بعض هؤلاء المشتغلين الأغنياء والبخلاء؟!

وإن كان قد حصل عليها من الغنائم.. فإن غيره لا بد أن يكون قد نال منها مثل ما نال.. فلماذا تكون العسرة يا ترى؟! بل لماذا ينال هذه الأموال الهائلة من الغنائم، ونحن لم نجد له أي مقام محمود أو مشهود في حروب الإسلام؟!..

وأين هي الغنائم التي حصل عليها أمير المؤمنين «عليه السلام»، فارس الإسلام الأعظم، ونصيره الأكبر، أوَهل يعقل أن يكون علي «عليه السلام» قد بخل بماله.. وجاد به عثمان؟!.

وإن كان عثمان قد حصل على ذلك من سهم المؤلفة قلوبهم فلماذا لا يصرحون لنا بذلك؟!

وهل من يُحصِّل المال عن هذه الطريق، ثم يسخو به في سبيل الله، يستحق غفران ذنوبه، ثم يدخله الله الجنة؟!

ولو أنه كان كذلك، فلماذا يدخل الجنة بمال حصله من سهم المؤلفة، ويبقى الناس خالصو الإيمان يكافحون من أجل الجنة، ويتوسلون بشفاعة الشفعاء، لغفران ذنوبهم وستر عيوبهم؟!

الإستفاقة المتأخرة:

إذا كانت عند عثمان هذه الأموال الهائلة، فلماذا استفاق على الإنفاق في سبيل الله في هذا الوقت المتأخر، ألم يكن الأجدر به أن يظهر هذه الأموال قبل مناسبة تبوك، وينفقها على المسلمين أنفسهم، إذا كانوا في عسرة حقيقية؟! ولماذا يتركهم يواجهون تلك الشدائد؟!.. ولا يرق له قلب، ولا يرفُّ له جفن؟!

بل لماذا لم يساعد أقاربه من أهل مكة عندما أصابهم القحط؟!

هل هذا تعريض بأبي بكر؟!:

لقد زعموا: أن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذًى﴾[1]. قد نزل في عثمان لإنفاقه في جيش العسرة[2].

---

(١) الآية ٢٦٢ من سورة البقرة.

(٢) التفسير الكبير ج٧ ص٤٥ والغدير ج٨ ص٥٧ وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ =

ونقول:

ألف: إن هذه الآية في سورة البقرة، وهي أول سورة نزلت في المدينة في أول الهجرة[1].

وجيش العسرة قد كان في سنة تسع من الهجرة في شهر رجب..

ب: إذا صح أن أبا بكر قد قدم ماله كله في جيش العسرة، فإن المناسب هو أن تنزل هذه الآية في حقه، لا أن تنزل في حق عثمان..

ج: إن هذه الآية قد صرحت بالقول: بأن المنفقين لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى. فهل هي بصدد التعريض بأبي بكر الذي يقول عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما من أحد أمنّ عليَّ في صحبته وذات يده من أبي بكر[2].

= ص١٤٢ وتفسير السمرقندي ج١ ص٢٠٠ وتفسير الثعلبي ج٢ ص٢٥٨ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص٥٥ وتفسير البغوي ج١ ص٢٤٩ وزاد المسير لابن الجوزي ج١ ص٢٧٥ وتفسير القرطبي ج٣ ص٣٠٦ وتفسير البيضاوي ج١ ص٥٦٥.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١ ص١٣٢ وتفسير الخازن ج١ ص١٩ وتفسير الشوكاني ج١ ص١٦.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢ ولسان الميزان ج٢ ص٢٣ وصحيح البخاري كما في إرشاد الساري ج٦ ص٢١٤ و ٢١٥ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٠٨ و ٦٠٩ وراجع: مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص٤٥ والمعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص٩٣ وكنز العمال ج١١ ص٥٥٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٧٦ وكنز العمال ج١١ ص٥٥٢ و ٥٥٤ وج١٢ ص٥٢٣ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٥٠١.

الإغراء بالمعاصي:

إن حديث: ما يبالي عثمان ما فعل بعد اليوم، أو نحو ذلك، فيه إغراء للناس بالمعاصي، ما دام أنه قد تأكد لدى من قيلت في حقه: أنه غير معاقب على شيء..

ولا ندري لو أن عثمان زنى بعد هذا العطاء، أو سرق، أو قتل، فهل كان يقام عليه الحد، أو يقتص منه، أو لا يفعل به شيء من ذلك؟!..

إننا لا نعرف السبب في هذه العسرة التي ألَّمت بالمسلمين فجأة في سنة تسع، مع أن التاريخ لم يحدثنا عنها إلا في مناسبة نفقات عثمان، وإعطاء الأوسمة له!!

العسرة لم ترتفع بما فعل عثمان:

إن ظاهر كلمات عمر بن الخطاب أن العسرة قد بقيت ولم ترتفع بما بذله عثمان، وغيره، فقد قال الدياربكري:

وكان العشرة يتعقبون على بعير واحد، وربما يمص التمرة الواحدة جماعة، يتناوبونها، وكانوا يعصرون الفرث ويشربونه من شدة العطش.

وعن عمر بن الخطاب قال: نزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى إن الرجل لينحر بعيراً، فيعصر فرثه، ويشربه، ويجعل ما بقي على كبده. كذا في معالم التنزيل..

وفي تفسير عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن عقيل، قال: فخرجوا في قلة من الظَهر في حر شديد، حتى إنهم كانوا ينحرون البعير، ويشربون ما في كرشه من الماء. فكان ذلك الوقت عسرة في الماء والظهر، والنفقة، فسميت

غزوة العسرة[١]..

عثمان يعطي من بيت المال:

وآخر كلمة نقولها هنا: إن التاريخ قد سجل لنا أرقاماً هائلة جداً عن عطايا عثمان من بيت مال المسلمين في أيام خلافته، وكان ذلك من أهم أسباب ثورة الصحابة والمسلمين عليه حتى قتلوه..

فلعل الذين وضعوا هذه الأفيكة قد أرادوا الإيحاء بأن هذه العطايا إنما كانت من أمواله الشخصية، لا من بيت المال..

وعن حجم عطايا عثمان غير المعقولة، ولا المقبولة، نقول: لقد ذكر العلامة الأميني قائمة ببعض عطاياه من الدراهم والدنانير ولبضعة أشخاص فقط، مع أنها لا تكاد تذكر إلى جانب اقطاعاته، وعطاياه من الأمور العينية، وكيف لو أضيفت إلى ذلك عطاياه الأخرى طيلة سنوات حكمه؟!..

والقائمة هي التالية:

لقد أعطى عثمان لسبعة أشخاص فقط هو أحدهم:

مبلغ: أربعة ملايين وثلاث مئة، وعشرة آلاف دينار.

وأعطى مئة وستة وعشرين مليوناً وسبع مئة وسبعين ألف درهم، لأحد عشر شخصاً فقط وكان هو في جملة من أخذ؛ فكيف بعطاياه طيلة سنوات حكمه؟!

وفي الغدير ج٨ نصوص تصرح بامتلاكه وامتلاك أتباعه أرقاماً هائلة

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٥ و ٤٣٦ وفتح الباري ج٨ ص٨٤، وإمتاع الأسماع ج٨ ص٣٩١.

تكاد لا تصدق.. فيمكن الرجوع إلى ذلك الكتاب للاطلاع عليها..

وفي الختام نقول:

هذا ما أفصحت عنه كتبٌ حرص مؤلفوها على حفظ ماء وجه عثمان، بعد أن افتضح أمره بإصرار الصحابة والمسلمين على قتله، وبعد أن كان لا بد لهم من مراعاة الحال في مجتمع يرى الزهد فضيلة، ويعيش أبناؤه حالات قاسية من الحاجة والفقر..

فكيف لو أرادوا أن يطلقوا لأقلامهم العنان في بيان الحقائق، فإن الخطب جلل، والمصاب أليم، وإلى الله المشتكى، وعليه المعول في الشدة والرخاء.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

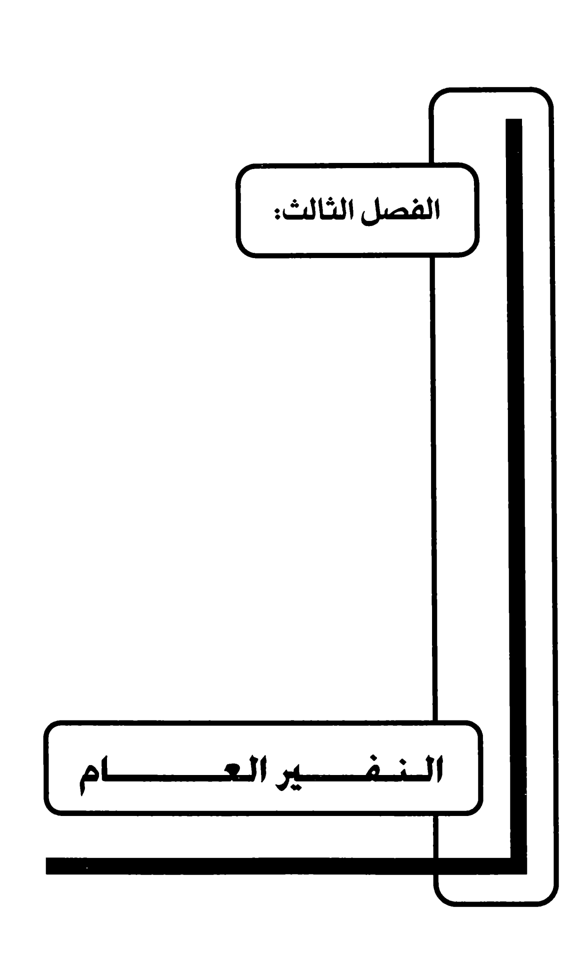
[illegible]

[illegible]

[illegible]

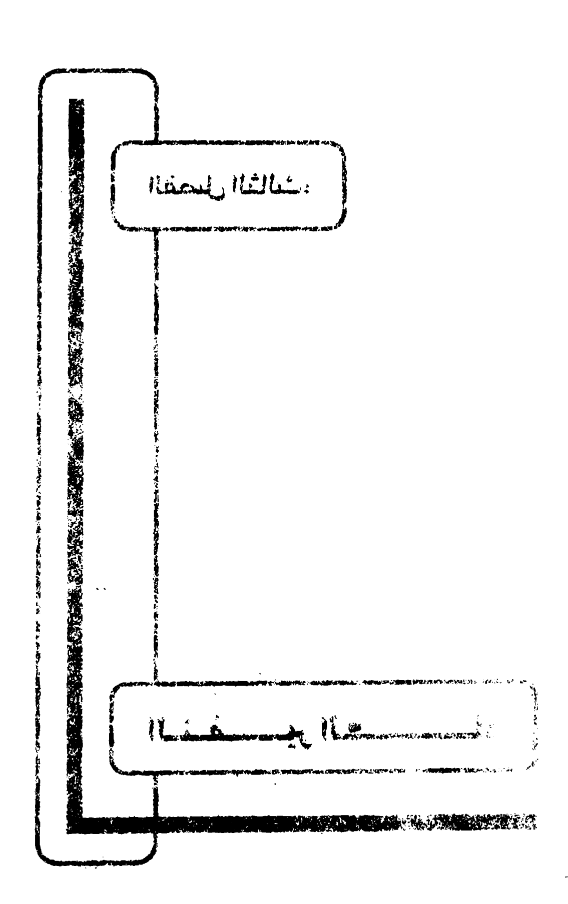
[illegible]

[illegible]



الفصل الثالث:

النفير العام


الفصل الثالث:

إعلان المسير، لماذا؟!:

وبين «صلى الله عليه وآله» للناس مقصده، وإنه يريد بلاد الروم، وكان «صلى الله عليه وآله» قلَّ أن يخرج في غزوة إلا كنَّى عنها وورَّى بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيَّنها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبته، فأمر الناس بالجهاز، ودعا من حولـه من أحياء العرب للخروج معه، فأوعب معه بشر كثير، وبعث إلى مكة، وإلى سائر القبائل التي فشا فيها الإسلام.

وتخلف عنه آخرون، فعاتب الله ـ تعالى ـ من تخلف منهم لغير عذر من المنافقين والمقصرين، ووبخهم وبين أمرهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ الله اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ثم قال: ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ

---

(١) الآيتان ٣٨ و ٣٩ من سورة التوبة.

الله ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1] إلى آخر الآيات[2].

وعن كعب بن مالك قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قلّما يريد غزوة يغزوها إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قيظ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، وغُزَّى وعدداً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة غزوهم، وأخبرهم بوجهه الذي يريده[3].

ونقول:

إن الإعلان بمقصده «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك لم يكن لمجرد بعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو، ليتأهب الناس، فإنه قد أرسل قبل سنة وشهرين سرية إلى مؤتة، وهي أبعد من تبوك بكثير، لأنها تقع في تخوم البلقاء من أرض الشام، وكانت حشود الأعداء عظيمة، وهائلة، والشقة

---

(١) الآيتان ٤١ و ٤٢ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٤ عن ابن أبي شيبة، والبخاري، وابن سعد، وقال في هامشه: أخرجه البخاري (٢٩٤٨) و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٣٠، وصحيح مسلم ج٨ ص١٠٦ ومسند أحمد ج٣ ص٤٥٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٠ وج٩ ص٣٤ وص١٥٠ وعمدة القاري ج١٤ ص٢١٦ وفيض القدير ج٥ ص١٢٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٧.

أبعد، وعدد جيش المسلمين لا يصل إلى عشر عدد الجيش الذي جهزه هو، حيث لم يكن عدد المسلمين يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل بينما الجيش الذي يجهزه الآن إلى تبوك عشرة أضعاف هذا العدد، وكانت جموع الأعداء التي واجهت تلك السرية الصغيرة تعد بمئات الألوف حسبما تقدم.. بينما هم يدَّعون أن قيصر قد جهز للمواجهة في هذه المرة أربعين ألفاً فقط.

من أجل ذلك وسواه نقول:

لعل الأصح هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أراد فيما أراد:

١ ـ أن يفضح حقيقة نوايا تلك الطغمة التي تتربص بالإسلام وبالمسلمين شراً، وهذا ما اشار إليه الشيخ المفيد «رحمه الله» حيث قال عن تبوك:

«فأوحى الله تبارك وتعالى اسمه إلى نبيه «صلى الله عليه وآله»: أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى بقتال عدو، وأن الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبَّده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم، ليتميزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم.

فاستنفرهم النبي «صلى الله عليه وآله» إلى بلاد الروم، وقد أينعت ثمارهم، واشتد القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته، رغبة في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدة القيظ، وبعد المسافة، ولقاء العدو، ثم نهض بعضهم على استثقال للنهوض، وتخلف آخرون الخ..»[1].

---

(١) الإرشاد ج١ ص١٥٤ و ١٥٥ والبحار ج٢١ ص٢٠٧ وموسوعة الإمام علي =

ونلاحظ هنا أمرين:

أحدهما: قد يقال: إن هذا النص ينافي ما تقدم من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول على المنبر وهو يحث الناس على المسير: «اللهم إن تهلك هذه العصبة لا تعبد في الأرض».. فإن هذا يشير إلى أن ثمة خطراً حقيقياً كان يتهدد المسلمين آنئذٍ، فإذا كان الله قد أخبر نبيه، بأن الأمور تستقيم له من غير حاجة إلى حرب لم يصح هذا القول منه «صلى الله عليه وآله».

الثاني: إذا كانت الأمور تستقيم للنبي «صلى الله عليه وآله» بغير حرب، فلماذا يكبد الناس مشقة هذا السفر البعيد، ويكلفهم مكابدة الأخطار والتفريط بالثمار في أيام القيظ، وفي الزمان الشديد؟!

ونجيب:

أولاً: إن هذا الكلام على المنبر في كل يوم لا يتناقض مع إخبار الله تعالى بأن الأمور سوف تنتهي بلا حرب، بل هو كلام صادق في نفسه على كل حال.

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» مكلف بأن يتعامل مع الناس وفق ما تقتضيه ظواهر الأمور. أما ما يعرِّفه الله إياه بالوحي، وبالطرق غير العادية، فليس له أن يجري في تعامله مع أصحابه على أساسه، إلا إذا أذن الله تعالى بذلك في بعض الموارد إذا توفرت مبررات الخروج عن هذه القاعدة.

ثالثاً: إنه قد يكون نفس مبادرة الناس إلى الإنخراط في هذا الجيش،

= بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج١ ص٢٦١ وأعيان الشيعة ج١ ص٤١٥ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٧.

وإظهار القوة، والرغبة في دفع العدو من الكبير والصغير هو المؤثر في دفع العدو، حين يلقي الله في قلوب الذين كفروا الرعب، بحيث يكون أي تخاذل في هذا الإتجاه يظهر حب أصحابه للدنيا، وتعلقهم بها من موجبات طمع العدو بهم، وجرأته على مهاجمتهم، وإنزال ضرباته القوية بهم..

رابعاً: إن من أسباب حفظ الإسلام، وتحصينه من شر الأشرار هو فضح نوايا المنافقين، وإكذاب أحدوثتهم، وكبت عدو أهل الإيمان في الداخل والخارج.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يقدم نموذجاً عملياً لأمر الإمامة من بعده، وذلك بأن يجعل الناس يتحسسون الحاجة إلى الحافظ القوي، والإمام الوصي، حتى لا يعبث أصحاب الأطماع، وطلاب اللبانات بمصير الناس، ولا يفرضوا عليهم مساراً يؤدي بهم إلى البوار والهلاك والتمزق والتشتت والتلاشي والتفتت..

٣ ـ إنه لا بد من أن يسقط هالة القداسة عمن لم يكن أهلاً للقداسة، وإنما هو يضفيها على نفسه لتكون شركاً يوقع به البسطاء والسذج من الناس، ويتخذ منهم أداة لفرض واقع معين، لا يرضاه الله تعالى، ويؤدي إلى العبث بجهود الإنبياء، وتضييع منجزاتهم..

٤ ـ ثم إنه قد اعلن عن غزوته تلك ليكون ذلك أبعد للسمع، حيث تتناهى أخبارها إلى بني الأصفر، فتنخلع لها قلوبهم، وتطيش لها ألبابهم، ويتلاشى تدبيرهم في ظلمات الحيرة والضياع، ويوهن الله بذلك كيدهم، وتذهب ريحهم.

٥ ـ إن ذلك لا بد من أن يثير الزهو والشعور بالعزة في مجتمع المسلمين

أينما كانوا، وحيثما وجدوا، وسيشد أنظار كل الناس إليهم، وسيشتاقون إلى اللحاق بركب أهل الإيمان، الذي يسير من نصر إلى نصر، ويضيف مجداً إلى مجد.. قبل فوات الأوان. حيث لم يكن أحد أعظم في أعينهم وأهيب في قلوبهم، من قيصر، هذا الرجل المنتصر لتوه على كسرى حسبما ألمحنا إليه..

فإن تبوك لم تبق مجالاً لأن يتوهم أحد أن عدم مبادرة قيصر إلى غزوهم، قد كانت بسبب غفلته عنهم، ولعدم اكتراثه بهم، أو ما إلى ذلك..

تكاليف الحرب على المحاربين؟!:

لقد يفهم من آيات سورة التوبة، ومن آية التهلكة: أن نفقات الحرب تقع على عاتق المقاتلين.. وربما يؤَيَّد ذلك بأن الفارس يعطى سهمين من الغنيمة، أحدهما له، والآخر لفرسه.. والمقصود ـ بحسب الظاهر ـ: هو الفرس التي يملكها المقاتل نفسه.

ولكن الحقيقة هي: أن ذلك لا يحتم هذه النتيجة، ولا يقضي بحصر وجوب الإنفاق لحفظ بيضة الإسلام، والدفع عن حريم المسلمين بالمقاتلين، بل هو واجب على جميع الناس، على سبيل الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن سائرهم.. وحين تملك الدولة أسباب القوة، فباستطاعتها أن تستفيد من سهم «سبيل الله» أيضاً..

كما أن ملكية الفارس للفرس وعدم ملكيتها لا تؤثر على لزوم إعطاء الفارس سهمين، والراجل سهماً واحداً، فيجب أن يعطى سهمين مطلقاً، أي سواء كانت الفرس له أو لم تكن.

على أن التقريع الوارد في سورة التوبة للأغنياء المتخلفين، إنما هو على

ما يمارسونه من نفاق، وعلى كذبهم فيما يدعونه، وما يظهرونه من أعذار واهية، وعلى رضاهم بسقوط هذا الدين، وحلول النكبات بإخوانهم لمجرد حبهم للمال والراحة والدنيا وزخارفها.. وعلى عدم امتثالهم أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» المباشرة لهم.. وعلى ما يتسببون به من إخلال في تصميم الناس، وفي طاعتهم وانقيادهم، وما يشيعونه من ضعف وتخاذل.

الإستنفار العام:

قال ابن واضح: «ووجَّه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرها»[1].

وقال الطبرسي: «تهيأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رجب سنة تسع لغزو الروم. وكتب إلى قبائل العرب، ممن قد دخل الإسلام، وبعث إليهم الرسل، يرغبهم في الجهاد والغزو. وكتب إلى تميم، وغطفان، وطيء، وبعث إلى عتاب بن أسيد عامله على مكة يستنفرهم لغزو الروم».

وقالوا أيضاً: وضرب «صلى الله عليه وآله» عسكره فوق ثنية الوداع بمن تبعه من المهاجرين، وقبائل العرب، وبني كنانة، وأهل تهامة، ومزينة، وجهينة، وطيء، وتميم.

واستعمل الزبير على راية المهاجرين، وطلحة بن عبيد الله على الميمنة، وعبد الرحمن بن عوف على الميسرة.

وسار رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى نزل الجرف. فرجع عبد الله بن أُبي بغير إذن، فقال «صلى الله عليه وآله»: «حسبي الله، هو الذي

---

(١) تاريخ اليعقوبي (ط الحيدرية ـ النجف) ج٢ ص٥٧ و (ط دار صادر) ج٢ ص٦٧.

أيدني بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم»[1].

أضاف اليعقوبي قوله: «وخرجت النساء والصبيان يودعونه عند الثنية، فسماها ثنية الوداع»[2].

العدد، والعدة، والألوية، والرايات:

وقالوا أيضاً: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رجب سنة تسع، فعسكر في ثنية الوداع.

وعن زيد بن ثابت و معاذ بن جبل قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً[3].

---

(١) مكاتيب الرسول ج١ ص٢٨٧ وفي هامشه عن: البحار ج٢١ ص٢٤٤ و ٢٤٥ عن إعلام الورى، ومغازي الواقدي ج٣ ص٩٩٠ وحياة الصحابة ج١ ص٤٠٤.

وفي الجامع لأبي زيد ص٢٩٥: كتب إلى القبائل سنة ٩ بعد الفتح إلى القبائل التي لم يفش فيها الإسلام يدعوهم، وكتب إلى التي فشا فيها الإسلام بغزو الروم وواعدهم تبوك.

وراجع الحلبية ج٣ ص١٢٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٢٣ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص٦٦ وإعلام الورى ص١٢٩ و ١٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٤٣ وتاريخ اليعقوبي (ط الحيدرية ـ النجف) ج٢ ص٥٨ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص١٨٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي (ط الحيدرية ـ النجف) ج٢ ص٥٨.

(٣) سبل الهدى ج٥ ص٤٤٢ عن ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد. وفتح الباري لابن حجر ج٨ ص٨٧، وتفسير القرطبي ج٨ ص٢٨٠، والكامل لعبد الله بن عدي ج٧ ص٢٧٠.

ونقل الحاكم في الإكليل عن أبي زرعة قال: كانوا بتبوك سبعين ألفاً[١].

وجُمِعَ بين الكلامين: بأن من قال ثلاثين ألفاً: لم يعد التابع.

ومن قال سبعين ألفاً: عد التابع والمتبوع.

وكانت الخيل عشرة آلاف فرس، وقيل: بزيادة ألفين[٢].

وفي نص آخر: كانوا أربعين ألفاً[٣].

قال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: خرج المسلمون في غزوة تبوك، الرجلان والثلاثة على بعير واحد[٤].

وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية.

وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» جيشه بالاستكثار من النعال،

---

(١) سبل الهدى ج٥ ص٤٤٢ عن الحاكم في الإكليل، وابن الأمين، وراجع: عمدة القاري ج١٨ ص٤٥، ومقدمة ابن الصلاح ص١٧٧، والتسهيل لعلوم التنزيل ج٤ ص٢٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٦، والسيرة الحلبية ج٣ (ط دار المعرفة) ص١٠٢.

(٣) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥ وعمدة القاري ج١٨ ص٤٥، ومقدمة ابن الصلاح ص١٧٧، وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٦، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٢.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٣ عن البيهقي. وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٧٥، وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٩٠، وجامع البيان ج١١ ص٧٥، وغيرهم.

وقال: «إن الرجل لا يزال راكباً ما دام منتعلاً»[١].

توزيع الرايات، واللواء الأعظم مع أبي بكر:

ثم قالوا أيضاً: لما رحل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ثنية الوداع عقد الأولوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق، ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام، ودفع راية الأوس إلى أسيد بن الحضير، وراية الخزرج إلى أبي دجانة، ويقال: إلى الحباب بن المنذر، وأمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواءاً[٢].

وحمل زيد بن ثابت لواء بني النجار[٣].

وكان دليله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعي[٤].

خمسة وعشرون رجلاً مؤمناً فقط:

ولا بد أن يستغرب الكثيرون ما جاء في بعض النصوص من أن عدد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ وفي هامشه: عن صحيح مسلم كتاب اللباس (٦٦) وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥. والجامع الصغير ج١ ص١٥٢، وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٤٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٣ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٩٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥.

(٣) المغازي للواقدي ج٣ ص٩٩٦.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٦ والإستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص١٠٨٨ وأسد الغابة ج٤ ص١٤ والوافي بالوفيات ج٢٠ ص٤٧.

الجيش الذي سار إلى تبوك كان خمسة وعشرين ألفاً، وكان عدد المؤمنين فيه لا يزيد على خمسة وعشرين رجلاً، يقول النص:

«كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتبوك رجل يقال له: «المضرب» من كثرة ضرباته التي أصابته ببدر وأُحد، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: عُدَّ لي أهل العسكر، فعددهم.

فقال: هم خمسة وعشرون ألف رجل سوى العبيد والأتباع.

فقال: عُدَّ المؤمنين.

فعددهم، فقال: هم خمسة وعشرون رجلاً، وقد كان تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قوم من المنافقين، وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق الخ..»[1].

نعم، وهذا هو الذي يفسر نزول ما يقرب من تسعين آية من سورة التوبة لتبين ما جرى في تبوك، ولتظهر حجم التحدي والخطر الذي واجهه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هؤلاء المنافقين، الذين كان قسم منهم يسعى لزعزعة الإستقرار الداخلي حتى احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى أن يخلف أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» مكانه، ليكون منه بمنزلة هارون من موسى.

كما أننا لا نستطيع أن نشكك في صحة النص المذكور آنفاً، فإن عامة من ساروا إلى تبوك إنما أسلموا خلال الأشهر اليسيرة بين فتح مكة في شهر

---

(١) البحار ج٢١ ص٢١٨ وتفسير البرهان ج٢ ص١٣٢ وتفسير القمي ج١ ص٢٩٦ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٨٥.

رمضان، السنة الثامنة، وشهر رجب السنة التاسعة.. والذين أسلموا قبل ذلك لم يكن قد مضى على إسلام معظمهم الذي بدأ من صلح الحديبية سوى وقت قليل أيضاً.. والباقون الذين قد لا يزيد عددهم على ألف وخمس مائة، كان قسم كبير منهم يظهر الإسلام، ويبطن النفاق، وقد ظهر ذلك في كثير من المواطن، ومنها غزوة أُحد كما هو معلوم..

لا تقتل معي فتدخل النار:

ورأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأس الثنية عبداً متسلحاً، فقال العبد: أقاتل معك يا رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إرجع إلى سيدك لا تُقْتَل معي فتدخل النار»[١].

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات عديدة نبدؤها بالنص الأخير على النحو التالي:

مشاركة العبد بدون إذن سيده:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يرض بمشاركة العبد بدون إذن سيده، وهذا الموقف منه «صلى الله عليه وآله» يوضح: انه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد أن يجمع الناس حوله كيفما اتفق، بل هو يريد أن يتم ذلك

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٣ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٩٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٥١.

وفق الضوابط الشرعية، والمنطق السليم..

كما أنه لا يريد أن يغرر بالناس، وبهدف تكثير السواد معه، بل يريد أن يعطيهم الضابطة الشرعية، ويلزمهم بها، ويعطيهم تلك التي تقول: لا يطاع الله من حيث يعصى..

وهو يريد لهم أن يسعدوا بجهادهم ويكون من أسباب تكاملهم، وسمو مقامهم عند الله، ولا يكون ذلك إلا بالإلتزام بأحكامه، والسير على منهاجه، وتطبيق شرائعه. ومراعاة حقوق الناس.

إنه لا يريد أن يتخذ الناس منه غطاء لتمرير مخالفاتهم، ولا ذريعة لتضييع حقوق الآخرين، حتى لو كان ذلك بالحضور في ساحات الجهاد وتعريض أنفسهم للقتل في سبيل الله، لأن القتل في سبيله لا بد أن يحمي حقوق الناس، لا أن يضيعها.

ثنية الوداع:

وقد زعمت **رواية اليعقوبي**: أن ثنية الوداع قد سميت بهذا الاسم بسبب وداع الناس لنسائهم وصبيانهم في غزوة تبوك..

وهو كلام غير دقيق..

فأولاً: إنهم تارة يزعمون: أن هذا الاسم قد أطلق على هذه الثنية حين عودتهم من خيبر، حين تمتع الناس ببعض النساء وفارقوهن عند تلك الثنية..

ويزعمون تارة أخرى: أن هذا الاسم قد ورد في النشيد الذي استقبل به أهل المدينة النبيَّ «صلى الله عليه وآله» حين هجرته، حيث قالوا:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع[1]..

فأي ذلك هو الصحيح؟!..

ثالثاً: إن الأقرب هو: أن هذا الاسم: «ثنيات الوداع» اسم قديم جاهلي، يسمى هذا الموضع به لتوديع المسافرين فيه وقد ذكروا في التفاصيل: أنه كان لا يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع، فإن لم يُعشِّر بها مات قبل أن يخرج.

فإذا وقف على الثنية، قيل: قد ودع، فسميت ثنيات الوداع حتى قدم عروة بن الورد فلم يُعشر، ثم دخل، فسأل اليهود عن سبب التعشير.

فقالوا: لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشر بها إلا مات، ولا يدخلها أحد من غير ثنية الوداع إلا قتله الهزال.

فلما ترك عروة التعشير تركه الناس، ودخلوا من كل ناحية[2].

والتعشير هو: أن ينهق كالحمار عشرة أصوات في طلق واحد، قال عمرو بن الورد العبسي:

لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمار إنني لجزوع[3]

---

(١) وفاء الوفاء ج٤ ص١١٧١ والغدير ج٧ ص٢٥٩ وإمتاع الأسماع ج٩ ص٢٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٢٧١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٣٥.

(٢) وفاء الوفاء ج٤ ص١١٦٧ و ١١٦٨ وج١ ص٥٩ عن ابن شبة. وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص٢٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٦.

(٣) وفاء الوفاء ج١ ص٥٩. ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٤ ص٣٢٥.

أبو بكر يصلي بالناس:

وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر أن يصلي بمن تقدمه «صلى الله عليه وآله»[1].

ونقول:

إنه بعد فتح مكة بدأ الفريق المتخصص بمنح الفضائل يشعر بأن الوقت حان لمنح الأوسمة والفضائل لمناوئي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فكان أن ظهرت لهم فضائل لم نر لها أثراً قبل غزوة تبوك، فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد خلف أمير المؤمنين «عليه السلام» على المدينة، وأعلن أنه منه بمنزلة هارون من موسى، فلا بد أن يكون لأبي بكر ما يضاهي ذلك أو يزيد عليه، فكان طبيعياً أن يدَّعوا أنه «صلى الله عليه وآله» استخلف أبا بكر على الصلاة، ليكون لأبي بكر نصيب من الخلافة والإستخلاف. فإن إعطاء هذا الوسام لعلي «عليه السلام» قد جعل الأمر بالغ الحساسية، وفي منتهى الخطورة.. ودعوى استخلاف أبي بكر على الصلاة، ليست ذات قيمة، ولا تستحق الذكر.

فإن ذلك لا يدل على شيء من الفضائل لدى المستخْلَف، أي أنه لا يدل على علم أبي بكر، ولا على حسن أخلاقه، ولا على زهده وتقواه، ولا على أية صفة أخرى سوى صفة العدالة عند الشيعة، أما أهل السنة، فإنهم ينكرونها أيضاً، ويفتون ويروون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢.

قال: صلوا خلف كل بر وفاجر[1].

فإذا كانت الإمامة في الصلاة عندهم لا تُثْبِت حتى صفة العدالة، فهل تُثْبِت الإمامة العظمى، التي تحتاج إلى كل تلك الصفات، وسواها مما لا مجال لذكره في أعلى مستوياتها وأفضل حالاتها؟!

كما أن الإمامة تتضمن منصب القضاء وقيادة الجيوش و.. و.. الخ.. فالإمام هو الحاكم والمدبر والمعلم وغير ذلك. وكل واحدة من هذه الأمور تحتاج إلى ما يناسبها. من صفات ومزايا..

فقيادة الجيوش مثلاً تحتاج إلى صفات تناسب هذه المهمة، مثل

---

(١) جامع الخلاف والوفاق ص٨٤ وفتح العزيز للرافعي ج٤ ص٣٣١ والمجموع للنووي ج٥ ص٢٦٨ ومغني المحتاج للشربيني ج٣ ص٧٥ والمبسوط للسرخسي ج١ ص٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج١ ص٢٢٩ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج١ ص١٥٦ والجوهر النقي للمارديني ج٤ ص١٩ والبحر الرائق لابن نجيم المصري ج١ ص٦١٠ وتلخيص الحبير ج٤ ص٣٣١ ونيل الأوطار ج١ ص٤٢٩ وشرح أصول الكافي ج٥ ص٢٥٤ والمسترشد للطبري والإفصاح للشيخ المفيد ص٢٠٢ والمسائل العكبرية للشيخ المفيد ص٥٤ والطرائف لابن طاووس ص٢٣٢ وعوالي اللآلي ج١ ص٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص١٩ وعمدة القاري للعيني ج١١ ص٤٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٤٥ وسنن الدارقطني ج٢ ص٤٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج١ ص٢٥٦ و ٢٥٧ ونصب الراية ج٢ ص٣٣ و ٣٤ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص١٦٨ والجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٩٧ وكنز العمال ج٦ ص٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٢٩ و ٣٢ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص١٥٦.

الشجاعة، والخبرة بشؤون الحرب.

فإذا كانت الإمامة في الصلاة لا تُثْبِت شيئاً من الصفات المطلوبة، فهل تثبت تمييزاً فيها على جميع البشر؟!.

وقد تحدثنا ببعض التفصيل عن هذا الأمر حين الكلام عما زعموه من صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» خلف عبد الرحمن بن عوف، وهم في الطريق إلى تبوك. فليلاحظ ما ذكرناه هناك.

الألوية.. والرايات:

وقد لاحظنا هنا عدة أمور في غزوة تبوك، التي لم يكن فيها قتال، بل تقدم أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر نبيه «صلى الله عليه وآله» بعدم حصول قتال فيها[1].

الأمر الأول: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر كل بطن من الأنصار، والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية. مع أن المعروف هو أنه «صلى الله عليه وآله» كان هو الذي يعطي الرايات للفرسان وللزعماء من كل قبيلة، أو جماعة، فراجع ما جرى في فتح مكة، وخيبر، وسواهما.

الثاني: أنه «صلى الله عليه وآله» جعل ـ حسب زعمهم ـ الرايات والألوية حسب أقسام الجيش، فجعل هذا على الميمنة، وذاك على الميسرة، أو على المقدمة، كما يفهم من النصوص المتقدمة، مع أن ذلك إنما يتم حين المواجهة بين الجيشين المتحاربين، فيجعل قسماً من الجيش ميمنة، وقسماً منه

______

(١) البحار ج٣٧ ص٢٥٩ وكتاب الأم ج٤ ص١٧٥ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢١٩ والمسترشد للطبري ص٤٤٤.

ميسرة، وطائفة منه قلباً، وسواها يكون الجناحين، ويكون هناك خيالة، ورجالة، ومقدمة، وما إلى ذلك..

وأما في حال المسير، مع العلم بأن هنا ثمة مئات الأميال التي تحتاج إلى أيام وليالي كثيرة لقطعها عن جيش الأعداء، فإن ذلك لا يكون ضرورياً. بل قد يكون معيقاً لحركة الجيش..

الثالث: قد لفت نظرنا قولهم: إن أبا بكر حمل اللواء الأعظم، ثم قولهم: إن الزبير قد حمل الراية العظمى.. حيث لم يتأكد لدينا أن ثمة فرقاً بين اللواء والراية، حيث ينقلون عن بعض أهل اللغة أنه لا فرق بينهما[1].

الرابع: إن النصوص المتقدمة تارة تقول: إن الراية العظمى كانت مع الزبير، وأخرى تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» جعل إليه راية المهاجرين..

إن ذلك كله يحتاج لمزيد من التأمل والتدبر.

خبير الفرار من الزحف:

١ ـ إن من الطبيعي أن يعطي المتخصصون بمنح الفضائل والكرامات لواء الجيش الأعظم لأبي بكر، ما دام أن علياً «عليه السلام» قد غاب عن ذلك المسير بأمر من الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، لأن المدينة لا تصلح إلا به أو بأخيه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن أبا بكر كان يحتاج إلى هذا اللواء لكي يثبت أهليته لمقام القيادة، ولا خوف عليه، فإن هذا المسير ليس فيه حرب، ولا طعن ولا ضرب، لكي يخشى عليه من الفرار، وأن

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص١٤٧ وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص٦١ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٤٣.

يولي عدوه الأدبار..

ولكن الحقيقة هي: أن أبا بكر لن ينتفع كثيراً من هذه الفضيلة المنحولة، فإنه قد أبان عن شجاعته، واقتداره، حين فر في أحد، وفي قريظة، وخيبر، وحنين، وذات السلاسل، و.. و..

وحين لم يجرؤ على مباشرة القتال في بدر، بل بقي معتصماً بأمنع حوزة، حيث آثر أن يكون مع النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يفديه المسلمون بأرواحهم، ويدافعون عنه بكل وجودهم.. كما أنه آثر السكوت في الخندق، ولم نشهد له أي موقف شجاع في كل تاريخ الإسلام..

وماذا يفيد-أن يحمل اللواء أبو بكر أو غيره في مشهد استعراضي، حيث لا عدوّ، ولا قتال.

وحتى لو واجه الأعداء، فهناك ثلاثون ألفاً من الرجال، لا بد أن يدفع بهم إلى ساحة المواجهة،حتى إذا أحس بأي خطر يتعرض له، فقد أعد للفرار عدته، وقد اكتسب طيلة تلك السنين، وفي المواجهات المختلفة خبرة عميقة في أساليب الهرب من خلال التجربة المتكررة لها في المواطن العديدة كلما أحس أحس بحاجة إلى ذلك.

٢ ـ إن جميع الدلائل تشير إلى أن ثمة تزويراً في أمر الألوية والرايات، ومن شأن ذلك أن يزيل الثقة بما يقولونه في هذا المجال..

إذ ما معنى قولهم: دفع اللواء الأعظم إلى أبي بكر، والراية العظمى للزبير، فقد تقدم: أن ثمة صعوبة في إثبات وجود فرق بين اللواء والراية..

بركات غزوة تبوك:

لقد كان لغزوة تبوك بركات وآثار هامة، فقد عرف الناس أنه «صلى الله عليه وآله» يقصد بحركته هذه إرهاب أعظم ملك في ذلك الزمن، وقد كتب إليه يدعوه إلى الإسلام أو الجزية، ثم أرسل إليه رسالة دعوة أخرى من بلاد يراها ذلك الطاغية جزءاً من مملكته وبلاده بعد أن وطأتها جيوش الإسلام، وبسط «صلى الله عليه وآله» نفوذه عليها، ونشر دعوته ودينه فيها..

وأصبحت مناطق منها تدين بالولاء لهذا النبي الكريم والعظيم، وتؤدي له الجزية..

وفي تبوك فتح الله له دومة الجندل، وأخذ ملكها. وفيها جاءه أسقف أيلة وهو يُحَنَّة بن رؤبة، ووفد عليه أهل أذرح، وسألوه الصلح على الجزية، ووفد إليه أهل مقنا وغيرهم[1].

وكل ذلك من شأنه أن يؤلم قيصر، ويهيج أشجانه، ويهين كبرياءه، الشيطاني، ويثير حميته، وهو الرجل المغرور بنفسه وبملكه العريض، ولا يرى له نظيراً على وجه الأرض، وقد عاد لتوه من نصر عظيم على أعظم مملكة في زمانة، وهي مملكة الفرس التي كانت تجاريه، وتباريه، وتتقاسم معه الملك والنفوذ على الأرض كلها..

ثم إن مما يزيد الطين بلة والخرق اتساعاً بالنسبة لقيصر: أن يقف هذا

---

(١) راجع: التنبيه والإشراف ص٢٣٦ ومكاتيب الرسول للأحمدي ج٢ ص٤١٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٨.

الذي يصفونه بالعربي والمسلم بجيوشه على تخوم مملكته، ويطأ بجيوشه أطرافاً منها عزيزة عليه، ليطلب منه الإسلام أو الجزية!! فهل هناك من ذل وخزي لقيصر أعظم من هذا؟!

وأية عزة هذه التي منحها الله لرسوله وللمؤمنين!!

ابن أُبي في أحد كما في تبوك:

عن كعب بن مالك قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك يوم الخميس، وكانت آخر غزوة غزاها، وكان يستحب أن يخرج يوم الخميس[1].

وعسكر عبد الله بن أُبي معه على حدة، وكان عسكره أسفل منه نحو ذباب.

وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين[2].

فأقام ابن أُبي ما أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما سار رسول

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ عن ابن سعد، وعبد الرزاق، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٧ وراجع: المجموع للنووي ج٤ ص٣٨٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٤٣ والمعجم الأوسط للطبراني ج٢ ص٧٤ ورياض الصالحين للنووي ص٧٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢. وجامع البيان للطبري ج١٠ ص١٩٠، وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٦٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٣١، والبداية والنهاية ج٥ ص١٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٦، وغيرهم.

الله «صلى الله عليه وآله» نحو تبوك تخلف ابن أُبي راجعاً إلى المدينة، فيمن تخلف من المنافقين، وقال: يغزو محمد بني الأصفر، مع جهد الحال، والحر، والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به، يحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب، والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين في الحبال، إرجافاً برسول الله «صلى الله عليه وآله» وبأصحابه[1].

ونقول:

١ ـ قولهم: إن عسكر ابن أبي لم يكن أقل العسكرين، قال ابن حزم: وهذا باطل، لم يتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا ما بين السبعين إلى الثمانين فقط[2].

٢ ـ إذا صح قولهم: أن ابن أُبي تخلف عن تبوك، وصح أنه عسكر مع جماعة من أصحابه بصورة منفصلة عن باقي العسكر، فيمكن أن يكون الراوي قد ضخَّم الأمر، حتى ادَّعى أن جماعة ابن أُبي يضاهون بكثرتهم عسكر النبي «صلى الله عليه وآله»، لكي يبرئ ساحة جماعات أخرى قد يظهر أنهم تخلفوا وتسببوا بمشكلة كبيرة نزلت فيها الآيات التي تلوم وتقرّع..

أو لعل الراوي كان قد رأى جمعهم في بداية تكوين عسكر النبي «صلى الله عليه وآله»، حين كان لا يزال عددهم قليلاً جداً، وقبل قدوم العساكر

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ و ٤٤٣ عن ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد.. وراجع المصادر السابقة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢. وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٢.

من سائر الجهات، فأخبر عما رآه في تلك الساعة، ثم تناقله الرواة فيما بعد من دون ملاحظة ذلك.

والذي نراه هو: أن الأمر كان كما ذكره هذا الراوي، وأن المنافقين كانوا بهذه الكثرة العظيمة، لأن أكثرهم قد اظهر الإسلام بعد فتح مكة، أي قبل مدة يسيرة من غزوة تبوك، فاقتضى ذلك نزول الآيات الكثيرة التي تؤنبهم على نفاقهم، وعلى ممارستهم الخبيثة التي تكاد تلحق أذى عظيماً في الإسلام، فنزلت أكثر آيات سورة التوبة لمعالجة هذا الواقع، فنجحت المحاولات، واستعاد النبي «صلى الله عليه وآله» قسماً كبيراً ممن تخلف، وبقيت طائفة منهم وهي أيضاً طائفة كبيرة وخطيرة أيضاً، وكانت تضمر للإسلام شراً، ولم يكن يمكن السيطرة عليها، ومعالجة أمرها إلا بأمير المؤمنين «عليه السلام» أو النبي «صلى الله عليه وآله»، فخلَّف «صلى الله عليه وآله» أمير المؤمنين علياً «عليه السلام»، وسار هو بالجيش الذي هيأه كما هو معلوم.

٣ ـ لقد تعلل ابن أُبي لرجوعه مع غيره من المنافقين بخوفه من بني الأصفر، وهم الروم.. وببعد الشقة، وثقل وخطورة المهمة، وبأنه يرى أن المسلمين سيتحولون إلى أسرى في يد أعدائهم.. مع أنه قد رأى من المعجزات على يد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما لا يبقي عذراً لأحد في أي تخاذل عن نصرته.. لأن تلك المعجزات تضطره إلى الإيمان بأن النبي «صلى الله عليه وآله» متصل بالله تبارك وتعالى.. فلا بد من إطاعته، ما دام أنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

إنه قد رأى كيف انتصرت قلة قليلة من المسلمين على ما يفوقهم عدداً بأضعاف كثيرة، ولم تكن غزوة مؤتة إلا حجة دامغة على كل منافق لا يؤمن

بيوم الحساب.. فضلاً عما جرى في بدر وخيبر، وحنين، والخندق، وقريظة، وغيرها..

نتائج تبوك معلومة سلفاً:

وهنا سؤال يقول:

قد صرح الشيخ المفيد: بأن رسو ل الله «صلى الله عليه وآله» كان يعلم عن طريق الوحي بأن غزوة تبوك ستنتهي من دون حرب، فما معنى إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» على المسلمين بالمشاركة في هذا المسير؟!

ولماذا جاءت الآيات الكريمة في سورة التوبة بهذه الحدة والشدة؟!

ولماذا الإصرار على إدانة وتقبيح عمل من تخلف عن تلك الغزوة؟!

وما معنى أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله» على المنبر: إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبداً؟!

والجواب:

أولاً: قد ذكرنا أكثر من مرة: أن ما يطلع الله تعالى عليه نبيه «صلى الله عليه وآله» من الغيوب بوسائط غير عادية، فليس له أن يرتب الأثر عليه، ولا أن يأخذ الناس به..

ثانياً: إن السبب في عدم حصول القتال في تلك الغزوة هو نفس مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى جمع الجموع للتصدي لتدبير كانوا يخفونه، ويعتقدون أنه يخفى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. حيث إن هذا الحشد الكبير سوف يرعبهم، وسيجعلهم يفكرون مرات ومرات قبل أن يقدموا على أي عمل عدواني.. ولا سيما بعد ما رأوه في مؤتة، حسبما

وصفناه أكثر من مرة.

ثالثاً: إذا كانت المصلحة تكمن في تحصين أهل الإسلام من الخارج، بإلقاء الرعب في قلوب أعداء دينهم، وتحصين أهل الإيمان من الداخل بفضح أهل النفاق، وإبطال كيدهم، فذلك يحتم إخفاء نتائج المسير إلى تبوك عن كل أحد، إذ إن إظهارها سيفقد ذلك المسير معنى الجدية، ويحوله إلى حركة إستعراضية فاشلة، وغير ذات أثر.. هذا إن لم تصل أخبار ذلك إلى مسامع الروم وملكهم..

رابعاً: إن معلومية نتائج تبوك لا يضر بسلامة التصرف النبوي على المنبر، إذ لا شك في أنه إن تهلك تلك العصابة التي معه فإن الله لن يعبد في الأرض.. بل إن عدم مشاركة المسلمين في ذلك المسير، ربما يؤدي إلى هلاك هذه العصابة، حيث يطمع فيهم عدوهم، ويندفع لإيراد الضربة القاسمة والحاسمة بالإسلام وأهله، كما أنه قد يقوي من عزيمة أهل النفاق في الداخل، ويزيد من التمزق، والتناحر، ويفتح أمامهم نوافذ التوسع في التآمر وإشراك العدو الخارجي في ممارسة الضغوط الخانقة على أهل الإيمان.

لا يدخل الجنة عاص:

قالوا: «ونادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا يخرج معنا إلا مقو، فخرج رجل على بكر صعب، فصرعه بالسويداء.

فقال الناس: الشهيد الشهيد!!

فبعث النبي «صلى الله عليه وآله» منادياً ينادي: لا يدخل الجنة عاص»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٣ وراجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص١٧٨.

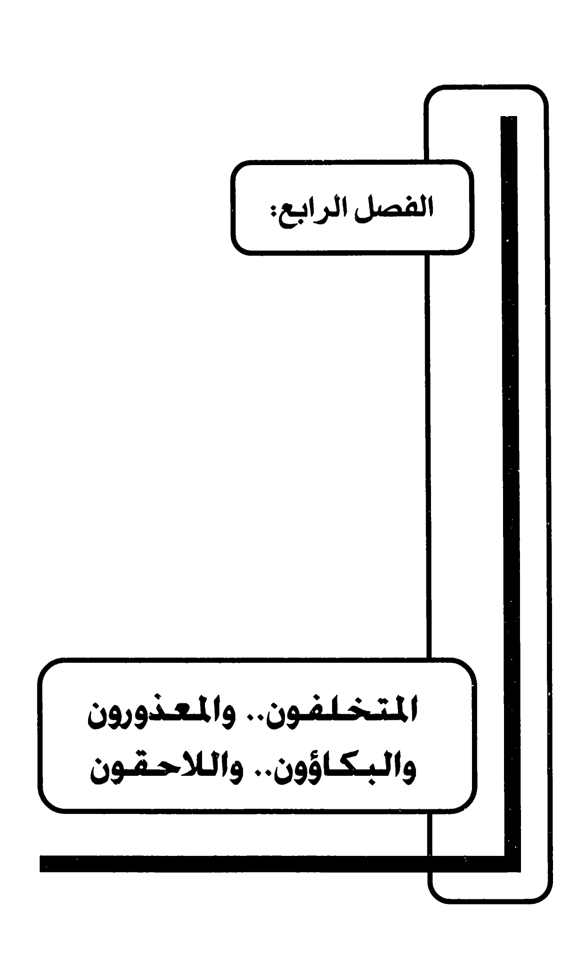
وأقول:

ولست أدري مدى صحة هذا الحديث.

فأولاً: إن ركوب ذلك الرجل بكراً صعباً لا يعني أنه خالف أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يختار دابة قوية، فإن البكر الصعب ليس ضعيفاً.

ثانياً: سوف يأتي: أن أبا ذر قد لحق بالنبي «صلى الله عليه وآله» على بعير ضالع، فلم يسر معه إلا شيئاً يسيراً حتى اضطر إلى تركه، وحمل متاعه على ظهره، ولحق بالنبي «صلى الله عليه وآله» ماشياً. فهل كان أبو ذر عاصياً أيضاً، ولا يدخل الجنة؟!.

إلا أن يقال: إن كلام النبي «صلى الله عليه وآله» حول لزوم تهيئة مركوب مناسب لم يصل إلى مسامع أبي ذر.. وكان «صلى الله عليه وآله» عالماً بتعمد صاحب البكر الصعب مخالفة أوامره.. وهذا القول يحتاج إلى دليل، وإلا كان رجماً بالغيب!!



الفصل الرابع:

المتخلفون.. والمعذورون والبكاؤون.. واللاحقون

[illegible]

[illegible]
[illegible]

أبو ذر يلحق بالنبي صلى الله عليه وآله:

عن ابن مسعود قال: لما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك جعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان.

فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه».

حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه»[1].

وتلوَّم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ماشياً.

قال محمد بن عمر: قالوا: وكان أبو ذر الغفاري يقول: أبطأت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك من أجل بعيري. وكان نضوا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٣ عن ابن إسحاق. وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٥ ص٢٢١، والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٠، والثقات لابن حبان ج٢ ص٩٤، وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٧١، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٣٢، وغيرهم.

أعجف، فقلت: أعلفه أياماً ثم ألحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعلفته أياماً، ثم خرجت، فلما كنت بذي المروة أَذَمَّ بي، فتلومت عليه يوماً فلم أر به حركة، فأخذت متاعي فحملته.

قال ابن مسعود: وأدرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بعض منازله، قال محمد بن عمر: قال أبو ذر: فطلعت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نصف النهار وقد أخذ مني العطش، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كن أبا ذر».

فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو ـ والله ـ أبو ذر.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، فكان كذلك.

فلما قدم أبو ذر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره خبره، فقال: «قد غفر الله لك يا أبا ذر بكل خطوة ذنباً إلى أن بلغتني».

ووضع متاعه عن ظهره، ثم استقى، فأتي بإناء من ماء فشربه[1].

ونقول:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٣ و ٤٤٤ وقال في هامشه: أخرجه مسلم في التوبة باب ٩ (٥٣) والطبراني في الكبير ج٦ ص٣٨ وج١٩ ص٤٣ و ٨٥ والبيهقي في الدلائل ج٥ ص٢٢٣ و ٢٢٦ وانظر البداية لابن كثير ج٥ ص٨ وتاريخ الأمم والملوك ج١١ ص٤٣. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٦٦ ص١٨٦ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٣٨.

لا فرق بين أبي ذر وغيره:

ومبدأ الإسلام في التعامل صريح وصحيح، وهو لا يستثني قريباً حبيباً ولا نائياً غريباً.. ولذلك اطلق النبي «صلى الله عليه وآله» نفس المعيار، وطبقه على أبي ذر، ولم يظهر أي ليونة تجاهه.. وهو قوله: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه».

لأن المفروض: أن ما حصل عليه أبو ذر من مقام في الإسلام، ومن أوسمة على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يحصل عليه باقتراح ومحاباة منه «صلى الله عليه وآله»، بل حصل عليه بجهد وجهاد، رسم حدوده، وبين معالمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبي ذر وللناس كلهم، فاستفاد أبو ذر منه فربح، وتقاعس عنه آخرون وفرطوا فيه، فخسروا.

ومن جهة أخرى، فإنه لا بد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يراعي جانب العدل والإنصاف في كل مفردات تعامله، فإذا كان من الجائز على كل أحد سوى الأنبياء وأوصيائهم أن يحدث لهم تراجع أو اختلال في سلوكهم، نتيجة لسوء اختيارهم أو تقصيرهم، أو لغير ذلك من أمور، فإنه لا بد أن يلتزم بذلك أيضاً بالنسبة لأبي ذر، لأنه هو الآخر من الناس الذين يملكون اختياراً، ويتعرضون للخطأ، والتقصير لوسوسات الشيطان.

وهذا بالذات هو ما التزم به النبي «صلى الله عليه وآله» حين أطلق نفس القول بحق أبي ذر الإنسان.. كما كان أطلقه في حق كل من يحمل صفة الإنسانية..

فسيلحقه الله:

وقول النبي «صلى الله عليه وآله»: إن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم.. لا يريد أن يؤكد به مبدأ الجبر، والتصرف التكويني في البشر إلى حد سلب اختيارهم.. بل هو يريد أن الله تعالى سيمنحه توفيقاته، وسيفتح له أبواب الهداية، ليختار هو لنفسه ما ينجيها، ويعينه عليها لتذليل جماحها، والرضا بما فيه صلاحها، ونجاحها، وفلاحها.

مقايسة بين نوعين من الناس:

ولا أدري كيف تمكن المقارنة بين أولئك الباحثين عن المسارب، والمهارب للتملص من هذا المسير الجهادي، وهم أهل الأموال الكثيرة، التي تمكنهم من تذليل صعاب ذلك السفر، وتهوين مشاقه، ويطمعون بدلاً عن ذلك ـ بالتنعم بنسمة عليلة، أو ثمرة يانعة.. وبين هذا الذي يجهد ليمنح بعيره شيئاً من القوة ليستفيد منه في طريق الجهاد، ولكنه حين يعجز عن ذلك، فإنه يتركه في أوائل ذلك الطريق الطويل جداً، ويحمل ثقله على ظهره، ويسير في تلك الصحراء القاحلة في أيام القيظ والحر، يواجه بوجهه لفحات الهجير، ويعرض نفسه لمخاطر الموت جوعاً أو عطشاً، أو لأخطار الإفتراس، من حيواناتها الكاسرة، أو لأخطار نهشات أفاعيها وحيَّاتها، التي عادة ما تكون في أيام القيظ هائجة.

فبأي شيء كان يطمع أولئك إلا بحطام الدنيا وزخرفها الزائل؟! وبأي شيء كان يطمع أبو ذر إلا بالثواب والأجر، وبالشهادة في سبيل الله تعالى؟!

كن أبا ذر:

وقد ظهر من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك الذي جاء وحده إلى تبوك: «كن أبا ذر»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فصل بين موقفه في تعامله المباشر مع الحالة العامة للناس، ووضع الأسس الصحيحة لهذا التعامل، وبين تعامل آخر، صحيح وسليم أيضاً، وهو حقه في أن يعبر عما يحتفظ به من قناعات عن الأشخاص فيما يرتبط بملكاتهم وخصائصهم، وطبيعة تكوينهم الروحي، وسلوكهم الشخصي. فتوقع!! أن يكون ذلك القادم وحده من قلب الصحراء أبا ذر الذي عرف أخلاقه، وما يحمله من مبادئ، وطبيعة سلوكه ومواقفه..

يموت وحده، ويبعث وحده:

وكما كان إبراهيم أمة عابداً وخاضعاً وقانتاً لله، فإن أبا ذر كان أمة قانتاً لله وخاشعاً له، ويعيش الإستقلالية والغنى عن الإرتباط بأي شيء آخر سوى الله تعالى، فهو يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث يوم القيامة وحده، لم يجعل أي شيء في وجوده مرتهناً ولا مقيداً بأي شيء آخر.

ولا يعبد شيئاً غير الله، ولا يقيم وزناً لأي شيء سواه.

وهذه مرتبة جليلة لا يصل إليها إلا الصفوة من أهل التقوى، الذين حرروا أنفسهم من أي ارتباط بها في هذه الحياة الدنيا..

وما يؤكد ذلك ويوضحه: أن الروايات قد جاءت لتؤكد على غربة الدين وأهله عن هذه الدنيا وعن أهلها، ليكون أبو ذر «رضوان الله عليه» مصداقاً لقول النبي «صلى الله عليه وآله»: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود

غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»[١].

وزاد في نص آخر: فقيل: ومن هم يا رسول الله؟

قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس، إنه لا وحشة ولا غربة على مؤمن، وما من مؤمن يموت في غربته إلا بكت عليه الملائكة رحمة له، حيث قلت بواكيه، وفسح له في قبره بنور يتلألأ من حيث دفن إلى مسقط رأسه[٢].

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: «المؤمن غريب، وطوبى للغرباء»[٣].

وروي أيضاً عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم»[٤].

أبو خيثمة وعمير بن وهب أيضاً:

قالوا: لما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» أياماً دخل أبو خيثمة على أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، وقد رشت كل منهما عريشها وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل

---

(١) البحار ج٨ ص١٢ وج٥٢ ص٣٦٧ و ١٩١ وج٢٥ ص١٣٦ وج٢٤ ص٣٢٨ وج٧٤ ص٩٧. وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج١ ص٢١٨، وإكمال الدين ص٦٦و٢٠١، وكتاب الغيبة للنعماني ص٣٣٦، وغيرهم.

(٢) البحار ج٦٤ ص٢٠٠. ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٢٣، والنوادر للراوندي ص١٠٢ـ١٠٣، وغيرهم.

(٣) المحاسن للبرقي ج١ ص٢٧٢. والكافي ج١ ص٣٩١.

(٤) البحار ج٧٥ ص٨١ وكشف الغمة للأربلي ج٣ ص١٣٩ و ١٤١. وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص٥٢،، والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص١٠٥٥.

قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: سبحان الله! رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضح والريح والحر، يحمل سلاحه على عنقه، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ، وامرأة حسنة، في ماله مقيم؟!! ما هذا بالنصف!

ثم قال: والله، لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهيئا لي زاداً.

ففعلتا، ثم قدَّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي-في الطريق يطلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تَخَلَّفَ عنى حتى آتي رسول الله «صلى الله عليه وآله». ففعل.

حتى إذا دنا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كن أبا خيثمة».

فقال رجل: هو والله، يا رسول الله أبو خيثمة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أولى لك يا أبا خيثمة».

ثم أخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: خيراً، ودعا له بخير.

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك:

ولما رأيت الناس في الدين نافقوا ... أتيت التي كانت أعف وأكرما

وبايعت باليمنى يدي لمحمد ... فلم أكتسب إثماً ولم أغْشَ محرما

تركت خضيباً في العريش وصرمة ... صفايا كراماً بسرها قد تحمما

وكـنـت إذا شك المنافق أسمحت إلى الدين نفسي شطره حيث يمما[1]

ونقول:

إننا لا ندري مدى صحة هذا الحديث، الذي يبدو لنا أنه ينتهي إلى ابن إسحاق، غير أن من الواضح: أن أبا خيثمة ـ كما أظهره النص المنقول عن ابن إسحاق ـ قد تعمد في بادئ الأمر التخلف عن المسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك، رغم قدرته المالية على ذلك، فلا معنى لجعله في مصاف أبي ذر الذي حاول جهده أن يهيئ بعيره لحمله. فلم يفلح فبادر إلى السير على قدميه حاملاً ثقله على ظهره في ذلك الجو القائظ، وذلك السفر الطويل، الذي هو أطول أسفار رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزواته.

فإن لم يكن الهدف هو إيجاد شركاء لأبي ذر في هذا الفضل العظيم الذي حازه كما ربما يوحي به التشابه بين ما نسب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من أنه قال: «كن أبا خيثمة». كقوله: «كن أبا ذر». فإننا لا نمنع من ان يكون شخص أو شخصان كأبي خيثمة وعمير بن وهب قد راجعا حساباتهما، فوجدا أن من الخير أن لا يحسبا في معسكر النفاق، وفي موقع المعلن بالعصيان لأوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لا سيما وهما يريان أن الإسلام يزداد انتشاراً، وقوة وشوكة، وعظمة ونفوذاً..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٤ و ٤٤٥ عن الطبراني، وابن إسحاق، والواقدي، والبداية والنهاية ج٥ ص١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٤.

غير أن الغريب في الأمر هو: أن حديث أبي خيثمة قد تضمن إشارة تتناقض مع ما يسعى إليه الراوي من تلميع لصورة أبي خيثمة، وذلك انه «صلى الله عليه وآله» قال: «أولى لك يا أبا خيثمة».

وهذه الكلمة ـ كما ذكره العلماء ـ لعلها أكثر ظهوراً في التعبير عن عدم الرضا.

وقد ذكروا: أنها تستعمل في مقام التهديد كما قاله الأصمعي.

وقيل: أولى لك، اسم فعل مبني، ومعناه: وليك شر، أو المراد: الهلاك أولى لك، أو أولى لك ما تكرهه. وقد كثر استعماله في مثل هذه المعاني، حتى صار بمنزلة: الويل لك[1].

البكاؤون الذين لا يجد ما يحملهم عليه:

قال الصالحي الشامي:

وروى ابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عباس وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي، وابن إسحاق، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن محمد بن عمر بن قتادة وغيرهم: أن عصابة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» جاؤوه يستحملونه، وكلهم معسر ذو حاجة لا يحب التخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ﴿**وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ**

---

(١) راجع: تفسير الميزان ج٢٠ ص١١٤ و ١١٥ وج١٨ ص٢٣٩.

الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[١]، وهم سبعة.

واختلفوا في أسمائهم، فالذي اتفقوا عليه: سالم بن عمير، من بني عمرو بن عوف الأوسي، وعلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب. وهرمي بن عبد الله.

والذي اتفق عليه القرظي، وابن إسحاق، وتبعهم ابن سعد، وابن حزم، وأبو عمرو، والسهيلي ولم يذكر الأخير، والواقدي: عرباض بن سارية، وجزم بذلك ابن حزم، وأبو عمرو، ورواه أبو نعيم عن ابن عباس.

والذي اتفق عليه القرظي، وابن عقبة، وابن إسحاق: عبد الله بن مغفل المزني، وفي حديث ابن عباس: عبد الله بن مغفل فيهم.

وروى ابن سعد، ويعقوب بن سفيان، وابن أبي حاتم، عن ابن مغفل قال: إني لأجد الرهط الذين ذكر الله تعالى: **﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾** الآية.

والذين اتفق عليهم القرظي وابن عمر: سلمة بن صخر، ولفظ القرظي: سلمان.

والذي اتفق عليه القرظي وابن عقبة: عمرو بن عَنمة بن عدي، وعبد الله بن عمرو المزني. حكاه ابن إسحاق قولاً بدلاً عن ابن مغفل، وانفرد القرظي بذكر: عبد الرحمن بن زيد أبي عبلة من بني حارثة، وبذكر: هرمي بن عمرو من بني مازن.

قال محمد بن عمر: ويقال: إن عمرو بن عوف منهم.

---

(١) الآية ٩٢ من سورة التوبة.

قال ابن سعد: وفي بعض الروايات من يقول فيهم: معقل بن يسار، وذكر فيهم الحاكم حرمي بن مبارك بن النجار، كذا في المورد.

ولم أر له ذكراً في كتب الصحابة التي وقفت عليها.

وذكر ابن عائذ فيهم: مهدي بن عبد الرحمن، كذا في العيون، ولم أر له ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الصحابة.

وذكر فيهم محمد بن كعب: سالم بن عمرو الواقفي.

قال ابن سعد: وبعضهم يقول: البكاؤون بنو مقرن السبعة، وهم من مزينة انتهى، وهم: النعمان، وسويد، ومعقل، وعقيل، وسنان، وعبد الرحمن والسابع لم يسم، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: النعمان، وقيل: ضرار، وقيل: [...] وحكى ابن فتحون ـ قولاً ـ أن بني مقرن عشرة، فيتعين ذكر السبعة منهم.

وذكر ابن إسحاق في رواية يونس وابن عمر: أن عبلة بن زيد لما فقد ما يحمله، ولم يجد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يحمله، خرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله تعالى، ثم بكى وقال: اللهم إنك أمرتنا بالجهاد ورغبت فيه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض.

ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أين المتصدق هذه الليلة»؟ فلم يقم أحد.

ثم قال: «أين المتصدق فليقم»؟! فقام إليه فأخبره.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أبشر، فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة».

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: لما خرج البكاؤون من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد أعلمهم أنه لا يجد ما يحملهم عليه لقي يامين بن عمرو النضري أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان. فقال: ما يبكيكما؟

قالا: جئنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج، ونحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأعطاهما ناضحاً له، وزود كل واحد منهما صاعين من تمر.

زاد محمد بن عمر: وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين، وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة نفر بعد الذي جهز من الجيش[1]. انتهى.

ونقول:

قد سقنا كلام هذا الرجل لنبين مدى الإختلاف في أسماء هؤلاء وقد اقتصرنا على هذا المقدار، والمراجعة إلى سائر المصادر، ومقارنة نصوصها، سوف تزيد من حدة وسعة هذه الإختلافات. وليس المقصود هو التحقيق حول هذا الأمر، بل المقصود هو لفت نظر القارئ إلى حرص الرواة على تخصيص هذه الفضيلة أو تلك بمن لهم فيه هوى، أو مصلحة..

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أنهم يتعاملون مع روايات السيرة بمنطق المنتفع والمستفيد، لا بمنطق الأمانة على الحق والحقيقة.. فإنا لله وأنا إليه راجعون..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٨ ـ ٤٤٠ والدر المنثور ج٣ ص٢٤٨ وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص٤٩.

النبي ﷺ لا يجد ما يحمل عليه أبا موسى، ثم يجد:

عن أبي موسى الأشعري قال: أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفر من الأشعريين ليحملنا، وفي رواية: أرسلني أصحابي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أساله لهم الحملان، فقلت: يا رسول الله إن أصحابي أرسلوني لتحملهم.

فقال: «والله لا أحملكم على شيء، وما عندي ما أحملكم عليه».

ووافقته وهو غضبان ولا أشعر.

فرجعت حزينا من منع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن مخافة أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجد في نفسه، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم جيء رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنهب إبل فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادي: أين عبد الله بن قيس؟

فأجبته، فقال: أجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدعوك.

فلما أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «خذ هذين القرينين، وهذين القرينين، وهذين القرينين»، لستة أبعرة ابتاعهن حينئذٍ من سعد.

وفي رواية: فأمر لنا بخمس ذود غر الذرى، فقال: «انطلق بهن إلى أصحابك، فقل: إن الله ـ أو قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ يحملكم على هؤلاء، فاركبوا».

قال أبو موسى: فانطلقت إلى أصحابي فقلت: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحملكم على هؤلاء، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين سألته

لكم، ومنعه في أول مرة، ثم إعطائه إياي بعد ذلك، لا تظنوا إني حدثتكم شيئاً لم يقله.

فقالوا لي: والله إنك عندنا لمصدق، ولنفعلن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من منعه إياهم، ثم إعطائه بعد ذلك، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى.

قال أبو موسى، ثم قلنا: تغفلنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يمينه، والله لا يبارك لنا، فرجعنا فقلنا له.

فقال: «ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم».

قال: «إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت التي هي خير وتحللتها».

فقال: «كفَّرت عن يميني»[1].

ونقول:

إننا لا نريد أن نقول هنا: في كل واد أثر من ثعلبة، إذ قد ينسبنا البعض

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٠ عن البخاري ومسلم، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج١١ ص٦٠١ (٦٧١٨) ومسلم ج٣ ص١٢٦٩ (٧/١٦٤٩)، والمجموع للنووي ج١٨ ص١١والمدونة الكبرى ج٢ ص١٠٢ وراجع: الشرح الكبير لابن قدامه ج١١ ص١٩٩ ونيل الأوطار للشوكاني ج٩ ص١٣٥ وصحيح البخاري ج٧ ص٢١٧ وصحيح مسلم ج٥ ص٨٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٨١ وسنن أبي داود ج٢ ص٩٦ وسنن النسائي ج٧ ص١٠ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٠١.

إلى التعسف في إطلاق التهمة، واللجوء إلى التجني، والإمعان في ذلك بلا مبرر أو داع إلى ذلك.

غير أننا نسجل من تحفظاتنا الكثيرة على النص المتقدم ما يلي:

لا حافظة لكذوب:

وقد اختلفت الروايات هنا بصورة لافتة، ونحن نكتفي بما قاله المتحذلقون لدفع غائلة هذه الإختلافات، وسيرى القارئ الكريم كم هي تعسفية وممجوجة، لا تليق بمن ينسب نفسه إلى العلم، أو يدَّعي لنفسه اليسير من الإنصاف.

قال الصالحي الشامي:

قول أبي موسى: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «خذ هذين القرينين، وهذين القرينين، أي الجملين المشدودين أحدهما إلى الآخر» لستة أبعرة، لعله قال: هذين القرينين ثلاثاً، فذكر الرواة مرتين اختصاراً.

ولأبي ذر، عن الحموي، والمستملي: وهاتين القرينتين وهاتين القريتنين، أي الناقتين.

وفي رواية في باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن في الصحيح: فأمر لنا بخمس ذود.

وفي باب الإستثناء في الأيمان: بثلاثة ذود.

والرواية الأولى تجمع بين الروايات، فلعل رواية الثلاثة باعتبار ثلاثة أزواج، ورواية الخمس باعتبار أن أحد الأزواج كان قرينه تبعاً، فاعتد به تارة ولم يعتد به أخرى.

ويمكن أن يجمع بينهما: بأنه أمر لهم بثلاثة ذود أولاً، ثم زادهم اثنين، فإن لفظ زهدم أحد رواة الحديث: ثم أتي بنهب، ذود، غر الذرى، فأعطانا خمس ذود، فوقعت في رواية زهدم جملة ما أعطاهم، ورواية غيلان: مبدأ ما أمر لهم به، ولم يذكر الزيادة.

وأما رواية: خذ هذين القرينين، ثلاث مرار، وفي رواية: ستة أبعرة، فعلى ما تقدم أن تكون السادسة كانت تبعاً، فلم تكن ذودتها موصوفة بذلك.

قال الحافظ في رواية: ستة أبعرة، إما أن يحمله على تعدد القصة، أو زادهم على الخمس واحدا.

وقال: في رواية أبي موسى قال: أتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنهب إبل، فأمر لنا بخمس ذود.

وفي رواية بعد قوله: «خذ هذين القرينين» ابتاعهن من سعد.

ولم ينبه الحافظ على الجمع بين الروايتين فيحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون ما جاء من النهب أعطاه لسعد، ثم اشتراه منه لأجل الأشعريين، ويحتمل على التعدد[1]. انتهى.

والله لا أحملكم على شيء:

ثم إننا لا نرى أن ثمة تناقضاً في قوله: «والله لا احملكم على شيء، ولا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٠ و٤٨٠ وراجع: صحيح البخاري ج٥ ص١٢٩ وصحيح مسلم ج٥ ص٨٣ وفتح الباري ج٨ ص٨٥ ومسند أبي يعلى ج١٣ ص٢٤٢ و ٢٨٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠.

عندي ما أحملكم عليه»، حيث أراد بقوله هذا «لا أحملكم على شيء» أنه يرفض معونته بشيء حتى لو كان عنده ما يحملهم عليه، فكيف إذا لم يكن عنده شيء يعينهم به ويحملهم عليه، كما هو حاله في تلك الساعة؟!

المتخلفون والمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ:

قال محمد بن عمر وابن سعد عن المعذرين من الأعراب والمتخلفين: «وهما اثنان وثمانون رجلاً من بني غفار، وأنزل الله: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]»[2].

---

(١) الآيات ٦٨ ـ ٩٣ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٠ و ٤٤١ عن الواقدي وابن سعد.

قال ابن عقبة: وتخلَّف المنافقون، وحدَّثوا أنفسهم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يرجع إليهم أبداً، فاعتذروا. وتخلف رجال من المسلمين بأمر كان لهم فيه عذر، منهم السقيم والمعسر[١].

قال محمد بن عمر: وجاء ناس من المنافقين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليستأذنوه في القعود من غير علة، فأذن لهم، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً[٢].

وعن جابر بن عبد الله: استدار برسول الله «صلى الله عليه وآله» رجال من المنافقين حين أذن للجد بن قيس يستأذنون يقولون: يا رسول الله، ائذن لنا فإنَّا لا نستطيع أن نغزو في الحر، فأذن لهم، وأعرض عنهم[٣].

وجاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ، فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله.

قال ابن إسحاق: وهم نفر من بني غفار.

قال محمد بن عمر: كانوا اثنين وثمانين رجلاً، منهم، خفاف بن أيماء[٤].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٨ عن ابن عقبة، والدر المنثور ج٣ ص٢٤٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٨ عن الواقدي، وراجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٥٧ وصحيح البخاري ج٥ ص١٣١وصحيح مسلم ج٨ ص١٠٧ و السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٣٤ وفتح الباري ج٨ ص٨٩ وعمدة القاري ج١٨ ص٤٩ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٢٦٦ والمعجم الكبير ج١٩ ص٤٨ والدرر لابن عبد البر ص٢٤٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٨ عن ابن مردويه، وفي هامشه عن: البيهقي في الدلائل ج٥ ص٣١٨ وعن الدر المنثور ج٣ ص٢٦٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٨.

بنو غفار هم المنافقون المُعَذِّرُونَ:

بالنسبة لِلْمُعَذِّرِينَ من بني غفار نقول:

١ ـ إذا كان المنافقون من أهل المدينة لم يكونوا من قبيلة بعينها، بل كانوا منتشرين في جميع القبائل، وإذا كان النفاق منتشراً أيضاً في الأعراب حول المدينة في قبائل مختلفة مثل: غفار، وأسلم، وجهينة، ومزينة.. فلا نرى ما يبرر كون الْمُعَذِّرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ وهم اثنان وثمانون رجلاً من خصوص قبيلة غفار.

٢ ـ إن الآيات الكريمة قد صرحت: بأن الْمُعَذِّرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ كانوا من الأغنياء، فما هذا الغنى الواسع الذي كان في بني غفار؟!

وأين كان سائر الأغنياء من المنافقين في سائر القبائل؟!

٣ ـ وهل تخلف هؤلاء الثمانين كان سيؤثر على جيش يبلغ عدده ثلاثين ألفاً، حتى ينزل القرآن في حقهم بهذه الحدة والشدة؟! وأية خطورة يشكلها هذا العدد القليل على المسلمين، وهم بهذه الكثرة والقوة؟!

إننا نظن أن ثمة تعمداً لإلقاء التهمة على فريق بعينه، لعله كان هو الأضعف سياسياً، ولم يكن فيهم أحد يؤسف عليه من صناع السياسة، وبذلك يمكنهم حفظ فرقاء آخرين من أن تحوم حولهم الشبهات، لو تركت الأمور على طبيعتها..

التزوير في حديث المخذّلين:

قالوا: كان رهط من المنافقين يسيرون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة، منهم:

وديعة بن ثابت، أخو بني عمرو بن عوف.

والجلاس بن سويد بن الصامت.

ومُخَشَّن بالنون ـ قال أبو عمرو وابن هشام مَخْشِي بالتحتية ـ ابن حمير من أشجع، حليف لبني سلمة.

زاد محمد بن عمر: ثعلبة بن حاطب[1].

فقال بعضهم لبعض، عند محمد بن عمر: فقال ثعلبة بن حاطب: أتحسبون جلاد بني الأصفر كجلاد العرب بعضهم بعضاً، لكأني بكم غداً مقرنين في الحبال، إرجافاً برسول الله «صلى الله عليه وآله» وإرهاباً للمؤمنين.

وقال الجُلَاس بن عمرو ـ وكان زوج أم عمير، وكان ابنها عمير يتيماً في حجره ـ: والله لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير.

فقال عمير: فأنت شر من الحمير، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» صادق وأنت الكاذب.

فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أن أقاضي على أن يُضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأننا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه!!.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعمار بن ياسر: «أدرك القوم فإنهم قد اخترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتم كذا وكذا»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٥ وراجع ص٤٤٣ عن الواقدي وابن إسحاق.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٥ وقال في هامشه: أنظر المغازي للواقدي ج٣ ص١٠٠٣.وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٧٢ والدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ و ٢٥٥ عن ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وراجع ما عن أبي الشيخ، والفريابي، وابن مردويه.

«فانطلق عمار إليهم فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على ناقته، وقد أخذ وديعة بن ثابت بحقبها، ورجلاه تسفيان الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[١].

وحلف الجلاس ما قال من ذلك شيئاً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٢]»[٣].

وقال مُخَشَّن: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، فسماه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد الرحمن أو عبد الله، وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية، وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيداً ولا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة،

---

(١) الآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٤ من سورة التوبة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٥ وراجع: البرهان (تفسير) ج٢ ص١٤٠ عن تفسير القمي، وراجع: الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ و ٢٥٥ عن ابن مردويه، وعبد الرزاق، وابن المنذر، وابي الشيخ.

ولم يعرف له أثر[1].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم العديد من الوقفات:

تضخيم القضية لماذا؟!:

قد ذكرت النصوص المتقدمة: أن من الذين خرجوا رجاء الغنيمة أربعة نفر، تكلموا فيما بينهم بكلام بعينه، فأخبر الله تعالى نبيه بمقالتهم، وبما سيعتذرون به عنها.

غير أننا نقول:

ألف: إن ذلك غير مقبول ولا معقول، إذ إن أحداً لا يتوقع، أو فقل: لا يستطيع أن يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتابع كلمة صدرت أو حواراً دار بين أربعة أشخاص فقط، من بين ثلاثين ألفاً، ثم تنزل في ذلك الآيات بالتوبيخ والتقريع، فإن المتابع للأمور يرى في هذا الأمر اهتماماً غير مبرر بالأمور الصغيرة، وإنه لا معنى لإشغال النفس بها وهي غير ذات قيمة، وهذا معناه: أن الأمر كان أعظم خطراً، وأشد ضرراً، إن لم نقل: إن ذلك الخطر كان شاملاً وهائلاً حتى أوجب هذا المستوى من التصدي

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٦ والبرهان ج٢ ص١٤١ والدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ عن ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وراجع: كتاب التوابين لابن قدامه ص٩٣ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٣١ وتفسير ابن كثير ج٢ ص٣٨١ وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٧٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٤٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٥٢.

والتحدي من الله ورسوله.

وأما لو كان الأمر محصوراً بأربعة أشخاص، أو حتى بعشرات، فلا مبرر لشيء من ذلك إلا أن يكون هؤلاء الأشخاص من ذوي التأثير القوي في الناس، وقد جاء كلامهم المثير في سياق التآمر، والكيد الخطير على الإسلام وأهله.

ب: إن الآيات نفسها قد تضمنت ما يدحض مزاعم هذه الروايات، لأنها تقول: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾[1]. الظاهر في وجود جماعات وطوائف شاركت في هذا الأمر.

مع أن الرواية تقول: إن رجلاً واحداً فقط هو الذي لم يشارك في مقالة رفاقه الثلاثة.. والشخص الواحد لا يقال له طائفة..

وقول الفقهاء والمفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] بأن أقله واحد[3].

ويشهد له: ما روي عن غياث بن إبراهيم في ذلك[4]. لا يصلح نفضاً لما

---

(١) الآية ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٢ من سورة النور.

(٣) المبسوط للشيخ الطوسي ج٥ ص٢٢٣ والخلاف ج٥ ص٣٧٤ والسرائر لابن إدريس ج٣ ص٤٥٣ وجامع الخلاف والوفاق ص٥٨٥ وعمدة القاري ج٢٤ ص١٣ والتبيان ج٧ ص٤٠٦ وتفسير مجمع البيان ج٧ ص٢١٩ وجامع البيان للطبري ج١٨ ص٩١ وتفسير الثعلبي ج٧ ص٦٤ وتفسير البغوي ج٣ ص٣٢١ والفصول في الأصول للجصاص ج٣ ص٩٥.

(٤) التهذيب ج١٠ ص١٥٠ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٨ ص٣٧ والوسائل=

نقول، لأننا لو عملنا بهذا الخبر فإنه يقتصر منه على مورد النص، فيكون تعبداً شرعياً لاستقرار الفهم العرفي لكلمة طائفة في المورد على خلافه.

وقد اختلفت رواياتهم فيه، هل هو مخشي بن عمرو[1]. أم هو يزيد بن وديعة[2].

وحين أحرجتهم كلمة: «طائفة» الدالة على أن ثمة جماعة تجرأت، وجماعة أخرى تحرجت، وتراجعت حتى استحقت العفو، بادروا إلى التصرف في لغة العرب..

فنسبوا إلى الكلبي أنه قال: إنه تعالى «سمى طائفة وهو واحد»[3].

ونسبوا إلى ابن عباس قوله: «الطائفة الرجل والنفر»[4].

وإلى مجاهد قوله: «الطائفة الواحد إلى الألف»[5].

= (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٨ ص٩٣ وجامع المدارك ج٧ ص٥٣ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٥٧١.

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ و ٢٥٥ عن ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وابن إسحاق.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٥ عن عبد الرزاق، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٣) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٥ عن عبد الرزاق، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وراجع: تفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٨٣ وتفسير الميزان ج٩ ص٣٤٥ وراجع: جامع البيان للطبري ج١٠ ص٢٢٢ .

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٥ عن ابن أبي حاتم، وفتح القدير ج٢ ص٣٧٨ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٣١.

(٥) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٥ عن عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وعمدة القاري ج١ ص٢٠٩ وج٦ ص٣٥ وجامع البيان للطبري ج١٨ ص٩١ والمحرر =

وإلى ابن عباس قوله: «الطائفة رجل فصاعداً»[1].

ج: إن الروايات قد صرحت: بأن الذين يحلفون ما قالوا، هم نفس هؤلاء الثلاثة. والآيات قد صرحت أيضاً بأن الذين يحلفون هم الذين هموا بما لم ينالوا.

وقد ذكرت الروايات: أن المراد بهم هم الاثنا عشر الذين نفَّروا الناقة بالنبي «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة. وقد وردت أسماؤهم في بعض تلك الروايات.

فما معنى حصر القضية برمتها في هؤلاء الثلاثة، بل في واحد منهم، مع العلم بأنهم أشخاص لا يعرف عنهم إلا النزر اليسير، بل لعل بعضهم شخصية وهمية.

حقيقة القضية:

ولأجل ذلك نقول:

إن هذه القضية قد تعرضت لتزوير هائل وعجيب، وقد ذكرت الآية نفسها دقائق وتفاصيل حاسمة، تمنع من تصديق هؤلاء المزورين ومن الإصغاء لهذه الترهات، وتدل الناس على حقيقة هؤلاء الناس، وتشي بأن ثمة مؤامرة عظيمة وهائلة قد فشلت، وأن الإعتذار بالخوض وباللعب كان يقصد به التملص من تبعات فشل هذه المؤامرة، وأن طائفة منهم قد

= الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤ ص١٦٢ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٧٢ والدر المنثور ج٣ ص٢٥٥ وج٦ ص٩٠ ولسان العرب ج٩ ص٢٢٦.

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٥ عن عبد بن حميد، وتفسير ابن زمنين ج٣ ص٢٢١.

ارتكبوا جريمة تستحق العذاب.

فقد عبرت الآيات بالخوض، الذي يعبر به عن الكلام في الأمور الباطلة، وباللعب، الذي هو تعبير عن حركة عملية، لا تهدف إلى تحقيق أمر عقلائي، بل هدفها مجرد اللعب، وهذا معناه: أن الأمر لم يقتصر على الكلام الباطل، بل تعداه إلى فعلٍ باطلٍ زعموا أنهم قصدوا به اللعب، ليبعدوا الشبهة عن حقيقة نواياهم ومقاصدهم به..

ثم بينت الآية الأخرى، وهي آية يحلفون بالله ما قالوا: أن هؤلاء قد هموا بما لم ينالوا. فما هو هذا الشيء الذي هموا به ولم ينالوه.. ثم إنه ولا شك شيء خطير وكبير، لأن الله تعالى يتوعدهم عليه بعذاب دنيوي وأخروي..

وهذا التوعد بالعذاب يدل على: أن هذا الذي هموا به قد صاحبته حركة وفعل استحقوا العقوبة عليه.

ولا شك في أن دعواهم اللهو واللعب لو كانت للتستر على الأقوال فقط لكانت تكفي لدفع الشبهة، ودرء العقوبة الدنيوية، فإن الحدود تدرأ بالشبهات.

فالإصرار على ثبوت العقوبة، وعدم الإلتفات لهذه التعليلات يدل على أن ما ادَّعوه لا يكفي لدفع الشبهة عن الفعل الذي قاموا به..

فمن خلال ذلك كله نصل إلى نتيجة مفادها: أن هذه الآيات لم تنزل في قصة الجلاس، ووديعة، ومخشن، وثعلبة.. بل نزلت في قضية محاولتهم قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين نفَّروا ناقته به ليلة العقبة لكي تلقي به في الوادي، ويقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولكنهم لم ينالوا ما أملوه..

وقد أظهرت طائفة من النصوص: أن الذين فعلوا ذلك هم من

الأعيان المعروفين، والمؤثرين الذين تعلق عليهم قريش آمالها في كل ما اهمها.. وقد كانوا عند حسن ظنها، وسعوا في تلبية رغباتها، وحفظ مصالحها في الحالات الصعبة، التي مرت بقريش في مواجهاتها مع النبي «صلى الله عليه وآله»..

وقد ذكرت الروايات أسماء هؤلاء بالتفصيل، وكان حذيفة بن اليمان يعرفهم بأسمائهم، ولطالما سأله بعض أعيان الصحابة عن نفسه، إن كان يعرف أنه كان منهم، كما سنشير إليه إن شاء الله..

كما أن الروايات قد صرحت بما ذكرناه، وبينت أن هذا هو المقصود بالآيات المتقدمة، وليس المقصود الأشخاص الأربعة الذين زعموا أن الآيات تقصدهم، وكمثال على ذلك نذكر:

١ ـ عن جابر، عن أبي جعفر «عليه السلام»: نزلت هذه الآية: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[1]. نزلت في بني أمية والعشرة معها: أنهم اجتمعوا اثنا عشر، فكمنوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في العقبة، وائتمروا بينهم ليقتلوه، فقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنما كنا نخوض ونلعب، وإن لم يفطن لنقتلنه، فأنزل الله هذه الآية..[2].

---

(١) الآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) البرهان (تفسير) ج٢ ص١٤٠ والبحار ج٢١ ص٢٣٦ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٣٨.

٢ ـ قال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ «نزلت في اثني عشر رجلاً، وقفوا على العقبة، ليفتكوا برسول الله «صلى الله عليه وآله» عند رجوعه من تبوك، فأخبر جبريل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، وأمره أن يرسل إليهم، ويضرب وجوه رواحلهم، وعمّار كان يقود دابة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحذيفة يسوقها، فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم، فضربها حتى نحاهم.

فلما نزل قال لحذيفة: من عرفت من القوم؟

قال: لم أعرف منهم أحداً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنهم فلان وفلان، حتى عدهم كلهم.

فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟

فقال: أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم»[1].

٣ ـ ورويت القصة عن الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» بنحو أبسط، وفيها: أنهم دحرجوا دباباً من فوق الجبل لينفروا به «صلى الله عليه وآله» ناقته، فارتفعت الدباب عن الناقة، ووقعت في الجانب الآخر فراجع[2].

---

(١) تفسير مجمع البيان ج٥ ص٨١ والبحار ج٢١ ص١٩٦ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٥٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٣٧ وتفسير الميزان ج٩ ص٣٤٢ والبرهان (تفسير) ج٢ ص١٤٠ و ١٤١ عن مجمع البيان.

(٢) البرهان (تفسير) ج٢ ص١٤١ ـ ١٤٤ والبحار ج٢٨ ص٩٩ و الدرجات الرفيعة للسيد علي خان ص٢٩٨.

٤ ـ وقد ذكر حذيفة أسماء الذين نفَّروا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم أربعة عشر: أبو الشرور، وأبو الدواهي، وأبو المعازف، وأبوه، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وأبو الأعور، والمغيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، وعبد الرحمن بن عوف. وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾»[١].

ويلاحظ: أن عبد الله بن أُبي الذي يزعمون أنه كان رأس المنافقين لم يكن من بين هؤلاء. وذلك لأنه كان في المدينة، ولم يشارك في المسير إلى تبوك.

٥ ـ وروى حديث ليلة العقبة: ابن جريج وقال: إنهم اثنا عشر رجلاً[٢].

وذكر الزمخشري: أنهم كانوا خمسة عشر رجلاً[٣].

٦ ـ وراجع ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وفيه: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل محمد يوم العقبة، وإخراج ضعفاء الشيعة من المدينة، بغضاً لعلي[٤].

وأما روايات غير أهل البيت وشيعتهم، فقد اختلفت في المراد من

---

(١) البرهان (تفسير) ج٢ ص١٤٧ والخصال ص٤٩٩ والبحار ج٢١ ص٢٢٢ وج٣١ ص٦٣١ ومكاتيب الرسول ج١ ص٦٠٢.

(٢) البرهان (تفسير) ج٢ ص١٤٧ و ١٤٨ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٥١ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٧١ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص١١٣.

(٣) الطرائف لابن طاووس ص ٣٨٩ وسعد السعود ص١٣٥ والبرهان (تفسير) ج٢ ص١٤٨ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٥٠.

(٤) البرهان (تفسير) ج٢ ص١٤٧ عن الطبرسي.

الآيات المشار إليها:

١ ـ فذكرت طائفة منها أن المراد هم الأربعة الذين تقدمت أسماؤهم.

٢ ـ ولكن رواية جابر تدل على أنها نزلت في وداعة بن ثابت، حيث تخلف في المدينة، فقيل له: ما خلفك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

فقال: الخوض واللعب.

فأنزل الله فيه وفي أصحابه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[1]»[2].

٣ ـ هناك روايات أخرى عن شريح بن عبد الله، وعن عبد الله بن عمر تقول: إن رجلاً تكلم في حق القراء، فجاء به عمر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال ذلك الرجل: إنما كنا نخوض ونلعب.

فأوحى الله تعالى إلى نبيه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[3]»[4].

وقد صرحت رواية ابن عمر: أن قائل ذلك هو ابن أُبي فراجع[5].

---

(١) الآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٥ عن ابن مردويه، والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٣٣.

(٣) الآية ٦٥ من سورة التوبة.

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ عن حلية الأولياء، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وفتح القدير ج٢ ص٣٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٧ ص١١٩.

(٥) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والعقيلي، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والخطيب في رواة مالك، وفتح القدير ج٢ ص٣٧٨.

٤ ـ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ..﴾ قال: قال رجل من المنافقين: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، وما يدريه بالغيب[1]. فنزلت الآية.

وهذا يدل على: أن الآية قد نزلت بعد قصة ضياع الناقة، وهو إنما يناسب قضية العقبة.

الجد بن قيس يرفض المشاركة في تبوك:

عن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر، فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾[2]»[3].

وفي نص آخر أنه قال: نغزو الروم إن شاء الله، ونصيب من بنات بني الأصفر، كان يذكر من حسنهن ليرغب المسلمون في الجهاد، فقام رجل من

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ عن ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبحار ج٢١ ص١٩٧ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج٥ ص٨٢ وتفسير مجاهد ج١ ص٢٨٣ وامع البيان للطبري ج١٠ ص٢٢١ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٣٠ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٦٥ وزاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٣١٥ والدر المنثور للسيوطي ج٣ ص٢٥٤.

(٢) الآية ٤٩ من سورة التوبة.

(٣) الدر المنثور ج٣ ص٢٤٧ و ٢٤٨ عن الطبراني، وابن مردويه، وابن ابي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، ومجمع الزوائد ج٧ ص٣٠ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٠٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٣.

المنافقين، فقال: يا رسول الله، قد علمت حبي للنساء، فائذن لي ولا تخرجني، فنزلت الآية[1].

وعن ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وآخرين: أن الجد بن قيس أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في المسجد معه نفر، فقال: يا رسول الله ائذن لي في القعود، فإني ذو ضيعة وعلة فيها عذر لي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تجهز تجهز فإنك موسر، لعلك تحقب من بنات بني الأصفر»!

قال الجد: أوتأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما أحد أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألّا أصبر عنهن.

فأعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: «قد أذنا لك».

زاد محمد بن عمر فجاءه ابنه عبد الله بن الجد ـ وكان بدرياً ـ وهو أخو معاذ بن جبل لأمه، فقال لأبيه: لم ترد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقالته؟! فوالله ما في بني سلمة أحد أكثر مالاً منك، فلا تخرج ولا تحمل؟!

فقال: يا بني، ما لي وللخروج في الريح، والحر الشديد، والعسرة إلى بني الأصفر، فوالله ما آمن ـ خوفاً ـ من بني الأصفر وأنا في منزلي، أفأذهب إليهم أغزوهم؟! إني والله يا بني عالم بالدوائر.

فأغلظ له ابنه وقال: لا والله ولكنه النفاق، والله لينزلن على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيك قرآن يقرأ به.

فرفع نعله فضرب به وجه ولده، فانصرف ابنه ولم يكلمه.

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٤٨ عن أبي الشيخ عن الضحاك.

وأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[١].

أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول: وإن جهنم لمن ورائه[٢].

وجعل الجد وغيره من المنافقين يثبطون المسلمين عن الخروج، قال الجد لجبار بن صخر ومن معه من بني سلمة: «لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكا في الحق، وإرجافاً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣]»[٤].

---

(١) الآية ٤٩ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٧ عن ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم في المعرفة، وابن أبي حاتم، وابن عقبة، ومحمد بن إسحاق، والواقدي، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في السنن ج٩ ص٣٣ وفي الدلائل ج٥ ص٢٢٥.

وانظر: الدر المنثور ج٣ ص٢٤٧ و ٢٤٨ عن ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وابن أبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن أبي حاتم، وابن إسحاق، والبيهقي في الدلائل، وتفسير القمي ج١ ص٢٩٢.

(٣) الآيتان ٨١ و ٨٢ من سورة التوبة.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٧ وراجع: تفسير القمي ج١ ص٢٩٢ وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٦٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥.

ونقول:

في النص المتقدم عدة موارد تحتاج إلى توضيح، أو تقتضي التصحيح، فمن ذلك:

لعلك تحقب من بني الأصفر:

زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حاول أن يشجع الجد بن قيس على المسير إلى تبوك بقوله: «لعلك تحقب من بني الأصفر»..

ونقول:

أولاً: إننا لا نستسيغ هذا التصرف فيما عرفناه من أخلاق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي يهتم بتوجيه الناس إلى الإخلاص في الجهاد، والتماس ثواب الله فيه. لا أن يكون جهادهم من أجل الدنيا، فإن ذلك مما لا يدعو إليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهو يناقض ما جاؤوا به فلاحظ:

ألف: قال أمير المؤمنين «عليه السلام» في بعض خطبه: «يقول الرجل جاهدت ولم يجاهد، إنما الجهاد اجتناب المحارم، ومجاهدة العدو، وقد تقاتل أقوام فيحبون القتال لا يريدون إلا الذكر والأجر، وإن الرجل ليقاتل بطبعه من الشجاعة، فيحمي من يعرف ومن لا يعرف، ويجبن بطبيعته من الجبن، فيسلم أباه وأمه إلى العدو، وإنما المثال حتف من الحتوف، وكل امرئ على ما قاتل عليه، وإن الكلب ليقاتل دون أهله»[1].

---

(١) البحار ج٩٧ ص٤٢ وج٦٥ ص٢٣٣ عن الغارات للثقفي، ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٨ والغارات للثقفي ج٢ ص٥٠٢ و ٥٠٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص١٢١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١ ص١٠٣.

ب: وعن كعب بن عجرة قال: مر عليَّ النبي «صلى الله عليه وآله» فرأى أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» فيَّ جلدة ونشاطة، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان[1].

ثانياً: إنه إذا كان الجدّ بن قيس لا يصبر عن بنات بني الأصفر، فإن ذلك لا يمنع من خروجه، إذ إنهن إذا وقعن في السبي، يصبح الوصول إليهن سهل المؤونة، حيث إن النبي «صلى الله عليه وآله» سوف يقسم ذلك السبي على مستحقيه، ويزيل العلة، وتنحل بذلك عقدة الجد بن قيس وغيره ممن هم على شاكلته، ولا يتضمن ذلك أية فتنة له ولا لغيره.. فما معنى أن يتعلل بأنه إن رآهن لا يصبر عنهن؟! فإنهن إذا كن في حماية جيش العدو، فلا سبيل إليهن، وإن أصبحن في حوزة المسلمين، فإن العقدة تنحل، وتزول الموانع بأسهل طريق.

ثالثاً: إننا لا نرى مبرراً لقسوة الابن على أبيه إلى حد مواجهته بتهمة النفاق، كما جرى بين عبد الله بن الجد بن قيس مع ابيه، فإن ذلك مما لا

---

(١) مجمع الزوائد ج٤ ص٣٢٥ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٤١٥ عن الترغيب والترهيب ج٣ ص٦٣ والمعجم الأوسط ج٧ ص٥٦ والمعجم الصغير ج٢ ص٦٠ والمعجم الكبير ج١٩ ص١٢٩ والعهود المحمدية للشعراني ص٢٩٢ وفيض القدير للمناوي ج٣ ص٤١ والدر المنثور ج١ ص٣٣٧.

يرضى به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إن كان ذلك قد حصل بمرأى منه ومسمع، كما أنه مما لا تسمح به آداب الإسلام.

النبذ الإجتماعي للمتخلفين:

لما دنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا عنه، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لأصحابه «لا تكلموا رجلاً منهم، ولا تجالسوهم، حتى آذن لكم»[1].

فأعرض عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمؤمنون حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه، وحتى إن المرأة لتعرض عن زوجها، فمكثوا كذلك أياماً حتى ركب الذين تخلفوا، وجعلوا يعتذرون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالجهد والأسقام، ويحلفون له، فرحمهم، وبايعهم، واستغفر لهم[2].

ونقول:

إن أسلوب المقاطعة الذي أريد به تعريف الناس بحقيقة ما يجري، وإيقافهم على مدى خطورة ما صدر عن هؤلاء، ودلالتهم على مناشئ الخطر، والمتسببين به، قد سبق ومورس مع من ارتكبوا خطأً فادحاً، تسبب في إضعاف

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٨٦ عن ابن مردويه، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٢ عن ابن عقبة، وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٢٨٠، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٢٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٨١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٨٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٢ و ٤٧٣ والدر المنثور ج٣ ص٢٨٦ .

روح المسلمين، وأدخل عليهم شيئاً من المهانة والذل والإنهزام في غزوة مؤتة..

وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمر أصحابه بمقاطعة هؤلاء الذين أرادوا أن يسقطوا الهيكل كله على رأس الجميع، فخيب الله مسعاهم، وباؤوا بغضب من الله، بالفضيحة والخزي والمهانة في الحياة الدنيا.

وقد أظهر هذا الأسلوب لهم ولكل أحد أن الدين والإيمان هو الأقوى، وأن لا شيء يستطيع أن يقف في وجهه، وأن يحد من مده، وأن يفل من حده. وقد لقنهم درساً لن ينسوه، وعرفهم بحجمهم الحقيقي، ودل الناس عليهم، وبين لمن كان له فيهم رغبة وهوى أن ثمن ذلك سيكون باهظاً قد لا يقدر على تحمله، فالارتداع عنهم أصوب، والحياة مع غيرهم أطيب، ونمير سواهم أعذب.

النبي ﷺ يحرق بيت سويلم على المنافقين:

عن عبد الله بن حارثة قال: بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يثبطون الناس عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك، فبعث إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم اليهودي.

ففعل طلحة، واقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٧ عن ابن هشام، والبداية والنهاية ج٥ ص٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦.

ونقول:

أسئلة هامة وأجوبتها:

وأول سؤال يطرح نفسه هنا هو:

لماذا أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بإحراق البيت على أولئك المجتمعين؟! ألم يكن يكفي أن يأمره بأن يأتيه بهم ليعاقبهم على رؤوس الأشهاد؟!

وألا يتنافى ذلك مع ما أعلنه «صلى الله عليه وآله» أكثر من مرة بقوله: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟!

وألا يعتبر إحراق البيت عليهم إتلافاً لمال يمكن أن يتحقق الغرض بدون إتلافه؟!

ولماذا لم يتثبت الأمر من المتهمين أنفسهم، ولم يفسح المجال لهم للدفاع عن أنفسهم؟!

وللإجابة على هذه الأسئلة نقول:

أولاً: البيت ليهودي قد نقض عهده، فلم يبق له ولا لبيته حرمة..

ثانياً: إن إبقاء البيت، والإكتفاء بالإستيلاء عليه سوف يبقي أطماع المنافقين تحوم حوله، وسيكون ذريعةً لإثارة الشعور، ولو بصورة الوسوسة الخفية للناس، بأنه قد أُخِذَ ظلماً، أو أن الأمر لم يكن يستوجب مصادرة البيت.

وفي ذلك تشكيك بصوابية فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتضمن خدشاً في هيبته، وفي عدله وقداسته..

ثالثاً: سيأتي أن النبي «صلى الله عليه وآله» هدم مسجد ضرار، ولم يكتف بالإعلان عن إدانة النفاق وأهله، أو نحو ذلك، كما أن الله سبحانه قد خسف بقارون وبداره، وأتى على قرية لوط فجعل عاليها سافلها.

ولعل سبب اختيار النبي «صلى الله عليه وآله» أسلوب الإحراق هنا هو: أن ذلك كان أرهب للعدو، وأبعد للسمع، وأثبت في الذاكرة، وأوقع في النفوس.

ولعله لم يكن «صلى الله عليه وآله» يريد أن يلحق بالمجتمعين في ذلك البيت أذى جسدياً مباشراً، نظير ما جرى في قصة مأبور، حيث أمر «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بقتله، فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: يا رسول الله إنك تبعثني في الأمر أكون فيها كالسكة المحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟

قال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب[1].

فلحقه بالسيف حتى كشف أمره، وأظهر كذب المفترين.

أي أنه «صلى الله عليه وآله» إنما كان يريد أن يفسح لهم المجال للفرار

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٨٣ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٩١٢ وكنز العمال ج٥ ص٤٥٤ و ٧٧٣ و ٨٠٣ وكشف الخفاء ج٢ ص٣ وفيض القدير ج٤ ص٢٢٦ وشرح نهج للمعتزلي ج١٠ ص٢٦٢ وأمالي المرتضى ج١ ص٥٤ و ٥٥ وأمالي الطوسي ص٣٣٨ والبحار ج٢١ ص٧٠ وج٢٢ ص٥٣ و ١٦٧ وج٣٨ ص٣٠٢ وج٤٢ ص١٨٦ ومكارم الأخلاق ص٢٥٢ والكافي ج٨ ص٣٤٩ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٩٧ و والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٤٤١ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٣٢٤ ودلائل الإمامة للطبري ص٣٨٧.

والتفرق، دون أن يفضحهم بين الناس، ويكونون هم الذين يفضحون أنفسهم إن شاؤوا، أو يتلكؤون في الفرار، فيفتضح أمرهم. ويكون احتراق البيت هو الأقل مؤونة، وهو الأقرب إلى تحقيق الهدف ودفع السوء بأقل تكلفة ممكنة.

ولعل مما يشهد على أن هذا هو غرض الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنه بالرغم من أن أحداً من المنافقين لم يصب بأذى، وأن أحدهم، وهو الضحاك بن خليفة قد كسرت فخذه، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يطلب إحضار أحد منهم، ولم نسمع أنه «صلى الله عليه وآله» سأل أو طالب أو عاتب الضحاك بشيء، أو على شيء، فضلاً عن ان يكون قد عاقبه.

أهل مسجد الضرار:

وجاء أهل مسجد الضرار إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة، ونحب أن تأتينا فتصلي فيه.

فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنَّا في شغل السفر، وإذا انصرفت سيكون»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣٨. وراجع: البحار ج٢١ ص٢٥٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٤٥٨ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص١٠٠ و ١٠١ وجامع البيان للطبري ج١١ ص٣٢ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٩٢ وأسباب نزول الآيات ص١٧٥ وتفسير البغوي ج٢ ص٣٢٦ وتفسير النسفي ج٢ ص١٠٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٥٨١ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٣ ص٨١.

ونقول:

إن من الواضح: أن هذه محاولة من هؤلاء المنافقين لتعمية أمرهم على الناس، واكتساب مشروعية لنشاطهم بصلاة النبي «صلى الله عليه وآله» في مسجدهم. مع أن أمرهم لم يكن ليخفى على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه كان قد عود الناس أن يكون هو البادئ بوضع الحجر الأساس لمساجدهم، وهو الذي يختط لهم الدور والأسواق، وسائر المرافق الحيوية في المدينة كلها.. فما معنى أن يستقل هؤلاء الناس باستحداث مسجد، دون أن يعلموه به، ودون أن يطلبوا منه أن يختطه لهم؟!

على أنهم قد صرحوا في كلامهم بأنهم قد قصدوا بمسجدهم أن يصلي فيه من لا يريد الحضور في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من ذوي العلل والحاجات حسب زعمهم، وهذا يزيد الشبهة في مقاصدهم، ونواياهم الحقيقية.

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يظهر لهم أي شيء غير عادي، بل ذكر لهم أن شغل السفر يمنعه من تلبية طلبهم.. وهذا التأجيل يمنحه الفرصة لاستخراج دخائلهم، ولكي تكشف تقلبات الأحوال باطنهم للناس، وقد حدث ذلك فعلاً كما سنرى.

وهذ معناه: أن ثمة ما يبرر هذا الموقف السلبي النبوي منهم، إذ لا يمكن أن يواجههم «صلى الله عليه وآله» بمثل هذا الكلام من دون مبرر ولا سبب، فإنه نبي معصوم، بل إن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ

هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، يعطي: أن الله سبحانه هو الذي يريد من نبيه أن يواجههم بهذه الحدة والشدة، التي تحمل معها المهانة لهم، والخزي في الدنيا، ولا بد أن يكون العذاب الأليم هو الذي ينتظرهم في الآخرة.

وقد كان يمكن أن نتحمل أن ثمة خطأً من الرواة، أو من أبي موسى في حفظه لكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولكنه حين شفع ذلك بقوله: «وافقته وهو غضبان ولا أشعر»، وبقوله: «مخافة أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجد في نفسه»، قد دلنا على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك، وقصد معناه فعلاً.

طعن أبي موسى برسول الله ﷺ:

وقد حاول أبو موسى أن يطعن برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليبرئ نفسه، ويبرئ أصحابه من إساءتهم للرسول «صلى الله عليه وآله» التي استوجبت هذا الموقف النبوي الصارم منهم، الذي ألحق بهم المهانة والخزي، فاتهم النبي بأنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ما قال وهو في حالة الغضب، فلا قيمة لكلامه، لأن الإنسان قد يصدر عنه في هذه الحال ما لا يرضى بصدوره منه في الحالات العادية، فلا ضير إذن في أن يندم النبي «صلى الله عليه وآله» ويلوم نفسه، وربما يعتذر أو يتوب، إذا كان قد بلغ حد الخطيئة.. وقد اخترعوا على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله» أحاديث تشير إلى أنه مبتلى بهذا الأمر، وأنه قد أعلن أنه يطلب من الله تعالى أن يجعل

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

سبه ولعنه وجلده لأي رجل من المسلمين في حال الغضب زكاة ورحمة لذلك الرجل[١].

فأبو موسى إذن يؤثر أن ينسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» الخطأ، وأن ينفي العصمة عنه، وأن يكذِّب الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢].

على أن يلحقه هو وأصحابه أدنى مهانة بسبب أعمالهم الشريرة، ونفوسهم المريضة!!

إذا كان قد ابتاعهن من سعد:

ولعلك تقول: إذ اكان «صلى الله عليه وآله» قد ابتاع ستة أبعرة من سعد، فذلك يعني: أنه كان لديه مال يبتاع به ستة أبعرة، فلماذا قال قبل ساعة لأبي موسى: ما عندي ما أحملكم عليه؟!

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٢ ص٤٩٣ و ٤٩٦ وصحيح مسلم ج٨ ص٢٥ و ٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٦١ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص١٥٠ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٦٧ وعمدة القاري ج٢٢ ص٣١٠ وعون المعبود ج١٢ ص٢٧٠ وكنز العمال ج٣ ص٦١١ و ٦١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٨٩ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج٣ ص١١٦٩ وسير أعلام النبلاء ج١٨ ص٣٥٤ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٥١ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٢٢٧ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص٩١ والبداية والنهاية ج٨ ص١٢٨ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص١٩٥.

(٢) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

والجواب: لعله كان يقصد أنه لا يملك إبلاً تحملهم، أو أنه قد اشترى تلك الإبل بثمن مؤجل..

كاد المريب أن يقول خذوني:

إن الرواية المتقدمة: قد أوضحت أن أبا موسى كان مهتماً بإثبات صدقه أمام أصحابه حتى لقد أقسم أن لا يدعهم حتى ينطلق بعضهم معه ليسمعه ممن حضر ما جرى بينه وبين النبي «صلى الله عليه وآله» في المرة الأولى حين لم يعطه لهم شيئاً.

فإن هذا الإصرار منه يدل على أنه كان يرى نفسه في موضع الإتهام بنظرهم، وذلك يدل على أن ما يزعمونه له من مكانة وعزة بين الصحابة موضع شك وريب، حتى من أقرب الناس إليه، فإنهم لا يثقون به، وهو يعرف ذلك منهم، فكيف بمن سواهم؟!

هل منعهم النبي ﷺ؟!:

إن تعبير أبي موسى بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد منعهم أول مرة يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» كان لديه ما طلبوه، ولكنه منعهم منه..

وهذا هو مفاد قوله لأبي موسى: «والله لا أحملكم على شيء». فلماذا منعهم؟! ولماذا احتاج أبو موسى إلى أن يثبت ذلك لأصحابه..

النبي ﷺ يحنث في يمينه:

ولا يبالي أبو موسى أن ينسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» الحنث في يمينه، إذا كان ذلك يثبت فضيلة له ولأصحابه..

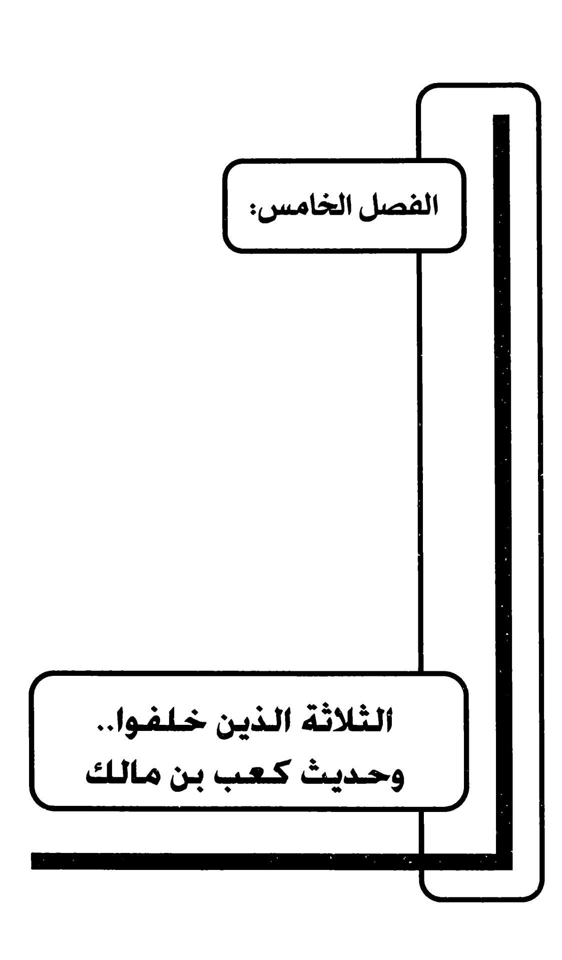
وهذا ما حدث هنا فعلاً، فقد نسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أنه يخطئ في تشخيص ما هو مصلحة، وأنه إذا حلف اليمين قد يظهر له أن غيرها خيراً منها، فلا يعمل بمقتضاها، ويفعل ما يخالفها، ثم يكفِّر عنها..

فما هذا النبي الذي يخالف اليمين، ويحتاج إلى التكفير عنها؟!

وما معنى أن يتقلب هذا النبي «صلى الله عليه وآله» في آرائه؟!

وكيف يمكن الوثوق بصحة ما يصدر عنه، وهو يعلن للناس أنه قد يخطئ فيما يختاره، فقد يختار غير الأصلح، فإذا عرف الأصلح تراجع عما اختاره أولاً، وانتقل إليه؟!

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الخامس:

الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك

الفصل الخامس:

أبو لبابة وأصحابه:

عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[1]، قال ابن عباس: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك، منهم: أبو لبابة، وسمى قتادة منهم: جد بن قيس وجذام بن أوس[2].

فلما قفل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان ممر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا رجع من المسجد عليهم، فلما رآهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «من هؤلاء الموثقون أنفسهم»؟!

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٨ و ٤٧٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٧٢ عن أبي الشيخ وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل ج٥ ص٢٧٢، وجامع البيان للطبري ج١١ ص١٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٧٢ وزاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٣٣٥ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٩٨ وفتح القدير ج٢ ص٤٠١ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٢ وإمتاع الأسماع ج٨ ص٣٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٨.

قالوا: هذا أبو لبابة، وأصحاب له، تخلّفوا عنك يا رسول الله، فعاهدوا الله ألَّا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم، فترضى عنهم وتعذرهم، وقدا اعترفوا بذنوبهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم، رغبوا عني، وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين»!!

فلما بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله تبارك وتعالى هو الذي يطلقنا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾[1]، وعسى من الله واجب، ﴿..**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[2].

فلما نزلت أرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم فأطلقهم وعذرهم.

قال ابن المسيب: فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي لبابة ليطلقه، فأبى أن يطلقه أحد إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاءه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأطلقه بيده، فجاؤوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما أمرت أن آخذ أموالكم»، فأنزل الله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ**

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٣٧ من سورة البقرة.

عَلَيْهِمْ..﴾، يقول: استغفر لهم ﴿..إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[١] يقول: رحمة لهم، فأخذ منهم الصدقة، واستغفر لهم.

وكان ثلاثة نفر منهم لم يوثقوا أنفسهم بالسواري، فأُرجئوا سنة لا يدرون: يعذبون، أو يتاب عليهم. فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ..﴾[٢] إلى آخر الآية. وقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾. إلى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٣]. يعني استقاموا فأنزل الله تبارك ـ وتعالى ـ في شأن هذه الغزوة كثيراً من سورة براءة.

وزعموا: أن ارتباط أبي لبابة كان في وقعة بني قريظة، وقد روينا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ما دلَّ على أن ارتباطه كان بتخلفه في غزوة تبوك[٤].

الثلاثة الذين خلّفوا:

وقد روى الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن أباه كعب بن مالك حدّث بما جرى له فقال: لم أتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت عن

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١١٤ من سورة التوبة.

(٣) الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٩ عن ابن إسحاق، والبيهقي، وفتح القدير ج٢ ص٤٠٢ وراجع المصادر المتقدمة.

غزوة بدر، ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

ولقد شهدت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أَذْكَر.

كان من خبري: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها، وكان يقول: «الحرب خدعة»، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً، وعدداً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ـ وفي لفظ: أهبة عدوهم ـ فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» كثيرون[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٣ عن ابن إسحاق، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٨ ص١١٣ (٤٤١٨) و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٣٠ ومسلم ج٤ ص٢١٢٠ ـ ٢١٢٨ (٥٣)، والبيهقي في الدلائل ج٥ ص٢٧٣ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٩٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٣ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص٢٩ وراجع: عمدة القاري ج١٨ ص٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٢ وعيون الأثر ج٢ ص٢٦٤ .

وعند مسلم: يزيدون على عشرة آلاف[1].

وروى الحاكم في الإكليل عن معاذ قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً.

وقال أبو زرعة الرازي: لا يجمعهم كتاب حافظ.

قال الزهري: يريد الديوان.

قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله تعالى[2].

وغزا رسول الله «صلى الله عليه وآله» تلك الغزوة حين طابت الثمار والغلال، في قيظ شديد، في حال الخريف، والناس خارفون في نخيلهم.

وتجهز رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتجهز المسلمون معه، فخرج في يوم الخميس. وكان يحب إذا خرج في سفر جهاد أو غيره أن يخرج يوم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٣ ومسلم ج٤ ص٢١٢٠ ـ ٢١٢٨ (٥٣) و (ط دار الفكر) ج٨ ص١١٢ وشرح مسلم للنووي ج١٧ ص١٠٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٣ عن الحاكم في الإكليل، وفي هامشه عن: البداية والنهاية ج٥ ص٢٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٥٣ وراجع: صحيح البخاري ج٥ ص١٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٣٤ وعمدة القاري ج١٨ ص٤٨ ورياض الصالحين للنووي ص٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص١٩٧ وتفسير الآلوسي ج١١ ص٤٢ وتفسير البغوي ج٢ ص٣٣٤ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤١١ والدر المنثور ج٣ ص٢٨٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٩ وعيون الأثر ج٢ ص٢٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٣.

الخميس. فطفقت أغدوا لكي أتجهز معهم، فارجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه.

وفي رواية: وأنا أقدر شيئاً في نفسي على الجهاد، وخفة الجهاد، وأنا في ذلك أصبوا إلى الظلال والثمار، ولم يزل يتمادى بي الحال حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» غادياً والمسلمون معه يوم الخميس، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت ـ بعد أن فصلوا ـ لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً.

فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أمعن القوم وأسرعوا، وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم ـ وليتني فعلت!! ـ فلم يقدر لي ذلك.

فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء.

وعند عبد الرزاق: وكان جميع من تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بضعة وثمانين رجلاً ـ ولم يذكرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بلغ تبوك.

فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب ابن مالك»؟

فقال رجل من بني سلمة، وفي رواية من قومي ـ قال محمد بن عمر: هو عبد الله بن أنيس السلمي ـ بفتح اللام ـ لا الجهني: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفيه.

فقال معاذ بن جبل ـ قال محمد بن عمر: وهو أثبت، ويقال: أبو قتادة: بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمت عليه إلا خيراً.

فسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أعد عذراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وأهيء الكلام، وأقول: بماذا أخرج من سخطه «صلى الله عليه وآله» غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.

فلما قيل إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أطل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لم أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وعرفت أنه لا ينجيني منه إلا الصدق.

وأصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» قادماً، قال ابن سعد: في رمضان، قال كعب: وكان إذا قدم من سفر لا يقدم إلا في الضحى، فيبدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم يدخل على فاطمة، ثم على أزواجه، فبدأ بالمسجد فركعهما، ثم جلس للناس.

فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى. فجئته، فلما سلمت عليه، تبسم تبسم المغضب، فقال: «تعال». فجئت أمشي حتى جلست بين يديه.

وعند ابن عائذ: فاعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا نبي الله، لم تعرض عني؟ فوالله ما نافقت، ولا ارتبت، ولا بدلت.

قال كعب: فقال لي: «ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك»؟

فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا

لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جدلاً، ولكني ـ والله ـ لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله تعالى أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك اليوم حديث صدق تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله عني، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله تعالى فيك ما يشاء».

فقمت، فمضيت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا: ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما اعتذر به إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله «صلى الله عليه وآله» لك.

فوالله ما زالوا يؤنبوني، حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، فقلت: ما كنت لأجمع أمرين: أتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأكذبه.

ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟

قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك.

فقلت: من هما؟

قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي.

وعند ابن أبي حاتم من مرسل الحسن: أن سبب تخلف الأول أنه كان له حائط حين زها، فقال في نفسه: قد غزوت قبلها فلو أقمت عامي هذا؟!

فلما تذكر ذنبه قال: اللهم أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك.

وأن الثاني كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال: لو أقمت هذا العام

عندهم. فلما تذكر قال: اللهم لك عليَّ أن لا أرجع إلى أهلي ولا مالي.

قال كعب: فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه.

فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا.

وعند ابن أبي شيبة: فطفقنا نغدو في الناس لا يكلمنا أحد، ولا يسلم علينا أحد، ولا يرد علينا سلاماً.

وعند عبد الرزاق: وتنكَّر لنا الناس حتى ما هم بالذي نعرف، وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالتي نعرف. انتهى.

ما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي عليَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو يموت فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد، ولا يصلي علي حتى تنكرت في نفسي الأرض حتى ما هي التي أعرف.

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيتهما يبكيان.

وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف الأسواق، فلا يكلمني أحد، ولا يرد علي سلاماً وآتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم عليه، وأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل علي، فإذا التفت نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي. أي أنه من بني سلمة، وليس هو ابن عمه أخو أبيه الأقرب، قال كعب: وهو أحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله، ما رد علي، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمني أحب الله ورسوله؟

فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت [فعدت له فنشدته] فلم يكلمني، حتى إذا كان في الثالثة أو الرابعة قال: الله ورسوله أعلم .

ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت، قال: فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا بنبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟

فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسان، وعند ابن أبي شيبة: من بعض من بالشام، كتب إلي كتاباً في سرقة حرير فإذا فيه:

أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، فأقصاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فإن تك متحولاً فالحق بنا نواسيك.

فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، قد طمع فيَّ أهل الكفر، فتيممت بها التنور فسجرته بها.

وعند ابن عائذ: أنه شكا قدره إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: ما زال إعراضك عني حتى رغب فيَّ أهل الشرك.

قال كعب: حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأتيني .

قال محمد بن عمر: وهو خزيمة بن ثابت، وهو الرسول إلى مرارة وهلال بذلك.

قال كعب: فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمرك أن تعتزل امرأتك. أي عمرة بنت حمير بن صخر بن أمية الأنصارية أو خَيَرَة ـ بفتح الخاء المعجمة فالتحتانية.

فقلت: أُطلقها، أو ماذا أفعل؟

قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك.

فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: وجاءت امرأة هلال بن أمية، أي خولة بنت عاصم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ـ وعند ابن أبي شيبة: إنه شيخ قد ضعف بصره ـ انتهى. فهل تكره أن أخدمه؟

قال: «لا، ولكن لا يقربك».

قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء!! والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال كعب: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في امرأتك كما أذن لهلال بن أمية أن تخدمه.

فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وما يدريني ما يقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب.

فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن كلامنا.

وعند عبد الرزاق: وكانت توبتنا نزلت على النبي «صلى الله عليه وآله» ثلث الليل.

فقالت أم سلمة: يا نبي الله ألا نبشر كعب بن مالك؟

قال: إذاً يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة.

قال: وكانت أم سلمة تجيئه في ثاني عشرة بأمري، فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال الذي ذكره الله تعالى قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوتاً صارخاً أوفى على جبل سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر.

وعند محمد بن عمر: أن الذي أوفى على سلع أبو بكر الصديق فصاح: قد تاب الله ـ تعالى ـ على كعب، يا كعب: أبشر.

وعند ابن عقبة: أن رجلين سعيا يريدان كعباً يبشرانه، فسبق أحدهما، فارتقى المسبوق على سلع فصاح: يا كعب، أبشر بتوبة الله تعالى وقد أنزل الله ـ تعالى ـ عز وجل فيكم القرآن، وزعموا أن اللذين سعيا هما: أبو بكر وعمر.

قال كعب: فخررت ساجداً أبكي فرحاً بالتوبة، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتوبة الله تعالى علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبيَّ مبشرون، وركض إليَّ رجل على فرس ـ وعند محمد بن عمر: هو الزبير بن العوام.

قال كعب: وسعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل، وعند محمد بن عمر: أنه حمزة بن عمرو الأسلمي.

قال كعب: وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته، وهو حمزة الأسلمي يبشرني، نزعت له ثَوْبَيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ. واستعرت ثوبين من أبي قتادة ـ كما عند محمد بن عمر ـ فلبستهما.

قال: وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد، فما ظننت أنه يرفع رأسه حتى تخرج نفسه، أي من الجهد، فقد كان امتنع عن الطعام حتى كان يواصل الأيام صياماً لا يفتر عن البكاء، وكان الذي بشر مرارة بن الربيع بتوبته سلكان بن سلامة أو سلامة بن وقش.

قال كعب: وانطلقت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتلقاني بالتوبة، يقولون: لتُهنِك توبة الله تعالى عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا برسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني. والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يبرق وجهه من السرور: [أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك].

فقلت: يا رسول الله، أمن عندك أم من عند الله؟

قال: «لا بل من عند الله، إنكم صدقتم الله فصدقكم الله».

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة

قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

فلما جلست بين يديه **قلت**: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله تعالى وإلى رسوله «صلى الله عليه وآله».

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك».

قلت: نصفه؟

قال: «لا».

قلت: ثلثه؟

قال: «نعم».

قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر.

وقلت: يا رسول الله، إنما نجاني الله تعالى بالصدق، وإن من توبتي ألَّا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجوا أن يحفظني الله تعالى فيما بقيت.

فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله «صلى الله عليه وآله»: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[1]، فوالله ما أنعم الله علي من نعمة ـ بعد أن هداني للإسلام ـ أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك

---

(١) الآيتان ١١٧ و ١١٩ من سورة التوبة.

الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال في الذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

قال كعب: وكنا قد تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمرنا حتى قضى الله سبحانه وتعالى فيه بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2] وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما تحليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه، فقبل منه[3].

---

(١) الآيتان ٩٥ و ٩٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٣) الحديث السابق ذكره بطوله في سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٣ ـ ٤٧٨ والنص له، وفي الدر المنثور ج٣ ص٢٨٧ ـ ٢٨٩ عن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي.

وراجع: الديباج على مسلم ج٦ ص١١٥ وصحيح البخاري ج٥ ص١٣٥ وعمدة القاري ج١٨ ص٥١ وصحيح مسلم ج٨ ص١١٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٦١ وجامع البيان للطبري ج١١ ص٨٣ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٩٠٣ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٨٢.

وعن كعب بن مالك قال: لما نزلت توبتي قبلت يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

وفي نص آخر: قبلت يده وركبتيه[2].

ونقول:

خلفوا أم تخلفوا؟!:

إننا قبل أن ندخل في مناقشة النص أو النصوص المتقدمة نحب أن نشير إلى أن التعبير القرآني عن الذين لم يسيروا إلى تبوك قد جاء بصيغة «خلفوا» المبني للمجهول. أي الذين تُرِكُوا وخلفهم المسلمون وراء ظهورهم، وساروا للجهاد في سبيل الله. ربما يشير إلى أن مخالفتهم لأمر النبي «صلى الله عليه وآله» دعت المسلمين إلى تركهم، والإنفصال عنهم، ومواصلة سيرهم إلى الله تعالى بدونهم..

هذا وقد فسر الأئمة الطاهرون: زين العابدين، والباقر، والصادق، والكاظم «عليهم السلام» بأنهم الثلاثة الذين خالفوا، أو قرأوها قراءة تفسيرية كذلك[3]. فراجع.

---

(١) سبل الهدى الرشاد ج٥ ص٤٧٨ عن ابن عساكر، وكنز العمال ج١٣ ص٥٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص ٢٠.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٨٩ عن أبي الشيخ، وابن مردويه.

(٣) فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٤١٣ والبرهان (تفسير) ج٢ ص٦٩ عن تفسير القمي، والكليني، ونور الثقلين ج٢ ص٢٧٨ عن مجمع البيان.

وبعدما تقدم نقول:

كنا قد ذكرنا في حديثنا عن غزوة بني قريظة في فصل: «فشل المفاوضات وخيانة أبي لبابة».. حديث خيانة أبي لبابة، وارتباطه إلى سارية من سواري المسجد النبوي، حتى أطلق النبي «صلى الله عليه وآله» سراحه بعد نزول الآيات في حقه.. وأثبتنا أنه حديث غير دقيق، بل هو في أكثره مكذوب ومختلق..

وحيث إنهم قد ذكروا عنه هذا الأمر في غزوة تبوك، فلا محيص عن العودة للإشارة إلى بعض ما يفيد في جلاء الحقيقة، فنسجل مع مراعاة الإختصار الشديد ما يلي:

خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً:

إن قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[1] لا ينطبق على قصة أبي لبابة وأصحابه، لأن المفروض: أن ما صدر منهم هو التخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم الإعتراف بالذنب، والآية لم تصرح بتوبته.

وإذا كان قد تاب فعلاً فإن الآية تقول: إن التوبة إنما تعقبت العمل الصالح والسيء اللذين اختلطا. وبدون ذلك فلا يوجد إلا عمل سيء، واعتبار التوبة هي العمل الصالح غير ظاهر.

بل قد روي: أن هذه الآية نزلت في حق الذي تكلم في حق القراء بما لا

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة التوبة.

يليق، فشكاه عمر بن الخطاب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ولعل ذلك قد جرى في غزوة تبوك أيضاً[١].

وقيل: نزلت في عبد الله بن أُبي[٢].

وفي نص آخر: أنها نزلت في رجل من المنافقين قال: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا في يوم كذا وكذا، وما يدريه بالغيب؟![٣].

وفي نص آخر: أنها نزلت في بعض المنافقين في تبوك[٤].

خذ من أموالهم صدقة:

وعن آية خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم نقول:

روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أنها نزلت في شهر رمضان فأمر «صلى الله عليه وآله» مناديه فنادى في الناس: إن الله فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة[٥].

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ عن أبي نعيم في حلية الأولياء، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه. وراجع المصادر في الهوامش السابقة.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والعقيلي في الضعفاء، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والخطيب في رواة مالك.

(٣) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ عن ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبحار ج٢١ ص١٩٧ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٨٢ وتفسير مجاهد ج١ ص٢٨٣ وجامع البيان للطبري ج١٠ ص٢٢١ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٣٠ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٦٥ وزاد المسير ج٣ ص٣١٥ .

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٢٥٤ عن ابن المنذر، وابن ابي حاتم، وأبي الشيخ، عن قتادة.

(٥) الكافي ج٣ ص٤٩٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ =

وهذا معناه ـ إن كانت الآية تعني أبا لبابة ـ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقبل من أبي لبابة ومن معه أموالهم كصدقات، وإنما أخذ منهم زكاة أموالهم..

مع ملاحظة أننا قد قلنا فيما سبق: إن الزكاة قد فرضت قبل ذلك في مكة، فتكون هذه الآية قد جاءت لتمنع من أخذ غير الزكاة المفروضة قبل ذلك، إما إرفاقاً بهم، وإما للإشارة إلى عدم خلوص نيتهم في هذا العطاء..

إختلاف الروايات:

وقد ذكرنا في حديثنا عن غزوة بني قريظة طائفة من تناقضات واختلاف الروايات فيما يرتبط بقصة أبي لبابة.

ونشير هنا أيضاً إلى: أن هذه التناقضات ظاهرة أيضاً بين الروايات التي تدَّعي أن ما جرى قد كان في غزوة تبوك، وكمثال على ذلك نذكر:

أن الرواية المتقدمة عن ابن عباس تقول: إن سبعة ارتبطوا في المسجد، معلنين توبتهم، وإن المتخلفين كانوا عشرة.

ولكن رواية أخرى عن ابن عباس تقول: إن المتخلفين كانوا ثلاثة،

= هادي النجفي ج٨ ص٤٦٩ وميزان الحكمة ج٢ ص١٥٩٤ ونهج السعادة ج٨ ص٦٤ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٨٨ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٧١ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٦٠ وتفسير الميزان ج٩ ص٣٨٤ ومنتقى الجمان ج٢ ص٣٥٨ وتفسير البرهان ج٢ ص١٥٦ وذخيرة المعاد (ط. ق) ج١ ق٣ ص٤١٨.

وهم الذين ارتبطوا أنفسهم في سواري المسجد وبقي ثلاثة[1].

وفي نص آخرعن ابن زيد: أن الذين ربطوا أنفسهم كانوا ثمانية[2].

وفي حديث قتادة: إن المجموع كان سبعة، والذين ارتبطوا بالسواري كانوا أربعة[3].

وفي حديث عن جابر: إن المتخلفين كانوا ستة[4].

اختلاف الروايات في الثلاثة الذين خلفوا:

وعن مقدار المدة التي أرجئ إليها الثلاثة الذين خلفوا تقول رواية تقدمت: إنها سنة.

لكن رواية أخرى تقول: إنهم أرجئوا أربعين يوماً[5].

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٧٣ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وراجع: زبدة البيان ص١٨٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٩٧ وتفسير الكبير للرازي ج١٦ ص١٧٥.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٧٣ عن ابن أبي حاتم، وتفسير الآلوسي ج١١ ص١٢ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٤٢.

(٣) الدر المنثور ج٣ ص٢٧٣ عن ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٧٣ و ١٨٧٥ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٨٩.

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٢٧٣ عن أبي نعيم في المعرفة، وابن عساكر، وابن مندة، وأبي الشيخ. وراجع: لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٢٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص١١١.

(٥) الدر المنثور ج٣ ص٢٧٣ عن أبي الشيخ، وابن مندة، وابن عساكر، وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وتاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص١٩٦.

ورواية كعب بن مالك الطويلة تقول: إنهم بقوا خمسين ليلة[1].

وعن أسمائهم نقول:

قيل: إن الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم إلى سوار المسجد، فنزلت فيهم الآية هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية[2].

وفي نص آخر: هم عثمان وصاحباه[3].

وعن صفوان، قال أبو عبد الله «عليه السلام»: كان أبو لبابة أحدهم[4].

---

(١) عمدة القاري ج١٨ ص٢٧٩ .

(٢) تفسير العياشي ج٢ ص١١٥ وتفسير البرهان ج٢ ص١٦٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٨٦ ـ ٢٨٩ عن ابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مندة، وابن مردويه، وابن عساكر، وعن تفسير القمي ج١ ص٢٩٦ و ٢٩٧ وحواشي الشرواني ج٧ ص٤٥٥ والبحار ج٢١ ص٢٠٤ و ٢١٩ وعمدة القاري ج١٣ ص٢١١ وج١٧ ص١٠٢ وج١٨ ص٢٧٨ وج٢٢ ص١٤٤ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٨٦ و ٣٨٧ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٩٣ وجامع البيان للطبري ج١١ ص٧٨ وتفسير غريب القرآن للطريحي ص١٤٣ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص١٣٧ وتفسير جوامع الجامع ج٢ ص١٠٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٥٤٢ تحفة الأحوذي ج٨ ص٤٠٤.

(٣) الكافي ج٨ ص٣٧٧ والبحار ج٢١ ص٢٣٧ وج٨٩ ص٥٨ وتفسير العياشي ج٢ ص١١٥ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٧٨ والبرهان في تفسير القرآن ج٢ ص١٦٩.

(٤) البحار ج٢١ ص٢٣٧ وتفسير العياشي ج٢ ص١١٦ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٧٨ .

هل كفر المتخلفون؟!:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى المتخلفين، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع يأمرهم باعتزال نسائهم.. فهل هذا لمجرد التضييق عليهم، أم أن ما فعلوه قد أظهر ردتهم عن الإسلام، ولا يصح نكاح المرتد، بل لا بد لزوجته من أن تعتد منه؟!

ألا نبشر كعب بن مالك؟!:

ويستوقفنا هنا أيضاً ما زعمته رواية كعب: من أن براءتهم قد نزلت في الثلث الأخير من الليل، فقالت أم سلمة: ألا نبشر كعب بن مالك؟

فقال «صلى الله عليه وآله»: إذن يحطمكم الناس، ويمنعونكم النوم سائر الليلة..

وهذا غير مقبول أيضاً:

أولاً: لماذا اهتمت أم سلمة بخصوص كعب بن مالك، وأهملت رفيقيه، فإن كان قريباً لها فذلك لا يمنع من تبشير سواه، وقد تقدم: أنها هي التي يزعمون أنها بشرت أبا لبابة حين ربط نفسه في المسجد في قصة بني قريظة..

ثانياً: هل يصح إبقاء إنسان مسلم رهن العذاب ولو نفسياً لمجرد الخوف من اجتماع الناس ومنعهم المبشر من إكمال نومته تلك الليلة؟!

لم يعاتب الله أحداً تخلف عن بدر:

زعم كعب بن مالك: أن الله لم يعاتب أحداً تخلف عن بدر.

وإنما يريد بكلامه هذا: أن يعذر نفسه، ويحفظ ماء وجهه في تخلفه عن ذلك المشهد العظيم.. بل هو يحاول أن يفضل بيعة العقبة عليها..

ونقول:

١ ـ إن عدم لوم الله لهم لا يعني أن ما فعلوه كان مقبولاً، فإن نفس عدم استجابتهم لدعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم للمسير معه خذلان عظيم. وعدم عتاب الله تعالى لهم إنما هو بفضل منه، ورحمة.

٢ ـ إن الله تبارك وتعالى قد عاب على من تخلف عن بدر تخلفهم، فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[1].

وفي هذا الكلام لوم وتقريع ظاهر، فلماذا يحاول كعب أن ينكره؟!

٣ ـ أما تفضيل بيعة العقبة على غزوة بدر فهو غير مسموع، لأن الذين شهدوا العقبة، قد أعطوا العهد والميثاق، والتزموا بنصرة النبي «صلى الله عليه وآله»، وبايعوه على ذلك.. فمن وفى منهم فله أجره ومنزلته عند الله بوفائه، لا بنفس بيعته. ومن قعد عن نصرته، ونكث بعهده جوزي بفعله..

وأما قبل حضور وقت النصر، فإن للبيعة فضلها، من حيث تضمنها لدرجة من الطمأنينة والتأييد.

أما الذين شهدوا بدراً، فالذين جاهدوا منهم بأموالهم وأنفسهم واستشهدوا، قد وفوا بعهدهم، وعقدهم وبيعتهم، ومن لم يستشهد فلا بد من الإنتظار إلى الأخير لنرى ما تكون نهايته، وإلى ما يؤول إليه أمره..

---

(١) الآيتان ٥ و ٦ من سورة الأنفال.

ولا ينفع تبجح كعب بن مالك بنفس البيعة، فإن الأمور مرهونة بخواتيمها، فضلاً عن أن الوفاء بالبيعة لا يكفي فيه الحضور في المشاهد المتعاقبة، بل لا بد من صدق الجهاد فيها، وصحة النية، وعدم الفرار من الزحف في أُحد، وخيبر، وقريظة، وحنين، وغير ذلك.

وليس لأحد ان يفضل مقاماً على مقام، ومشهداً على مشهد من عند نفسه، ولغايات شخصية.. بل لا بد أن يقدم الشاهد على ذلك من القرآن والسنة الشريفة.

مبررات المتخلفين:

لقد ساق كعب الكثير من العبارات التي تشير إلى وجود مثبطات له ولغيره من المسلمين عن ذلك المسير، مثل: الحر الشديد، وأنه استقبل سفراً بعيداً، ومفازاً، وعدداً كثيراً، وأن المسلمين الذين كانوا يريدون السفر كثيرون. وأن الثمار طابت، والناس خارفون في نخيلهم، وأنه يصبو للظلال والثمار.

غير أننا نقول:

إن ذلك لو صح، ولم يكن السبب في تخلفه هو ضعف الإيمان، فقد كان يجب أن يؤثر على عزيمة الثلاثين ألفاً الباقين الذين نفروا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله». فلماذا لم يؤثر ذلك إلا على جماعة يبالغون في تصغير حجمها حتى ادَّعى بعضهم: أن مجموعها يصل إلى بضعة وثمانين شخصاً حسب زعمهم؟!

على أن ذلك لو صح أيضاً لكان يجب أن نجد ولو واحداً من هؤلاء

الناس يذكر ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويطلب منه تأجيل مسيره، أو التفكير في حل لهذه المشكلة..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» كان أرأف وأرحم بالمسلمين منهم بأنفسهم، فلماذا لم يلاحظ ذلك، ولا سيما مع شدة الحر، وبعد الشقة، وما إلى ذلك من اعتبارات؟!

وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة، حين قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]،

يضاف إلى ذلك: أن الله تعالى هو أرحم الراحمين، فلماذا لم يعفهم من ذلك المسير رحمة، وهو تعالى يعلم واقع حالهم. مع العلم بأن المنافع التي سيجنونها منه، لا قيمة لها في قبال الضرر الذي سينالهم بسببه؟!

إن ذلك كله يوضح: أن كلام كعب غير صحيح، وأن الحقيقة هي تلك التي أظهرها كعب بن مالك نفسه في بعض كلماته المتقدمة حيث قال: «فكنت إذا خرجت في الناس، بعد خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء».

حبسه برداه، ونظره في عطفيه:

وقد ظهر من سكوت النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك الرجل الذي تناول كعب بن مالك بقوله: «حبسه برداه ونظره في عطفيه» أن النبي

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

«صلى الله عليه وآله» لم يرَ في كلام هذا الرجل ما يوجب الإعتراض، وأنه لم يعتبر ذلك من مفردات الغيبة المحرمة.. كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يؤيد معاذ بن جبل في دفاعه، فدل ذلك على جواز غيبة كعب، وإنما تجوز غيبة الفاسق فيما تجاهر به على الأقل..

على أن دفاع معاذ لا فائدة فيه، فإن معاذاً لم يبرئ كعباً مما قاله ذلك الرجل، لأن معاذاً لم يزد على ادِّعاء أنه لا يعرف عن كعب شيئاً..

الصدق والكذب في كلام كعب بن مالك:

إن النص المتقدم رواه لنا كعب بن مالك عن نفسه، ولا نستطيع أن نؤكد صحة جميع ما ورد فيه، لا لأجل قوة احتمال: أنه يريد أن يجر النار إلى قرصه، مع ظهور حرصه في مختلف الفقرات على التأكيد على براءته من النفاق، مع اعترافه بأنه يرى من المتخلفين إلا من كان منافقاً باستثناء الضعفاء..

بل لأننا وجدناه يصرح: بأنه كان مهتماً بتبرئة نفسه ولو بصنع كذبة حتى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وإنه لم يتراجع عنها إلا خوفاً من أن يفضحها النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان يعلم بالغيب، لأنه لو كذب عليه ليرضى عنه ليوشكن الله تعالى أن يسخطه عليه، بإعلامه بكذبه عليه..

غير أن ثمة استثناءً كان الناس يعرفونه، وهو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يصرح بنفاق أهل النفاق، إذ ليس للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يفعل ذلك. بل يجب أن يعاملهم وفق ظاهر حالهم..

وقد صرح «صلى الله عليه وآله» بذلك، كما ذكره كعب نفسه في

الحديث المتقدم ـ حيث نقل عنه أنه حين اعتذر له المخلفون «قبل منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى..».

ولذلك يدَّعي كعب: أنه قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «ما نافقت، ولا بدلت، ولا ارتبت».

مفارقة مرفوضة:

وقد اتهم كعب بن مالك النبي «صلى الله عليه وآله» بأمر خطير، وارتكاب مفارقة غير مقبولة في تعامله مع المخلفين، حيث ذكر: أن المخلفين جاؤوا إليه «صلى الله عليه وآله»، فاعتذروا، فقبل منهم علانيتهم. وبايعهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى..

ولكنه حين جاءه كعب بن مالك. وقدم له عذره، فإنه بالرغم من أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد صدقه، فإنه لم يقبل منه علانيته، ولا بايعه، ولا استغفر له، بل قال له: «.. فقم حتى يقضي الله تعالى فيك ما يشاء».

فإن كان المخلفون قد كذبوا فيما اعتذروا به، وصدق كعب، فهل يكون جزاء الصدق والصادق التضييق والمعاناة، وجزاء الكذب والكاذب الرفق والمحاباة؟!

ولماذا يدفعه النبي «صلى الله عليه وآله» بتعامله معه إلى أن يندم على صدقه، وتحدثه نفسه باللجوء إلى الكذب؟!

ولماذا ينهى النبي «صلى الله عليه وآله» الناس عن كلام هؤلاء الثلاثة الذين صدقوا، دون سواهم ممن كذب ونافق؟!

إلا إذا كان كعب يريد بذلك أن يقول: إن المنافق كان يعامل بظاهره، وتوكل سريرته إلى خالقه ـ وأما هو فليس من المنافقين، ولذا لم يكتف منه بالظاهر حتى يكون الله تعالى هو الذي يحكم فيه.

وفي هذا من مدح النفس وتزكيتها ما لا يخفى..

الثلاثة لم يتوبوا:

ثم إن الآية الشريفة تقول: ﴿..وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وقد زعموا: أن هذه الآية قد دلت على توبة الثلاثة، وعلى قبولها من الله تبارك وتعالى، وقد تقدم ذلك في رواية كعب بن مالك أيضاً..

غير أننا نقول:

إن الآية الشريفة لا تدل على توبتهم ولا على قبولها، بل هي وسابقتها قد دلتا على أن الله تعالى قد عاد على النبي «صلى الله عليه وآله» بالرحمة، كما عاد على المهاجرين والأنصار بها، فذكر النبي «صلى الله عليه وآله» في الآية الأولى تشريفاً للأمة وتكريماً للرسول ليفيد أنه «صلى الله عليه وآله» هو الواسطة في نزول الخير والبركات على أمته، ثم ذكر في الآية الثانية الثلاثة الذين خلفوا، وأنه قد تاب عليهم أي رجع عليهم برحمة الهداية إلى الخير، لكي يهتدوا بها إلى الإستغفار والتوبة، فإذا فعلوا ذلك قبل توبتهم وعاد

---

(١) الآية ١١٨ من سورة التوبة.

عليهم بغفران ذنوبهم.

أي أن الآية تقول: إن الله تاب على الثلاثة. أي عاد إليهم برحمة الهداية للإستغفار، لكي يتوبوا، لكنه لم يبين لنا هل تابوا فعلاً أم لا.. بل اكتفى بقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾(١) كما أنه لم بيَّن أنه قبل توبتهم أم لم يقبلها.

وقد ادَّعى كعب بن مالك: أنه فعل ذلك، وادَّعى أيضاً: أن الله قد قبل توبته.

ولكننا نشك في صحة قوله، إذ لو كان قد تاب فعلاً، وكان الله قد قبل توبته لجاءت الآية هكذا: ثم تاب عليهم ليتوبوا، فلما تابوا قبل توبتهم.. ولكن الله لم يقل ذلك.

بل قد وجدنا في كلمات كعب المتقدمة ما يدل على خلاف ذلك.

وقد روي عن الإمام أبي جعفر الصادق «عليه السلام» أيضاً قوله: أقالهم، فوالله ما تابوا(٢).

لا يثق بما يختاره له النبي ﷺ:

وقد رفض كعب من مالك أن يستأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمر امرأته، لأنه لا يدري ما يقول إذا استأذنه.. وهو رجل شاب.

أي أنه يخشى أن يأمره بما لا يتوافق مع ميوله وغرائزه، كشاب، وكأنه يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لا يراعي حاله، وحاجاته، ومصلحته،

---

(١) الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٢) البحار ج٢١ ص٢٣٧ والبرهان (تفسير) ج٢ ص١٦٩ ونور الثقلين ج٢ ص٢٧٨ وتفسير العياشي ج٢ ص١١٦.

فآثر أن يبقى في دائرة الجهل بما يريده الرسول، ولا يعرض نفسه لاحتمالات لا يريد أن يعرض نفسه لها..

وهذا يشير إلى ضعف ثقته بما يختاره الله ورسوله له، وإبائه عن القبول به، ويشير أيضاً إلى أن نفسه أحب إليه من كل شيء حتى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا يدعونا إلى عدم الوثوق بما زعمه من ندم على ما فرط منه لقوة احتمال أنه كان يريد أن تأتي الأمور كلها موافقة لأهوائه وما تشتهيه نفسه، ولعل ما يظهره من توبة إنما هو للتخلص من سلبيات نبذ الناس له، وحرمانه مما كان يطمح للحصول عليه، والوصول إليه في الظروف العادية..

فإن قلت: لعل مراده أن الأمر قد جاء باعتزال امرأته هو وصاحباه، فألحقها بأهلها، ثم إن امرأة هلال بن أمية استأذنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في البقاء لخدمته فأذن لها.

فقال لكعب بعض أهله: استأذن رسول الله في امرأتك. أي أن ترجع إليك لتكون عندك للخدمة كامرأة هلال بن أمية.

فقال: لا أستأذن فيها، ولا أدري إن كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجيبني على ما أطلب أم لا؟! وكيف يجيبني إلى استخدام امرأتي وأنا رجل شاب أقدر على خدمة نفسي، بينما هلال بن أمية شيخ ضعيف البصر؟!

قلنا: إن هذا الوجه وإن كان محتملاً، فإنه لا يمنع من احتمال الوجه الذي ذكرناه آنفاً.. وذلك يمنع من الوثوق بنزاهة الرجل كما هو ظاهر..

لماذا كعب دون سواه؟!:

واللافت هنا: أن الصائح يوفي على سلع، ويصرخ بأعلى صوته بالبشارة لكعب، ولا يذكر الرجلين الآخرين، فما هذا الإهتمام بكعب دون سواه؟!

ولماذا لا تكون البشارة للثلاثة في نداء واحد؟!

وما هذه العظمة والأهمية لكعب، حتى جعلت أبا بكر يصرخ بالبشارة له، بل لعل عمر قد شارك أبا بكر في ذلك أيضاً؟!

يوم التوبة خير يوم:

قال الصالحي الشامي:

استشكل إطلاق قوله «صلى الله عليه وآله»: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» بيوم إسلامه، فإنه مر عليه بعد أن ولدته أمه، وهو خير ما مر، فقيل: هو مستثنى تقديراً، وإن لم ينطق به لعدم خفائه.

قال الحافظ (يعني العسقلاني): «والأحسن في الجواب أن يوم توبته يكمل يوم إسلامه، فيوم إسلامه بداية سعادته، ويوم توبته مكمل لها، فهو خير من جميع أيامه.

وإن كان يوم إسلامه خيرها، فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها»[١].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨١ و ٤٨٢.

ونقول:

إن هذا الذنب العظيم الذي أوجب ردته عن الإسلام، فيوم توبته منه خير يوم، لأن توبته كانت السبب في نجاته من الخلود في النار مع الكافرين والمشركين الذين جحدوا بآيات الله، وعصوا رسوله..

ولا خير في يوم إسلام تعقبه الردة..

ولعل هذا هو المراد بكلام الحافظ المذكور أخيراً..

كعب لا يملك إلا ثوبيه:

وقد زعم كعب: أنه أعطى ثوبيه لمن بشره بتوبة الله عليه، وقال «والله ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعار ثوبين من أبي قتادة».

ونقول:

إن هذا قد لا ينسجم مع قوله حين مسيرهم إلى تبوك: «إني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنه تلك الغزوة. والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة».

وقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك».

فهل عاد فأنفق ذلك كله في تلك الأيام اليسيرة، حتى لم يبق معه سوى ثوبيه اللذين يلبسهما؟!

ومما يزيد ريبنا في مقولات كعب: أنه هو نفسه يعود فيدَّعي أنه عرض على رسول الله أن يتصدق بجميع ماله، ثم بنصفه، فلم يقبل منه، ثم قبل منه أن يتصدق بثلث ماله، فمن أين جاءه المال، إذا كان قد استعار ثوبين

من أبي قتادة ليلبسهما، بعد أن أعطى ثوبيه للبشير.

أمن عندك؟! أم من عند الله؟!:

ولا نستطيع أن نغض الطرف عن قول كعب للنبي «صلى الله عليه وآله» حين بشره «صلى الله عليه وآله» بخير يوم مرَّ عليه: أمن عندك؟ أم من عند الله؟! فإنه يتضمن اتهاماً للنبي «صلى الله عليه وآله» بأنه يقول أشياء من عند نفسه، مع أن الله تعالى يقول: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1]. ولا يمكن أن يصدر هذا من مؤمن صحيح الإيمان..

النبي ﷺ يأمر كعباً بإمساك ماله؟!

وقد ذكر لنا كعب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرض منه بأن يتصدق بماله كله، ولا بنصفه، وقال له: أمسك بعض مالك فإنه خير لك.

مع أنهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد قبل من أبي بكر أن يأتي بماله كله لينفقه في سبيل الله حين كان يتجهز لتبوك، ورضي بأن لا يترك أبو بكر لأهله شيئاً..

كما أنه قد رضي من عمر بأن يأتي بنصف ماله، ورضي من عثمان بأن يجهز جيش العسرة كله..

فإما أن يكون ذلك كله مكذوباً، أو يكون كلام كعب غير صحيح!! مع احتمال الكذب في الجميع أيضاً.. ولعل هذا هو الأقرب والأصوب حسبما ظهر مما ذكرناه في هذا الكتاب.

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

على أننا قد سألنا كعباً من أين له هذا المال الذي يريد أن يتصدق به أو بنصفه أو بثلثه وهو يدَّعي قبل لحظات أنه أعطى ثوبيه للبشير، ولم يكن يملك شيئاً غيرهما، ثم استعار ثوبين من أبي قتادة ليلبسهما؟!

على أنه قد اعترف أيضاً بأن له سهماً بخيبر أيضاً، وقد صرح بأنه يمسكه، ويتخلى عما عداه.

الإنسجام بين طلحة وبين كعب:

وقال بعضهم: إن سبب قيام طلحة لكعب: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان آخى بينهما لما آخى بين المهاجرين والأنصار، والذي ذكره أهل المغازي: أن كعباً كان أخا الزبير لكن كان الزبير أخا طلحة في أخوة المهاجرين فهو أخو أخيه[1].

ونقول:

لعل هناك عاملاً آخر يمكن إضافته إلى ما ذكره هذا البعض، وهو أن ثمة انسجاماً في الروحية، وفي الأفكار، والتصورات، وربما في السلوك، بين كعب وبين طلحة.

وقد أظهرت الأحداث مدى جرأة طلحة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى لقد آذاه في عرضه وأزواجه حين قال: «ليموتن محمد ولنجلسن بين خلاخيل نسائه حتى نزل قوله تعالى: ﴿..**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ**

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨١ وفتح الباري ج٨ ص٩٢.

عَظِيماً﴾[1]»[2]. ومات النبي «صلى الله عليه وآله» وهو ساخط عليه[3].

ثم حارب وصيه من بعده في حرب الجمل.. إلى غير ذلك من أفاعيله الكثيرة التي لا مجال هنا لتتبعها..

ثم أظهر حديث كعب السابق ـ موقف كعب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ وهو موقف يدين كعباً ويكشف حقيقته.. وستأتي الإشارة إلى موقفه من وصيه من بعده أيضاً.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤاخي بين كلٍّ ونظيره حسبما أشرنا إليه في حديث المؤاخاة.

كعب وكتاب ملك غسان:

قال بعضهم: دلّ صنع كعب بكتاب ملك غسان على قوة إيمانه، ومحبته لله تبارك وتعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله

---

(١) الآية ٥٣ من سورة الأحزاب.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٥٦ و ٣٢٣ وراجع: الدر المنثور ج٥ ص٢١٤ عن ابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن سعد عن السدي، وقتادة، ومحمد بن عمرو بن حزم، والبحار ج١٧ ص٢٧ وج٢٢ ص١٩٠ وج٣٢١ ص١٠٧ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٠٠٠. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص٢١٧ والتفسير الصافي ج٤ ص١٩٩ وج٦ ص٦١ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٩٨.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٨٦.

الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أنه من الملك الذي استدعاه إليه، لأنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الإفتتان، حسم المادة، وأحرق الكتاب، ومنع الجواب.

هذا مع كونه من البشر الذين طبعت نفوسهم على الرغبة ولا سيما مع الإستدعاء، والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما والذي استدعاه قريبه، ومع ذلك فغلب عليه دينه، وقوي عنده يقينه، ورجح ما فيه من النكر والتعذيب، على ما دعي إليه من الراحة والتنعيم، حباً في الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، كما قال «صلى الله عليه وآله»: «وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[1].

ونقول:

١ ـ إن ما ذكره هذا البعض غير سليم، ولا قويم، بل هو موضع تساؤل وريب، فإن عدم الإستجابة لملك غسان كما يكون بسبب قوة إيمان كعب، فإنه قد يكون أيضاً لأجل ضعف كعب، وعدم قدرته على مواجهة سلبيات استجابته لطلب ملك غسان.. لا سيما إذا كانت هناك أمور

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨١. وراجع: المجموع للنووي ج١٩ ص٢٢١ و ٢٢٤ وسبل السلام ج١ ص٣٥ ونيل الأوطار ج٣ ص٣٢٥ و ٣٢٦ وروضة الواعظين ص٤١٧ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٢٣٤ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٢٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٢٢٩ ومسند أحمد ج٣ ص١٠٣ و ١٧٢ و ٢٠٧ و ٢٣٠ و ٢٤٨ و ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨٨ وصحيح البخاري ج١ ص١٠ و ١١ وصحيح البخاري ج٧ ص٨٣ وج٨ ص٥٦ وصحيح مسلم ج١ ص٤٨ ومصادر كثيرة أخرى.

أساسية وهامة، لا يستطيع أن يعرضها لخطر لا يعرف طبيعته ولا مداه إذا اتخذ قراراً بالإلتحاق بمعسكر الكفر..

بل إن ما رآه من قوة وشوكة الإسلام ونبي الإسلام كما ظهر في غزوة مؤتة، ثم تأكد ذلك في غزوة تبوك، التي لم يجترئ فيها طاغية الروم حتى على التفكر بالتصدي والتحدي ـ إن هذا الذي رآه ـ يجعله شديد التردد في الإستجابة، لأنه يرى فيها خطراً عظيماً على نفسه، وعلى كل مشروعه في هذه الحياة. لا سيما وأن الرسالة قد وصلته بصورة معلنة وظاهرة، وقد ذهبت أخبارها في كل اتجاه.

٢ ـ إن ما ذكره النص الآنف الذكر من أن ملك غسان سوف لا يكرهه على فراق دينه غريب وعجيب.

فأولاً: من أين ظهر له أن ملك غسان سوف لا يكرهه على فراق دينه.. حتى لو وعده بذلك..

ثانياً: هل هذا الذي يلجأ إلى أعداء دينه، وأعداء رسوله يبقى على دين الإسلام، لا سيما إذا كان التجاؤه هذا مضادة لنبيه، وكيداً منه له.. لا سيما وأن القرآن قد حدد موقع من يتولى أعداء الله ورسوله، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[1].

أسئلة حاسمة حول الرسالة:

وتبقى هناك أسئلة أساسية وحاسمة، وهي: لماذا يتصل ملك غسان

---

(١) الآية ٥١ من سورة المائدة.

بكعب بن مالك دون رفيقه، اللذين نزلت الآية فيه، وفيهما؟!

بل لماذا لم يتصل بعبد الله بن أُبي الذي يزعمون: أن معسكره لم يكن بأقل المعسكرين ـ حين المسير إلى تبوك؟ أو لماذا لم يتصل بمحمد بن مسلمة، وهو لم يكن مريضاً، ولا ضعيفاً؟!

وسؤال آخر: لماذا لم يوصِ ملك غسان حامل رسالته إلى كعب بن مالك بمراعاة جانب السرية في الإتصال معه؟!

ألا يحتمل أن يكون أمر الرسالة قد اكتشف بواسطة الغيب، كما اكتشفت رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يوم الفتح؟؟.

من المكلف بمقاطعة المتخلفين؟!:

بالنسبة إلى قول أبي قتادة لما سأله كعب: الله ورسوله أعلم. قال القاضي: لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه، لأنه منهي عن كلامه. وإنما قال ذلك لنفسه لما ناشده، فقال أبو قتادة ذلك مظهراً لاعتقاده، لا ليسمعه.

وبالنسبة لقول كعب: قال لي بعض أهلي.

قال في النور: الظن أن القائل له من بعض أهله امرأة، وذلك أن النساء لم يدخلن في النهي، لأن في الحديث: «ونهى المسلمين عن خطابنا».

وهذا الخطاب لا يدخل فيه النساء، وأيضاً فإن امرأته ليست داخلة في النهي، فدل على أن المراد الرجال.

وقال الحافظ: لعل القائل بعض ولده أو من النساء، ولم يقع النهي عن كلام الثلاثة للنساء اللائي في بيوتهن، أو أن الذي كلّمه كان منافقاً، أو

الذي يخدمه. ولم يدخل في النهي"[1].

ونقول:

١ ـ إن قولهم: نهى المسلمين عن خطابنا لا يدل على عدم شمول النهي للنساء، فإن المراد بالمسلمين هم الأشخاص المسلمون، سواء كانوا رجالاً أم نساءاً، وهذه هي طريقة الخطابات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[2]، فإن المراد هم: الناس المؤمنون، وليس المراد خصوص الرجال المؤمنين، لأنه استعمل صيغة جمع المذكر السالم.. وهكذا سائر الآيات القرآنية والخطابات النبوية.

ولو أراد الذكور وحدهم لقال ـ مثلاً: نهى رجال المسلمين.

٢ ـ إن كعب بن مالك ـ كما في الدر المنثور ـ قال: «نهى رسول الله الناس عن كلامنا» ولم يقل: نهى المسلمين، ولعل ذلك يفسر لنا التصريح بأن الناس هجروا المتخلفين حتى الصبيان[3].

وفي تفسير القمي: «لم يكلمهم رسول الله ولا إخوانهم، ولا أهلوهم، فضاقت عليهم المدينة»[4].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨١، وفتح الباري ج٨ ص٩١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٨١.

(٢) الآية ١ من سورة المؤمنون.

(٣) تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٥ ص١٣٧ والبحار ج٢١ ص٢٠٥ و التبيان ج٥ ص٣١٦.

(٤) تفسير البرهان ج٢ ص١٦٩ وتفسير القمي ج١ ص٢٩٨ ونور الثقلين ج٢ ص٢٧٩ وتفسير الميزان ج٩ ص٣٠٣.

وقد ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لأصحابه: «لا تكلموا رجلاً تخلف عنا، ولا تجالسوه حتى آذن لكم»، وإنه قد قال ذلك لأصحابه قبل وصوله إلى المدينة حين جاء المنافقون يتلقونه، ثم إنه «صلى الله عليه وآله» رحمهم وبايعهم واستغفر لهم، ثم كانت قضية الثلاثة الذين خلفوا[1].

كعب بن مالك ليس كأبي ذر:

وقد اتضح من جميع ما تقدم: أنه ليس من الصواب اعتبار حال كعب بن مالك كحال أبي ذر، إذ شتان ما بين الرجلين، فكعب قد خالف أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأصبح في جملة العصاة، وقد امر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهجره، ولم تتحقق له توبة كما ظهر من النص الذي رواه كعب لنا، مع ما فيه من محاولة التضخيم والتفخيم.

أما أبو ذر فله شأن آخر سنوضحه فيما يأتي إن شاء الله تعالى، ولأجل ذلك فنحن لا نوافق على قولهم: وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، وأبو خيثمة، وأبو ذر الغفاري.

وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم انتهى.

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٨٦ عن ابن مردويه، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٢ عن ابن عقبة، وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٢٨٠، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٢٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٨١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٨٠.

هذا وقد لحق أبو خيثمة، وأبو ذر برسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

وقد صرحت النصوص: أن النساء قد شاركوا في مقاطعتهم أيضاً، فقد قالوا: «فأعرض عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمؤمنون، حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه، وحتى أن المرأة لتعرض عن زوجها»[٢].

الجهاد فرض عين أو فرض كفاية:

قال الحافظ: إنما غلظ الأمر على كعب وصاحبيه وهوجروا، لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر، لأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير، ولحق اللوم بكل فرد، أي لو تخلف.

قال ابن بطال: إنما اشتد الغضب على من تخلف، وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين لأنهم بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبدا

وكأن تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة، لأنها كالنكث لبيعتهم.

قال السهيلي: ولا أعرف له وجها غير الذي قاله ابن بطال.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤١ عن ابن إسحاق والواقدي، والتفسير الصافي ج٢ ص٣٨٤ والبحار ج٢١ ص٢١٥ وتفسير القمي ج١ ص٢٩٤ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٠ وراجع: فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٤ ص٤٨٤ و وتفسير أبي السعود ج٤ ص١١٠ و الثقات لابن حبان ج٢ ص٩٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٣ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٨٠ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٢٤.

قال الحافظ: قد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره، ولعله أقعد.

ويؤيده قوله سبحانه وتعالى: ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1].

وعند الشافعية: أن الجهاد كان فرض عين في زمنه «صلى الله عليه وآله»، فعلى هذا، فيتوجه العتاب على كل من تخلف مطلقاً[2].

ونقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ندب جميع الناس إلى الجهاد، ولم يأذن لأحد بالتخلف، فمن تخلف فقد عصى أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيستحق العتاب والعقاب..

وبذلك يتضح: أن المعيار هنا ليس هو أن الجهاد فرض عين أو فرض كفاية، لكي يعود الأمر في تشخيص ذلك إلى المكلفين أنفسهم! بل المعيار هو أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمعصية الرسول، والتمرد عليه محرم في نفسه، و طاعته فرض عين، حتى لو كان الجهاد فرض كفاية..

٢ ـ كما أنه لا محل للحديث عن أن ذلك يختص بالأنصار وحسب، فإن بيعتهم إنما هي لتأكيد إلزامهم بالواجب، تماماً كما جرى في بيعة الغدير، فإن

---

(١) الآية ٥١ من سورة المائدة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨٠ و ٤٨١ وفتح الباري ج٨ ص٩٣.

الإمامة لا تثبت بالبيعة، ولا تنتفي بعدمها، بل هي ثابتة في حق من بايع، ومن لم يبايع لأنها بالنص، والبيعة إنما هي لتأكيد وجوب الواجب في حقهم على ما هو عليه، ولكنها لا تغير من صفة الوجوب، فلا تجعل الواجب الكفائي واجباً عينياً ولا العكس..

٣ ـ إن التخلف عن الغزو الذي يحتاج المسلمون إلى القيام به للذب عن دينهم، وعن أنفسهم، وقد ندبهم إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» كبيرة على كل حال، سواء أكان ذلك ممن بايع أو ممن لم يبايع.. فلا يصح اعتبار تخلف المهاجرين صغيرة، وتخلف الأنصار كبيرة.

كعب بن مالك يحتاج إلى أوسمة:

وقد كان لا بد من البحث عن أوسمة، أو اختراعها لكي تمنح لكعب بن مالك، فإنه كان عثمانياً لم يبايع علياً «عليه السلام»[1].

وكان عثمان قد استعمله على صدقة مزينة، وترك ما أخذ منهم له[2].

وقد رثى عثمان بأمور منكرة[3].

وربما من أجل ذلك كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد آخى بينه وبين الزبير[4]، أو بينه وبين طلحة[1].

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٤٥٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٤٥٢ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٩١ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٥٣٦.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٢٦٥ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٩٨ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٥٤٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي =

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يؤاخي بين كل ونظيره..

وكان كعب بن مالك، وحسان بن ثابت، ونعمان بن بشير عثمانية، يقدمون بني أمية على بني هاشم، ويقولون: الشام خير من المدينة، واتصل بهم أن ذلك بلغ علياً «عليه السلام»، فدخلوا عليه، فقال له كعب: أخبرنا عن عثمان أقتل ظالماً فنقول بقولك؟ أو قتل مظلوماً فتقول بقولنا، ونكلك إلى الشبهة فيه؟ فالعجب من تيقننا وشكك.. وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه.

فقال لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الإثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة.

فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذرنا به.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أتردون علي بين ظهراني المسلمين بلا نية صادقة، ولا حجة واضحة؟! أخرجوا عني فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً.

فخرجوا من يومهم فساروا حتى أتوا معاوية فقال: لكم الكفاية أو الولاية، فأعطى حساناً ألف دينار وكعباً ألف دينار، وولى النعمان حمص[2].

= ج١٤ ص١٢٤ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١١٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٠٢ وأنساب الأشراف ج١ ص٢٧١ والمجموع للنووي ج١٥ ص٤٠٣.

(١) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٧٦٤ وإمتاع الأسماع ج٦ ص١٤١.

(٢) نهج السعادة ج١ ص٢١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص١٧٨.

وكان كعب أحد من عاون المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم، انصرف، ولم ير أن الأمر ينتهي إلى قتله فلما قتل وقف على الأنصار وقال:

من مبلغ الأنصار عنك رسالة رسل تقص عليهم التبيانا[1]

إلخ..

وعن الزهري: أن كعب بن مالك قال يوم الدار: يا معشر الأنصار، انصروا الله.. مرتين[2].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٥٣٩، وراجع الأغاني.

(٢) شرح الأخبار ج٢ ص٢٩ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٣٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٤٣٢ وأسد الغابة ج٥ ص١٧٢.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

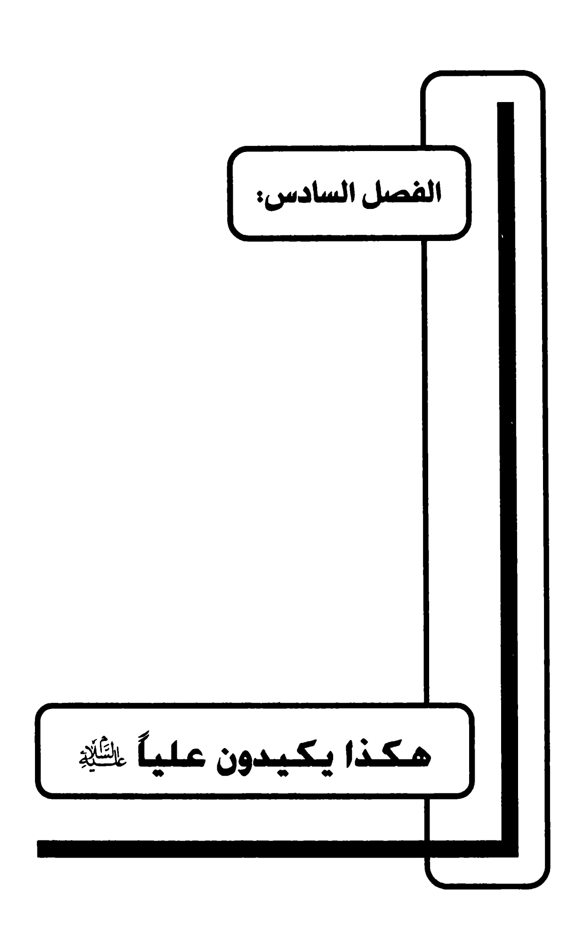
[illegible]

[illegible]

---

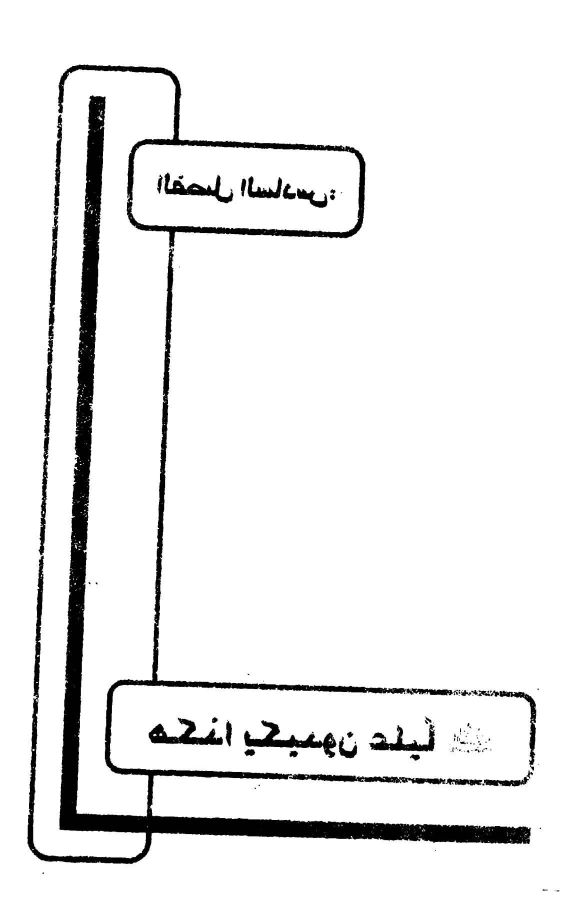
(١) [illegible]

(٢) [illegible]



الفصل السادس:

هكذا يكيدون علياً عليه السلام


الفصل السادس:
هكذا يحبهن

علي عليه السلام خليفة النبي صلى الله عليه وآله في أهله:

وزعمت بعض الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما خلف علياً «عليه السلام» في أهله، وأنه لم يستخلفه على المدينة كلها، فلاحظ قولهم:

وخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام» على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً له، وتخففاً منه.

فلما قالوا ذلك أخذ علي «عليه السلام» سلاحه، وخرج حتى لحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو نازل بالجرف، فأخبره بما قالوا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي»؟!

فرجع علي «عليه السلام» إلى المدينة.

وهذا الحديث رواه الشيخان، وله طرق[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤١ عن ابن إسحاق، والبخاري، ومسلم. وقال في الهامش: أخرجه البخاري ج٧ ص٧١ (٣٧٠٦) ومسلم ج٤ ص١٨٧٠ (٣٠/ ٢٤٠٤). وراجع: البحار ج٣٧ ص٢٦٧ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ =

وإمعاناً منهم في حَبْك أكذوبتهم المتمثلة في نفي استخلاف علي «عليه السلام» على المدينة، زعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» استخلف على المدينة محمد بن مسلمة[1]، وهذا هو الثابت عند الواقدي، وقال: لم يتخلف عنه في غزوة غيرها[2].

وقيل: استخلف سباع بن عرفطة[3].

وقيل: ابن أم مكتوم[4].

= ص١٢٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٧ والسيرة النبوية لابن هشام (ط درا الكنوز الأدبية) ج٢ ص٥١٩ وراجع الثقات لابن حبان (ط الهند) ج٢ ص٩٣ فما بعدها، والرحيق المختوم للمباركفوري ص٣٩٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ عن ابن إسحاق، والواقدي، والرحيق المختوم للمباركفوري ص٣٩٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥ عن الدمياطي، والبداية والنهاية ج٥ ص٧ والسيرة النبوية لابن هشام (ط دار الكنوز) المجلد الثاني ص٥١٩. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٥ والعثمانية للجاحظ ص١٥٣ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٥٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ عن الواقدي.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٧ والسيرة النبوية لابن هشام (ط دار الكنوز) المجلد الثاني ص٥١٩ والثقات لابن حبان (ط الهند) ج٢ ص٩٣ فما بعدها، والرحيق المختوم للمباركفوري ص٣٩٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥ عن المنتقى، وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٥٠.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٧ والسيرة النبوية =

وقيل: علي بن أبي طالب «عليه السلام». قال أبو عمر وتبعه ابن دحية: وهو الأثبت.

ورواه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح عن سعد بي أبي وقاص، ولفظه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما خرج إلى تبوك استخلف على المدينة علي بن أبي طالب، وذكر الحديث[1].

حديث المنزلة كما روي:

قد روي حديث: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عن جماعة كثيرة، منهم: أمير المؤمنين «عليه السلام»، وزيد بن أرقم، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وعمرو بن ميمون، وحذيفة، ومحدوج الذهلي، وأنس، وجشي بن جنادة، وعمر، وجابر بن سمرة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الطفيل، وقيس، وسعيد بن المسيب، وعلي بن زيد بن جدعان، وسعد بن مالك، وإبراهيم، والحارث

= لابن هشام (ط دار الكنوز) المجلد الثاني ص٥١٩ والثقات لابن حبان (ط الهند) ج٢ ص٩٣ فما بعدها، والرحيق المختوم للمباركفوري ص٣٩٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥ عن المنتقى، وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٥ والعثمانية للجاحظ ص١٥٣.

(١) المصنف للصنعاني ج٥ ص٤٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٢ والفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص٩٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٥. وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٥٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٤٢٨.

بن مالك، وخالد بن عرفطة، وآخرون كثر، فراجع ما ذكره آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» حول رواة هذا الحديث الشريف وأسمائهم.

وسيأتي: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك لعلي «عليه السلام» في مواضع كثيرة، وقد أوردته طائفة من المصادر من دون تحديد، فراجع(١).

---

(١) راجع على سبيل المثال: مسند فاطمة للسيوطي (ط سنة ١٤٠٦) ص٣٤ و ٤٣ والحلي بتخريج فضائل علي ص٦٢ عن البزار ١٨٥ ـ ٣/١٨٦ وتهذيب خصائص الإمام علي للنسائي ص٦٤ و ٦١ وموضح أوهام الجمع والتفريق ج٢ ص٥٨٣ وج١ ص٢٩٧ وج٣ ص٧٢ وكتاب المعجم لابن المثنى التميمي ص٩٤ و ٩١ ومختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص ٣٤٤ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٥ و ٣٣٤ و ٣٣٥ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢٦٣ وج٢٥ ص٤٢٢ وج١٦ ص٣٤٦ والفرائد المنتقاة، والغرائب الحسان لابن الصوري ص١٤ و ٢٢ و ٥٤ والعلل المتناهية ج١ ص٢٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٢٦ وحلية الأولياء ج٣ ص٣٤٥ والتنكيت والإفادة ص٤٦ و ٤٤ وتثبيت الإمامة ص٥٧ وأعلام الحديث ج٣ ص١٦٣٧ والمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي ج١٦ ص٥٠ ومعجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي ج٢٤٠ والمغازي النبوية للزهري ص١١١ والأسرار المرفوعة ص٢٧٢ والسيرة النبوية لأبي حاتم البستي ص٣٦٧ ورياض النفوس ج١ ص٥٨ ومعتقد أبي إسحاق الشيرازي ص١٠٦ والدر الملتقط ص٤٩ وسلوك المالك ص١٩٣ وعلم الحديث لابن تيمية ص٢٦٦ والثقات ج١ ص١٤١ واللآلي ليموت بن المزرع (مطبوع في نوادر الرسائل) ص١٠٠ ومختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب ص١٥٤ وفضائل الصحابة للنسائي ص١٤ و١٣ والفصول في سيرة الرسول لابن كثير=

ما جرى في غزوة تبوك:

ومن النصوص التي ذكرت هذا الحديث الشريف وحددت حصوله في غزوة تبوك نشير ـ على سبيل المثال ـ إلى ما يلي:

١ ـ خرج الناس في غزوة تبوك، فقال علي «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»: أخرج معك؟

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: لا.

فبكى علي «عليه السلام»، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟!.

إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي[1].

٢ ـ وقالوا: لما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك،

= ص٩٢ والمعجم الكبير للطبراني ج١٩ ص٢٩١ والوسيلة للموصلي ص١٦١ والمسند للحميدي ج١ ص٣٨ والجوهر الثمين ج١ ص٥٩ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج٨ ص٢٢١ وج٩ ص٤١ والتبر المذاب ص٣٩ والزبرجد على مسند أحمد ج٢ ص١٦٧ والمجالسة ص٤٧٤ والحدائق لابن الجوزي ج١ ص٤٠٨.

(١) المعجم الكبير (مطبعة الأمة في بغداد) ج١١ ص٩٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١٢ ص٧٨ وراجع: مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٢٩ والعمدة لابن البطريق ص٨٦ و ٢٣٩ وذخائر العقبى ص٨٧ والبحار ج٣٨ ص٢٤٢ وج٤٠ ص٥١ والمراجعات للسيد شرف الدين ص١٩٧ و ١٩٨ و ٣٩٦ ومسند أحمد ج١ ص٣٣١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٠ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٥٢ و خصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص٦٤ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١١.

استخلف علي بن أبي طالب «عليه السلام» على المدينة، فماج المنافقون في المدينة، وفي عسكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقالوا: كره قربه وساء فيه رأيه، فاشتد ذلك على علي «عليه السلام»، فقال: يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» تخلفني مع النساء والصبيان؟! أنا عائذ بالله من سخط الله وسخط رسوله.

فقال: رضي الله برضائي عنك فإن الله عنك راض، إنما منزلك مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي.

فقال علي «عليه السلام»: رضيت، رضيت[1].

٣ ـ وفي رواية سعد بن أبي وقاص: خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي «عليه السلام»: أتخلفني مع النساء والصبيان؟!

فقال له «صلى الله عليه وآله»: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟[2].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٤٧ وراجع مسند أبي يعلى ج٢ ص٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٨١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٣٢ والإعتقاد على مذهب السلف لأحمد بن الحسين البيهقي ص٢٠٥ ومسند أبي يعلى ج١ ص٢٨٦ ومعارج القبول ج٢ ص٤٧١ ومسند فاطمة للسيوطي ص٦٢ والمعجم لابن المثنى التميمي ص٢٣٠ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٢٩ وتلخيص المتشابه في الرسم ج٢ ص٦٤٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٢٧ وتاريخ الأحمدي ص٩٩ وفضائل الصحابة للنسائي ص١٤ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (ط بيروت) ج٩ ص٤١ والحدائق لابن الجوزي ج١ ص٣٨٧ عن البخاري، ومسلم، والبداية والنهاية ج٥ ص٧.

زاد في نص آخر قوله: قال: بلى يا رسول الله.

قال: فأدبر علي «عليه السلام» فكأني أنظر إلى غبار قدميه يسطع[1].

٤ ـ وفي نص آخر: عندما خلف علياً «عليه السلام» في المدينة، قال الناس: ملَّه وكره صحبته.

فتبع علي النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى لحقه في بعض الطريق، فقال: يا رسول الله، خلفتني في المدينة مع النساء والذراري، حتى قال الناس ملَّه وكره صحبته؟!.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي إني خلَّفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟[2].

٥ ـ وفي نص آخر: أنه تبعه إلى ثنية الوداع وهو يبكي ويقول: يا رسول الله، تخلفني مع الخوالف؟!.

---

(١) مسند أبي يعلى ج٢ ص٥٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٥١٣ و ٥٢٣ و ٥٣٣ والعمدة لابن البطريق ص١٢٨ والبحار ج٣٧ ص٢٦٢ ومسند أحمد ج١ ص١٧٣ ومسند سعد بن أبي وقاص للدورقي ص١٧٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٤.

(٢) مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» ج١ ص٥٣١ و ٥٣٢ وفضائل الصحابة ص١٣ ومسند سعد بن أبي وقاص ص١٧٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٤ و ١٢٠ و ٢٤٠ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص٧٦ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٨٦ والكامل ج٢ ص٤١٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٥١ و ١٥٢ ومختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٤٤.

فقال: ألا ترضى أن تكون مني الخ..»[1].

٦ ـ عن زيد بن أرقم قال: لما عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لجيش العسرة، قال لعلي «عليه السلام»: إنه لا بد من أن تقيم أو أقيم.

قال: فخلَّف علياً وسار. فقال ناس: ما خلفه إلا لشيء يكرهه منه.

فبلغ ذلك علياً «عليه السلام»، فاتبع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى انتهى إليه، فقال: ما جاء بك يا علي؟!.

فقال: يا رسول الله، إني سمعت ناساً يزعمون أنك خلَّفتني لشيء كرهته مني.

قال: فتضاحك إليه وقال: ألا ترضى أن تكون مني كهارون من موسى، غير أنك لست بنبي؟!.

قال: بلى يا رسول الله.

قال: فإنه كذلك»[2].

٧ ـ وعن أبي سعيد: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام» في غزوة تبوك: اخلفني في أهلي.

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، إني أكره أن يقول العرب، خذل ابن عمه، وتخلف عنه.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٤٤ وتهذيب خصائص الإمام علي «عليه السلام» ص٥٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٤٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٤ وتثبيت الإمامة ص٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٨٦ وراجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١١١ والمعجم الكبير ج٥ ص٢٠٣.

فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟!.

قال: بلى.

قال: فاخلفني[1].

ونقول:

إن لنا مع هذا الحديث وقفات عديدة، قد ذكرنا فيما سبق بعضاً منها، ونذكر هنا بعضاً آخر، ونصرف النظر عن باقيها توخياً للأختصار..

الإستثناء منقطع:

قال علماؤنا الأبرار رضوان الله تعالى عليهم: إن حديث المنزلة يدل على: أن لأمير المؤمنين «عليه السلام» جميع منازل هارون من موسى إلا منزلة النبوة، واستثناء النبوة دليل العموم لجميع المنازل..

ومع غض النظر عن إفادة الإستثناء لذلك، فإن نفس إطلاق قوله: أنت مني بمنزلة فلان، لا بد أن يراد به أظهر منازله، وأقربها إلى فهم الناس بملاحظة حالة ذينك الشخصين مع بعضهما البعض، فإن كان قائل هذه الكلمة والداً أو ابناً، أو أخاً، حملت هذه الكلمة على هذه المعاني، أي أنه بمنزلة ولده، وأبيه، وأخيه.

وإن كان ذلك الشخص معلماً، فكذلك، وإن كان وزيراً وحاملاً لمسؤوليات التدبير، والرعاية، كانت له منزلته من هذه الناحية..

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٤٧ والبحار ج٢١ ص٢٣٢ وج٣٧ ص٢٥٥ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٧٣ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص٥٧.

ومن الواضح: أن أظهر خصوصية كانت بين هارون وموسى هي أخوته له، وشد أزره، ووجوب طاعته، ووزارته، وشراكته في أمره وكونه أولى الناس به حياً وميتاً، حسبما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[1].

فلا بد أن يراد بكونه بمنزلته هو هذه الخصوصيات، ولا سيما هاتان الخصوصيتان.

أما خصوصية النبوة، فهي غير مرادة قطعاً، لأنها خصوصية لا تعني موسى «عليه السلام» وإنما تعني الناس الآخرين، فاستثناؤها من المنازل من قبيل الإستثناء المنقطع، الذي جيء به إمعاناً في التوضيح، واستقصاء في دفع الشبهة.

وليس هذا من الإستثناء المتصل، فإن إشراك هارون في أمر موسى ليس من جهة جعل النبوة مناصفة بينهما، فإن ذلك مما لا يصح توهمه، إلا من جاهل. بل من جهة معونته له، ووجوب طاعته، وهو في موقع الأخ والوزير، حسبما أوضحته الآيات الكريمة..

هل حديث المنزلة خاص بأهل النبي ﷺ؟!:

وزعموا: أن حديث المنزلة خاص بأهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يعم الناس جميعاً، حيث إن بعض نصوصه تقول: فارجع، فاخلفني في أهلي وأهلك.. كما تقدم.

---

(١) الآيات ٢٩ ـ ٣٢ من سورة طه.

ونجيب:

أولاً: إن معظم نصوص غزوة تبوك لم تخص حديث المنزلة في استخلاف النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» على أهله «صلى الله عليه وآله»، بل أطلقت الخلافة.

فمن أين جاءت هذه الإضافة المشبوهة؟!.

ثانياً: إن حديث المنزلة بإطلاقه قد قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مواقف كثيرة كانت تبوك واحدة منها. فقد قاله في:

١ ـ يوم المؤاخاة الأولى[1].

٢ ـ يوم المؤاخاة الثانية[2].

٣ ـ يوم تسمية الحسن والحسين «عليهما السلام»[3].

٤ ـ في حجة الوداع[4].

---

(١) راجع: البحار ج٣٨ ص٣٣٤ وج٨ ص٣٣٠ وإثبات الهداة ج٣ باب ١٠ ح ٦١٩ و ٧٦١ وعن كنز العمال ج١٥ ص٩٢ وج٦ ص٣٩٠ وتذكرة الخواص ص٢٣ وفرائد السمطين ج١ ص١١٥ و ١٢١ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج١ ص١٠٧ وينابيع المودة ص٦٥ و ٥٧.

(٢) راجع: المناقب للخوارزمي ص٧ وتذكرة الخواص ص٢٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٢١ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج٥ ص٣١.

(٣) علل الشرائع ص١٣٧ و ١٣٨ وينابيع المودة ص٢٢٠ وفرائد السمطين ج٢ ص١٠٣ ـ ١٠٥.

(٤) البحار ج٣٧ ص٢٥٦ ودعائم الإسلام ج١ ص١٦ والأمالي للطوسي ص٥٢١ والغدير ج١ ص٢٦٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج٥ ص٢٣١.

٥ ـ في منى[١].

٦ ـ يوم غدير خم[٢].

٧ ـ يوم المباهلة[٣].

٨ ـ غزوة تبوك.

٩ ـ عند الرجوع بغنائم خيبر[٤].

١٠ ـ يوم كان يمشي مع النبي «صلى الله عليه وآله»[٥].

١١ ـ في حديث لحمه لحمي، حين خاطب «صلى الله عليه وآله» أم سلمة بهذا القول[٦].

---

(١) البحار ج٣٧ ص٢٦٠ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٢٩ والدر النظيم ص٢٨٤.

(٢) البحار ج٣٧ ص٢٠٦ وتفسير العياشي ج١ ص٣٣٢ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٧٣ واليقين لابن طاووس ص٣٤٨ والتفسير الصافي ج٢ ص٤٥.

(٣) البحار ج٢١ ص٣٤٣ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص١٤٢ والمناقب للخوارزمي ص١٠٨ وعن الطرائف ج١ ص١٤٨ ـ ١٤٩ ح٢٢٤ عن مناقب ابن المغازلي، وعن العمدة لابن البطريق ص٤٦.

(٤) الأمالي للصدوق ص٨٥ وإثبات الهداة ج٣ باب١٠ ح٢٤٣ والمناقب للخوارزمي ص٧٦ و ٩٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٤٥ وكفاية الطالب ص٢٦٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٣١ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٤٤٩ وينابيع المودة ص١٣٠ وكنز الفوائد للكراجكي ص٢٨١ والمسترشد للطبري ص٦٣٤ وروضة الواعظين ص١١٢.

(٥) وإثبات الهداة ج٣ باب١٠ ح١٠٨.

(٦) البحار ج٣٤ ص٣٤٨ وج٣٧ ص٢٥٤ و٢٥٧ و٣٣٧ وج٣٨ ص١٢٢ و١٣٢=

١٢ ـ يوم سد الأبواب[1].

١٣ ـ يوم بدر[2].

١٤ ـ يوم نام الصحابة في المسجد[3].

١٥ ـ في قضية الإختصام في ابنة حمزة «عليه السلام»[4].

١٦ ـ يوم كان أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة في حضرة النبي «صلى الله

= و ٣٤١ وج٤٠ ص١٤ والأمالي للطوسي ج١ ص٤٩ وعن كنز العمال ج٦ ص١٥٤ الحديث رقم (٢٥٥٤) ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج٥ ص٣١ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ج١ ص٧٨ والمناقب للخوارزمي ص٨٦ وينابيع المودة ص٥٠ و ٥٥ و ١٢٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص١١١ وكفاية الطالب ص١٦٨ (ط الحيدرية) وميزان الإعتدال ج٢ ص٣ وفرائد السمطين ج١ ص١٥٠ وشرح الأخبار ج٢ ص٥٤٤ وعلل الشرائع ج١ ص٦٦ والتحصين لابن طاووس ص٥٦٦ واليقين لابن طاووس ص١٦١ و ١٧٣ و ٣٣٤ و ٤١٥ .

(١) ينابيع المودة ص٨٨ ومناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥٥ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج١ ص٢٦٦.

(٢) المناقب للخوارزمي ص٨٤.

(٣) كفاية الطالب ص٢٨٤ والبحار ج٣٧ ص٢٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٣٩ والمناقب للخوارزمي ص١٠٩ وكشف اليقين للعلامة الحلي ص٢٨٢ و ينابيع المودة ج١ ص١٦٠.

(٤) الخصائص للنسائي (ط الحيدرية) ص١٨ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج١ ص٣٣٨.

عليه وآله»، والنبي «صلى الله عليه وآله» متكئ على علي«عليه السلام»[(١)].

وذلك كله يشير إلى أن علياً «عليه السلام» شبيه بهارون في جميع مزاياه، وأظهرها وأشهرها شراكته في الأمر، ووزارته، وشد أزره، وإمامته للناس في غياب أخيه موسى «عليه السلام».

ثالثاً: إنه لو كانت خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله» منحصرة في أهله «صلى الله عليه وآله» لوقعت المنافات بين صدر الرواية وذيلها، فإن صدرها يقول: إنه يستخلفه في أهله، وذيلها يجعله منه كهارون من موسى، مع أن هارون إنما خلف موسى في قومه، لا في أهله.

وصرحت **الآية**: بأن موسى قد طلب من الله أن يجعل له هارون أخاً، وشريكاً له في الأمر الذي هو إمامة الناس وقيادتهم..

لماذا خلّف علياً عليه السلام في المدينة؟!:

قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه، ونعم ما قال:

«**وقال**: يا علي، إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك.

وذلك أنه «صلى الله عليه وآله» علم خبث نيات الأعراب، وكثير من أهل مكة ومن حولها، ممن غزاهم، وسفك دماءهم، فأشفق أن يطلبوا

---

(١) راجع: كنز العمال (ط٢) ج١٥ ص١٠٩ و ١٠٨ والمناقب للخوارزمي ص١٩ وينابيع المودة ص٢٠٢ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج١ ص٣٢١ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١١٠ والرياض النضرة (ط٢) ج٢ ص٢٠٧ و ٢١٥.

المدينة عند نأيه عنها، وحصوله ببلاد الروم، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن من معرَّتهم، وإيقاع الفساد في دار هجرته، والتخطي إلى ما يشين أهله، ومخلفيه..

وعلم أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو، وحراسة دار الهجرة، وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين «عليه السلام»، فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً، وذلك فيما تظاهرت به الرواية أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنها تتحرس به، ولا يكون فيها للعدو مطمع، فساءهم ذلك..

وكانوا يؤثرون خروجه معه، لما يرجونه من وقوع الفساد والإختلاط عند نأي رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن المدينة، وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها..

وغبطوه «عليه السلام» على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر، فأرجفوا وقالوا: لم يستخلفه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إكراماً له، وإجلالاً ومودة، وإنما خلفه استثقالاً له».

إلى أن قال: فلما بلغ أمير المؤمنين «عليه السلام» إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم، وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، إن المنافقين يزعمون: أنك خلفتني استثقالاً ومقتاً؟!.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: إرجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك. فأنت خليفتي في أهل بيتي، ودار هجرتي وقومي،

ألا ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟! الخ..»[1].

هل الرواية خاصة بتبوك؟:

وزعم بعضهم أن حديث المنزلة خاص بغزوة تبوك، ولا ربط له بما بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإليك نص كلامه:

«هارون لم يكن خليفة موسى، لأنه مات قبل موسى، بل المراد استخلافه بالمدينة حين ذهابه إلى تبوك، كما استخلف موسى هارون عند ذهابه إلى الطور، لقوله تعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾»[2].

ونجيب:

أولاً: إن ذلك يؤدي إلى أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أورد كلاماً متناقضاً، فإنه إذا كان المقصود هو الحديث عن خلافته في حال حياته لم يكن معنى لأن يقول: إلا أنه لا نبي بعدي، بل كان الأحرى أن يقول: إلا أنه لا نبي معي..

ثانياً: لو كان المراد الخلافة في خصوص تبوك، فلا حاجة إلى تنزيله منزلة هارون من موسى وإلا، فقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» استخلف الكثيرين على المدينة في غزواته المختلفة، كغزوة الفتح، وبدر، وقريظة، وخيبر.. و.. الخ.. فلماذا لم يجعل لهم منه منزلة هارون من موسى؟!

---

(١) البحار ج٢١ ص٢٠٧ و ٢٠٨ والإرشاد ج١ ص١٥٦ إضافة إلى مصادر كثيرة ذكرناها في موارد سبقت.

(٢) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

ثالثاً: إن العبرة إنما هي بعموم اللفظ، لا بخصوص المورد، فكيف إذا تضمن الكلام الإشارة إلى استمرار المنزلة المجعوله لأمير المؤمنين «عليه السلام» إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» حسبما ألمحنا إليه..

فاستخلاف موسى لهارون في قومه حين ذهب إلى الطور، لا يعني أن تكون منزلة أمير المؤمنين «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه وآله» خاصة بحياة النبي «صلى الله عليه وآله»..

ويشير إلى ذلك: أن إطلاق المنزلة المجعولة يستدعي أن يكون أمير المؤمنين «عليه السلام» بمنزلته هارون من موسى في شراكته معه في الأمر أيضاً، والشريك في الأمر هو الأولى بمتابعة أمور شريكه في حياته، وبعد وفاته، فلو أن موسى مات قبل هارون، فإن هارون سيكون أولى بأخيه من جميع بني إسرائيل، وسيقوم مقامه في كل شيء.. وذلك ظاهر..

ويشهد لذلك: أن أجداً لا يدَّعي أن آية: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾[1] خاصة بحياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد انقطع ذلك بعد وفاته..

قريش هي البلاء:

وقد صرحت بعض روايات غزوة تبوك: أن علياً «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «زعمت قريش أنك خلفتني استثقالاً لي»[2].

---

(١) الآية ٣٨ من سورة الشورى.

(٢) المسترشد ص١٢٩ و ٤٤٤ والإرشاد ج١ ص١٥٦ وذخائر العقبى ص٦٣ والمستجاد من الإرشاد ص٩٥ و ٩٦ والصراط المستقيم ج١ ص٣١٦ والبحار ج٢١ ص٢٠٨ و ٢٤٥ وج٣٧ ص٢٦٧ والغدير ج٣ ص١٩٨ والمناظرات في =

وقد ورد في الجزء الثالث والعشرين ما يؤيد هذا الزعم فراجع[1].

ومن الواضح: أن قريشاً كانت تتقصد أمير المؤمنين «عليه السلام» بالأذى، حتى شكاها علي «عليه السلام» مرات ومرات، ودعا عليها أيضاً فقال: «اللهم عليك بقريش، فإنهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وصغروا عظيم منزلتي»[2]..

وقد كانت قريش كلها مع بني أمية على خلاف مع أمير المؤمنين «عليه

= الإمامة ص٢١٤ والثقات ج٢ ص٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٦٨ وعن البداية والنهاية ج٥ ص١١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٦ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص٢٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤١ ونشأة التشيع والشيعة ص١٠٩ وكتاب السنة ص٥٨٦ وإعلام الورى ج١ ص٢٤٤ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٩ وشرح الأخبار ج٢ ص١٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٨٣ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٣٧٨ والثقات ج٢ ص٩٣ وكشف اليقين للعلامة الحلي ص١٤٥.

(١) راجع الفصل الرابع: «حديث العترة هو القصص الحق».

(٢) راجع: راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) الرسالة رقم٣٦، وقسم الخطب رقم (٢١٢) و (٣٢) و (١٣٧) وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٩٦ وج٢ ص١١٩ والغارات ج١ ص٣٠٩ وج٢ ص٤٥٤ و٤٢٩ و٤٣٠ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٧٤ فما بعدها، والبحار (ط قديم) ج٨ ص٦٢١ والإمامة والسياسة ج١ ص١٥٥. وراجع كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ج١ ص١٧٥ و١٧٦ للإطلاع على مصادر أخرى.

السلام»[1].

وقد أجمعت قريش على حربه بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، كما أجمعت على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما قاله «عليه السلام» في رسالته لأخيه عقيل.

وإن كانت بعض المصادر بدلت كلمة «قريش» بكلمة «العرب»[2].

---

(١) الغارات ج٢ ص٥٦٩ وراجع ص٤٥٤.

(٢) راجع النص المذكور، سواء فيه كلمة «قريش» أو كلمة «العرب» في المصادر التالية: المعيار والموازنة ص١٨٠ وراجع: الغارات للثقفي ج٢ ص٤٢٩ ـ ٤٣٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص١١٨ ـ ١١٩ وأنساب الأشراف (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٧٤ ـ ٧٥ والأغاني (ط ساسي) ج١٥ ص٤٦ والبحار (ط حجري) ج٨ ص٦٢١ و ٦٧٣ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٥٩٥ ونهج السعادة ج٥ ص٣٠٠ وسفينة البحار ج٢ ص٢١٥ وأشار إليها في العقد الفريد (ط دار الكتاب) ج٢ ص٣٥٦ وج٣ ص٥٠٤، وذكرها أيضاً في الدرجات الرفيعة ص١٥٥ ـ ١٥٧.

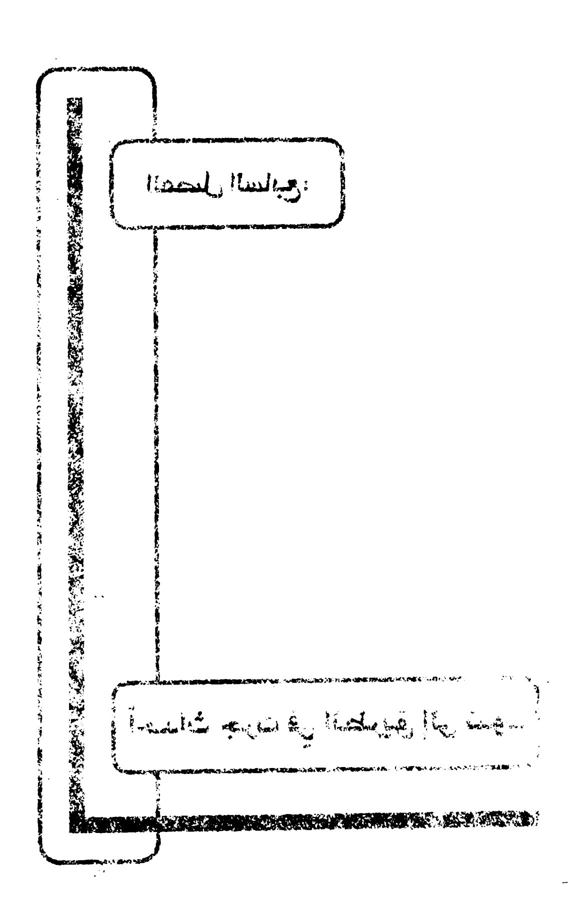
وفي الإمامة والسياسة (ط سنة ١٩٦٧م) ج١ ص٥٣ ـ ٥٤ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٢٣ عنه أن عقيلاً قد التقى بعائشة، وطلحة، والزبير، أيضاً.. وهذا كذب لأن طلحة والزبير كانا قتلا قبل غارة الضحاك بسنوات!! ولا يخفى سر زيادة ذلك في رسالة عقيل..

ولكنه قال: إن العرب أجمعت على حربه الخ..



الفصل السابع:

أحداث جرت في الطريق إلى تبوك



الفصل السابع:

أحداث الحرب في المحيط الهندي

دعوها فإنها مأمورة:

عن عبد الله بن سلام: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما مر بالخليجة في سفره إلى تبوك قال له أصحابه: المبرك يا رسول الله، الظل والماء[1]. وكان فيها دوم وماء.

فقال: «إنها أرض زرع نفر»، دعوها فإنها مأمورة ـ يعني ناقته.

فأقبلت حتى بركت تحت الدومة التي كانت في مسجد ذي المروة[2].

إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يعلم الناس: أن عليهم أن يتحاشوا الإضرار بأملاك الناس، وأن لا يتخذوا من جهادهم وتضحياتهم سبباً لاستسهال ذلك، وأن لا يستفيدوا من تهيّب الناس من قوتهم أو من كثرتهم، أو حتى من موقعهم، ولو كان هو موقع النبوة سبيلاً لإلحاق الأذى بممتلكات الآخرين، حتى لو أظهر الآخرون الرضا بذلك..

هذا ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهم عن الناقة: «دعوها فإنها مأمورة»، مع أنه كان يكفي أن يخبرهم بضرورة حفظ الزرع ويأمرهم بالابتعاد واختيار موضع آخر..

---

(١) أي: هلمَّ إلى الظل والماء.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٦ عن الطبراني، ومجمع الزوائد ج٦ ص١٩٣.

وذلك ليشير إلى: أن الله تعالى يسدده، ويحفظه، من أن يقع في خلاف الواقع، ولو في الحال التي يعذره الناس فيها، زاعمين أنه غافل، فإن الله تعالى يسدد نبيه ليصيب الواقع فيما يرتبط بحقوق الله تبارك وتعالى، وحقوق الناس.. فلا يخطئ ولا يسهو، ولا ينسى، ولا يغفل عن حق أحد، ولا يقصر في حق الله.

كما أنه في الجانب الآخر لا يأكل، ولا يلبس، ولا يشرب، ولا يمارس أي شيء إلا إذا كان حلالاً في الظاهر وفي الواقع على حد سواء.. ولهذا البحث مجال آخر.

النبي ﷺ يأكل هريسة اليهود:

وقالوا: لما نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وادي القرى أهدى له بنو عريض اليهودي هريسة، فأكلها، وأطعمهم أربعين وسقاً، فهي جارية عليهم إلى يوم القيامة.

وقال محمد بن عمر: فهي جارية عليهم إلى الساعة[1].

وعن ابن عمر قال: أتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجبنة في تبوك، فدعا بالسكين، فسمى وقطع، رواه أبو داود[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٦ عن الواقدي.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٥٣ وج٧ ص١٩٧ عن أبي داود، وفي هامشه عن الطبراني في المعجم الكبير ج١١ ص٣٠٣ وراجع: سنن أبي داود ج٢ ص٢١٢ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٧ ص٢٩٤ وإمتاع الأسماع ج٧ ص٢٩٣ وج١٤ ص٢٩٨.

ونقول:

١ ـ الهريسة هي طعام يعمل من الحب المدقوق بالمهراس واللحم[1]، ونحن نعلم أنه لا يجوز أكل غير المذكى من اللحم وفق الشرائط الشرعية، ومنها كون الذابح مسلماً.

٢ ـ وإذا كان اليهود لا يتحاشون عن مباشرة النجاسات، المبينة في الشرع الإسلامي، لأنهم لا يدينون بالإسلام، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأكل ما يلامسونه برطوبة مسرية، فكيف إذا قلنا بنجاسة الكتابي؟

على أن الأنفحة التي يصنع بها الجبن تؤخذ من حيوان محكوم بأنه ميتة، لأن الذابح يهودي، ولا شك في نجاسة الميتة، ونجاسة ما يلامسها، حتى وإن كان طاهراً في نفسه، كالأنفحة..

٣ ـ لماذا يطعم رسول الله «صلى الله عليه وآله» اليهود هذه الأوسق من التمر؟ ومن الذي أجراها عليهم حتى الساعة، أو إلى يوم القيامة؟!. ولو أطعمه يهود المدينة هريسة أو جبناً، هل كان يجري عليهم مثل ما أجرى على يهود وادى القرى؟ وهل؟ وهل؟..

خرص رسول الله ﷺ:

قال أبو حميد الساعدي: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام تبوك حتى جئنا وادي القرى، فإذا امرأة في حديقة لها، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: «اخرصوا».

---

(١) أقرب الموارد ج٢ ص١٣٨٤.

فخرص القوم، وخرص رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشرة أوسق.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للمرأة: «احفظي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله تعالى».

ولما أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزوة تبوك إلى وادي القرى قال للمرأة: «كم جاءت حديقتك»؟

قالت: عشرة أوسق خرص رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

ويواجهنا هنا سؤالان، هما:

١ ـ ما الذي أراده رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعمله هذا؟!

٢ ـ لماذا فعل ذلك في طريق تبوك، لا في المدينة؟!

تجربة بلا سوابق:

فأما بالنسبة إلى السؤال الثاني، فنقول:

لعل المراد هو إجراء التجربة في موقع بعيد عن السوابق الذهنية للناس، حيث إن الناس يتسامعون بمقادير محاصيلهم في كل عام،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٦ عن أحمد، ومسلم، وابن أبي شيبة، وقال في هامشه: أخرجه ابن أبي شيبة ج١٤ ص٥٤٠ ومسلم ج٤ ص١٧٨٥ (١١)، وأحمد ج٥ ص٤٢٤ والبيهقي في السنن ج٤ ص٢٢ وفي الدلائل ج٤ ص٢٣٩. وراجع: صحيح البخاري ج٢ ص١٣٢ وسنن أبي داود ج٢ ص٥٢ وعمدة القاري ج٩ ص٦٤ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٤٠ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٣٥٥ وج١٤ص٤٢٧ والبداية والنهاية ج٥ ص١٦ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٢.

ويقايسون فيما بينها، ويعرفون ولو على نحو التقريب غلة أراضيهم، بما لها من نوع تربة، وبملاحظة سائر العوامل المؤثرة مثل طبيعة الجو والهواء في حرارته وبرودته، وسائر تقلباته، فإن ذلك قد يؤثر بنحو أو بآخر على مقادير المحاصيل، وفي جودتها ورداءتها، وما إلى ذلك.

فلعله «صلى الله عليه وآله» أراد لفت نظر أصحابه إلى هذا الأمر بصورة عملية ليؤكد قناعتهم به، ولكي يعطي القاعدة والضابطة للناس كلهم، ويدفعهم ذلك إلى أن يدققوا ولا يتعسفوا في تعاملهم مع الناس في أمثال هذه الأمور، فإن التزام وتيرة واحدة في التعامل لربما تنتهي بهم إلى الظلم والأذى.

إمتحان التخريج:

وهذا بالذات يمثل إجابة مقبولة على السؤال الأول..

يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يشاركهم في الخرص بنفسه، لكي لا يحزنهم تعرضهم لهذا الإمتحان، الذي سيظهر إخفاقهم فيه، فإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» معهم، فسوف لا يرون في هذا الإمتحان أي حرج، ولا يشعرون بالأذى أو بالمهانة أو ما إلى ذلك.

فالإمتحان شرف وكرامة، وهو سبب تكامل، وسبيل سمو ورفعة، وطريقة تعليم، والسقوط فيه ليس سقوط ذل، وإنما هو سقوط الطائر، ليلتقط الحبة التي يحتاج إليها، ثم يطير بها محلقاً إلى سماء الفضل والكمال لتكون تلك الحبة زاداً وعوناً له، وقوة، وسبب حياة.

جنّي بصورة حية:

وفي الطريق إلى تبوك عارض الناس في مسيرهم حَيَّة ذُكِرَ مِن عظمها وخَلقِها، فانصاع الناس عنها، فأقبلت حتى واقفت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو على راحلته طويلاً، والناس ينظرون إليها، ثم التوت حتى اعتزلت الطريق، فقامت قائمة، فأقبل الناس حتى لحقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لهم: «هل تدرون من هذا»؟.

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إليَّ يستمعون القرآن، فرأى عليه من الحق ـ حين ألمَّ به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يسلم عليه، وها هو يقرؤكم السلام، فَسَلِّموا عليه.

فقال الناس جميعاً: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته[1]..

ونقول:

١ ـ قد يقال: إن الأحاديث الشريفة قد دلت على أنه لم يؤذن للجن بالظهور للبشر[2]، فما معنى أن يظهر هذا الجني للناس في هذه المناسبة..

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص١٠١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٥٠ عنه وعن أبي نعيم في دلائل النبوة، وابن كثير، والخصائص الكبرى للسيوطي. وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص٥٨ وج٥ ص٢٧٣ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٦ و ١٢٤ .

(٢) البحار ج١٩ ص١٠٤ و ج٥٨ ص٢٩٩ و ج٦٠ ص٨٣ و ٢٧٣ وعلل الشرائع ج١ ص٩٨ وكنز الدقائق ج١ ص٢٢٣ وتفسير القمي ج١ ص٣١١ ونور الثقلين ج١ ص٥٢ والصافي ج١ ص١٠٨.

فقد روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال في حديث: «واجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً، ولا يرى نسل خلقي الجن، ولا يؤانسونهم، ولا يخالطونهم».

وقال الطحاوي حول قتل الحيات: «لا بأس بقتل الكل، لأنه «عليه الصلاة السلام» عاهد الجن ألَّا يدخلوا بيوت أمته، ولا يظهروا أنفسهم، فإذا خالفوا فقد نقضوا العهد، فلا حرمة لهم»[1].

فإن قيل: إن هذا الجني لم يظهر على صورته الأصلية.. وإنما ظهر بصورة حية، فهو لم يخالف ما أخذ عليه..

فالجواب: أن العبارة تقول: إنه لم يؤذن للجن بالظهور على أية صورة كانت، أي حتى لو كانت صورة حية..

غير أن ذلك لا يمنع من أن يعصوا ويخالفوا القرار التشريعي الإلهي، كما لا يمنع من أن يأذن الله تعالى لبعضهم بالظهور تأكيداً للحق، ونصرة لأهله، ولذلك لا يبقى مجال للإعتراض بأن لو قبلنا بهذه الإجابة، فسوف تواجهنا طائفة من الروايات تقول: إن بعض الجن قد ظهروا للنبي «صلى الله عليه وآله»، أوللإمام «عليه السلام» تأييداً له، وتقوية ليقين الناس بصحة ما جاء به..

٢ ـ إن هذا الحديث يدل على أن الجن مكلفون بالعمل بالرسالة الإسلامية، والإيمان برسول الله «صلى الله عليه وآله». كما هو الحال بالنسبة

---

(١) البحر الرائق ج٢ ص٥٣ وتكملة حاشية رد المحتار ج١ ص١٠٢ وحاشية رد المحتار ج١ ص٧٠٢.

للأنس، ولهذا شواهد كثيرة من الآيات والروايات..

لا تدخلوا مساكن ثمود:

وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي كبشة الأنماري، والزهري، وأبي حميد الساعدي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما مر بالحِجْر تقنع بردائه وهو على الرحل، فاتضع راحلته حتى خلَّف أبيات ثمود، ولما نزل هناك سارع الناس إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم، واستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم.

فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنودي في الناس: الصلاة جامعة، فلما اجتمعوا قال «صلى الله عليه وآله»: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم، ولا تشربوا من مائها، ولا تتوضأوا منه للصلاة، واعلفوا العجين الإبل».

ثم ارتحل بهم حتى نزل على العين كانت تشرب منها الناقة، وقال: «لا تسألوا الآيات. فقد سألها قوم صالح، سألوا نبيهم أن تبعث آية، فبعث الله تبارك وتعالى لهم الناقة، فكانت ترد هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب مياههم يوماً، ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله تعالى مَنْ تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله تعالى.

قيل: من هو يا رسول الله؟

قال: «أبو رغال». فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه، ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم»؟!.

فناداه رجل منهم: تعجب منهم؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ألا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم، فينبئكم بما كان قبلكم، وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا، فإن الله تعالى لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي الله بقوم لا يدفعون عن أنفسهم بشيء.

وإنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقومن أحد، ومن كان له بعير فليوثق عقاله، ولا يخرجن أحد منكم إلا ومعه صاحب له».

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، والآخر في طلب بعيره، فأما الذي خرج لحاجته، فإنه خنق على مذهبه ـ أي موضعه الذي ذهب إليه ـ وأما الذي خرج في طلب بعيره، فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيء، اللذين يقال لأحدهما: أجا، ويقال للآخر: سلمى.

فأخبر بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: ألم أنهكم عن أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه، ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر فإن طيئاً أهدته لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رجع إلى المدينة[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٦ و ٤٤٧ عن مالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٨ ص١٢٥ (٤٤١٩) ومسلم ج٤ ص٢٢٨٦ (٣٨ و ٣٩/ ٢٩٨٠) وأحمد ج٢ ص٩ و ٥٨ و ٧٢ و ٧٤ و ١١٣ و ١٣٧ والبيهقي في الدلائل ج٥ ص٢٣٣ وفي السنن ج٢ ص٤٥١ والحميدي (٦٥٣) وعبد الرزاق (١٦٢٥) والطبراني في الكبير ج١٢ =

الإستسقاء.. ونزول المطر:

قالوا: ونزلوا الحِجْر، فأمرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن لا يحملوا من مائها شيئاً، ثم ارتحل، ثم نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء.

فشكوا ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقام فصلى ركعتين، ثم دعا فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها.

فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك، قد ترى ما دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمطر الله علينا السماء.

فقال: إنما أمطرنا بنوء كذا وكذا.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1].

ذكر ابن إسحاق: أن هذه القصة كانت بالحجر.

وروي عن محمود بن لبيد، عن رجال من قومه قال: كان رجل من المنافقين معروف نفاقه يسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيثما سار، فلما كان من أمر الحِجْر ما كان، ودعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين دعا، فأرسل الله تعالى السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا أقبلنا عليه نقول: ويحك، هل بعد هذا شيء؟

= ص٤٥٧ وانظر الدر المنثور ج٤ ص١٠٤.

وراجع: البحار ج١١ ص٣٩٣ والعرائس للثعلبي ص٤٣ وعن مجمع البيان ج٤ ص٤٤١ ـ ٤٤٣.

(١) الآية ٨٢ من سورة الواقعة.

قال: سحابة مارة[1].

وعن عمر بن الخطاب قال: خرجنا إلى تبوك في يوم قيظ شديد، فنزلنا منزلاً، وأصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى أن كان الرجل يذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، حتى أن كان الرجل لينحر بعيره، فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله تعالى لنا.

قال: «أتحب ذلك»؟

قال: نعم.

فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٨ والدر المنثور ج٦ ص٢٦٣ عن ابن أبي حاتم، والمغازي للواقدي ج٣ ص١٠٠٩. وراجع: المحلى لابن حزم ج١١ ص٢٢٢ والبحار ج٢١ ص٢٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٧٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٧٩ والبداية والنهاية ج٥ ص١٣ وإمتاع الأسماع ج٥ ص١١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٠٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٧ و ٤٤٨ عن أحمد، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في السنن ج٩ ص٣٥٧ وفي الدلائل ج٥ ص٢٣١ وابن خزيمة (١٠١)، وابن حبان، ذكره الهيثمي في موارد الظمآن (١٧٠٧) وانظر مجمع الزوائد ج٦ ص١٩٥. وراجع: تحفة الأحوذي ج٨ =

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خرج المسلمون إلى تبوك في حر شديد، فأصابهم يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها، ويشربوا ماءها، فكان عسرة في الماء، وعسرة في النفقة، وعسرة في الظهر[1].

ونقول:

السنّة الإلهية باقية:

إن مرور النبي «صلى الله عليه وآله» من أبيات ثمود، وإظهاره هذه الخشية والإشفاق من المرور بمساكن الظالمين التي حل العذاب بأهلها قبل مئات أو آلاف السنين يشير إلى أن السنة الإلهية في الطغاة والعصاة لم تبطل، بل هي لا تزال جارية وسارية، فعلى الناس أن يحاذروا من الوقوع فيما وقع فيه أسلافهم، وعليهم أن يراجعوا حساباتهم، ويدققوا في مواقفهم ومسيرهم

= ص٤٠٤ وصحيح ابن حبان ج٤ ص٢٢٣ ونصب الراية ج١ ص١٩٢ وموارد الظمآن ج٥ ص٣٥٢ وكنز العمال ج١٢ ص٣٥٣ وجامع البيان للطبري ج١١ ص٧٦ وتفسير الثعلبي ج٥ ص١٠٥ وتفسير البغوي ج٢ ص٣٣٣ وزاد المسير ج٣ ص٣٤٨ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤١١ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٢٢٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٨٦ وفتح القدير ج٢ ص٤١٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٧ وفي هامشه عن: دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٢٢٧. وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٦.

ومسارهم، حتى لا ينتهي بهم الأمر إلى ما انتهى إليه أسلافهم.

تجسيد الحدث:

ثم إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرو لهم ما جرى على قوم صالح بنحو يفيد في تكوين تصورات، وإحداث انفعالات يتوقع أن تتبخر وتتلاشى، تبعاً لتلاشي تلك الصور التي استحضرت بواسطة حديث يتلى، وخبر يروى..

بل هو «صلى الله عليه وآله» قد ربط لهم الصورة الذهنية بأمور عينية واقعية، لها مساس بأشخاصهم، حين تركهم ينقلون الماء من آبار ثمود، ويعجنوا بها عجينهم، وينصبوا القدور المملوءة باللحم والماء، ثم ينادي فيهم بالصلاة جامعة، وقد كان ذلك بعد منعهم من الإستفادة من الماء في ذلك المكان كله، ثم أمرهم بأن يعلفوا العجين الإبل..

أي أنه لم يكتف بمنعهم من الإستفادة من الماء الذي تعبوا بحمله، بل ألحق به ما اختلط به، مما تعبوا في الحصول عليه، وفي حمله، ونقله، ويرون أنفسهم بأمس الحاجة إليه، للغذاء والبقاء..

مع أنه «صلى الله عليه وآله» حين وصل إلى تلك المساكن كان يعلم أن الناس المتعبين الذين يسيرون في حر الهاجرة في تلك الصحراء القاحلة، سوف يتهافتون على الماء، وسيبادرون للإستفادة منه في إعداد أطعمتهم، وفي تبردهم، وغسلهم وشربهم، ولكنه لم يحذِّرهم منه، ولم يذكر لهم شيئاً في هذا السياق.. بل سكت حتى بلغ بهم التعامل مع ذلك حداً جعله محط أنظارهم، ومهوى أفئدتهم..

ولعله لو كان قدَّم لهم النهي عنه، لوجد فيهم من يستسيغ مخالفته، ويكون حالهم حينئذ حال طالوت مع جنوده، حيث قال لهم: ﴿..إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ..﴾[1].

آثار السخط الإلهي:

إن هذه القضية قد أظهرت أن آثار سخط الله تبارك وتعالى قد تمتد عبر الأجيال والأحقاب إلى آلاف السنين، ولأجل ذلك نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يصلي صلاة المختار في أرض خسف بها، بل هو يسرع السير ليتجاوزها، ثم يصلي أو يعيد ما كان قد صلاه في حالة الإضطرار..

وفي هذه المرة أيضاً نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» حين مر بالحِجْر، تقنع بردائه، واتضع راحلته (أي خفض رأس بعيره) حتى خلَّف أبيات ثمود وراء ظهره..

كما أنه قد نهى أصحابه عن دخول مساكن ثمود، ومنعهم من شرب ماء تلك البقعة، ومن الوضوء به، ومن استعماله في سائر المجالات..

مساكن ثمود:

إن النهي عن دخول مساكن ثمود، وقول الرواية: حتى خلف أبيات ثمود، يدل على أن تلك المساكن كانت لا تزال ماثلة للعيان، رغم مرور السنين والأحقاب..

---

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

في حين أننا نجد كثيراً من الآثار التي لها هذا المقدار من القدم مطمورة بالتراب الذي تحمله الرياح من هنا وهناك.. وهذا يؤكد القناعة بأن ذلك من التدبير الإلهي، ومن أسباب الهداية، أو إقامة الحجة على من تأمل وتفكر، ولاحظ وتدبر..

عليٌّ عليه السلام هو المقصود:

إن سياق الكلام المنقول عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يعلن منعهم من دخول مساكنهم، يعطي: أنه لم يكن يأمن على قومه من أن يصيبهم ما أصاب قوم ثمود، ولذلك منعهم من دخول مساكنهم إلا أن يكونوا باكين أن يصيبهم ما أصابهم، ولا يصيبهم من ذلك إلا إذا فعلوا كفعلهم، ولذلك قال لهم: لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح.. أي لا تفعلوا كما فعل أولئك..

ثم إنه بين لهم: أن أمرهم أعجب من أمر قوم صالح، فإن رجلاً سيكون من أنفسهم، سوف ينبؤهم بخبر ما كان قبلهم، وما هو كائن بعدهم.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» اقتصر على ذكر هذه العلامة لذلك الرجل، ولم يبين ماذا سيصنعون به، وكيف سيكون حالهم معه، وإنما اكتفى «صلى الله عليه وآله» بأمرهم بالإستقامة والسداد..

ولعله لأجل أن لا يتوهموا الجبرية في هذا الأمر، ولكي يفسح المجال لهم للتوبة والعودة والإنابة، مبيناً لهم: أنهم إن لم يستقيموا على المحجة ولم يسددوا، فسينالهم العذاب كما نال قوم صالح حين عقروا الناقة.. ولا يعبأ

الله بعذابهم شيئاً..

ثم أثبت لهم صحة كلامه هذا بأن أخبرهم بما سيجري في تلك الليلة مباشرة، مما لا يمكن أن ينال علمه إلا الله تبارك وتعالى.. وأمرهم بأمره..

وقد ظهر صدق كلامه «صلى الله عليه وآله» في تلك الليلة، وجرى عليهم نفس ما وصفه لهم.. فهل من معتبر؟!

علي عليه السلام يخبر بما كان وبما يكون:

هذا وقد صرح التاريخ بأن الذي كان يخبر الناس بما كان وما يكون هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وقد بلغ من كثرة إخباره: أن صاروا يتهمونه بالكذب، فقد:

١ ـ سمع أعشى همدان (وهو غلام) حديثه «عليه السلام»، فاعتبره حديث خرافة[1].

٢ ـ وكان قوم تحت منبره «عليه السلام»، فذكر لهم الملاحم، فقالوا: قاتله الله، ما أفصحه كاذباً[2]..

وهناك قضية أخرى تشبه هذه القضية أيضاً، فراجعها[3]..

٣ ـ وحين أخبر الناس بأنه لو كسرت له الوسادة لحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية إلا وهو يعلم أين ومتى، وفي من نزلت.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٨٩ والبحار ج٣٤ ص٢٩٩ وج٤١ ص٣٤١.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٣٦.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٣٦.

قال رجل من القعود تحت منبره: يا لله وللدعوى الكاذبة[1].

وكان ميثم التمار يحدث ببعض العلوم والأسرار الخفية، فيشك قوم من أهل الكوفة، وينسبون أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى المخرقة، والإيهام، والتدليس الخ[2]..

وقال «عليه السلام»: «والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مائة، ثم لو شئت لحدثتكم إلى أن تغيب الشمس، لا أخبركم إلا حقاً، ثم لتخرجن فتزعمن: أني أكذب الناس وأفجرهم..»[3].

وقال مخاطباً أهل العراق: «ولقد بلغني أنكم تقولون: علي يكذب! قاتلكم الله»[4]..

وقد تحدث ابن أبي الحديد عن أن قوماً من عسكر أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي «صلى الله عليه وآله» من أخبار الملاحم، والغائبات. وقد كان شك منهم جماعة في أقواله، ومنهم من

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٣٦.
(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٩١ والبحار ج٣٤ ص٣٠٢.
(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٢٨.
(٤) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١١٩ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص٩٩ والإختصاص ص١٥٥ عن كتاب ابن دأب، والإرشاد للمفيد ص١٦٢ والفصول المختارة ص٢٦٢ والإحتجاج ج١ ص٢٥٥ وينابيع المودة ج٣ ص٤٣٥ والبحار ج٣٤ ص١٠٣ و ١٣٦ وج٣٥ ص٤٢١ وج٣٨ ص٢٦٩ وج٤٠ ص١١١ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٢٧ ونهج الإيمان ص١٦٤ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» ج١ ص٣٢١.

واجهه بالشك والتهمة[1]..

أبو بكر هو الوسيط:

ولا نتفاجأ إذا كان أبو بكر هو الوسيط الذي طلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدعو الله أن يسقيهم، فهناك اعتبارات عديدة لا بد من النظر إليها، فلاحظ ما يلي:

١ ـ إن حديث النبي «صلى الله عليه وآله» عن شخص يحدثهم بما كان وبما هو كائن، إنما هو حديث عن إنسان يملك علماً خاصاً، ليس لأحد منهم كلهم أي سبيل إليه، فهو رجل متصل بالغيب، وقد اختصه الله بما لم يعطه أحداً من خلقه، إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون سواه..

٢ ـ إن هذا العلم هو ما نسميه بعلم الإمامة، وهو أحد سبيلي معرفة شخص الإمام. والسبيل الآخر هو النص..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» تحدث عن رجل غائب، وحذر جميع من حضر من مغبة الخروج على جادة الإستقامة والسداد بمخالفته، وأن عاقبة ذلك ستكون هي عذابهم، ولا يعبأ الله تعالى بهم..

ولا تعذب الأمة بمخالفة أحد إلا إن كان نبياً، أو وصي نبي..

٤ ـ ومن جهة أخرى فإننا نلاحظ: أن الذي غاب بإذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه الغزوة هم أمير المؤمنين «عليه السلام»، والضعفاء، والنساء والصبيان، والذين لا يجدون ما يحملهم عليه. والمنافقون..

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٨٦.

وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لواحد من هؤلاء فقط، وهو ذلك المأذون له بالبقاء، والمنصوب من قبله على المدينة: إنه منه بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده..

٥ ـ ويلاحظ أيضاً: أن الذي جاء يطلب الماء من رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو نفس ذلك الذي يتزعم المعارضة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ويخطط لانتزاع الأمر منه فور وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو لَّما يدفن.. والناقل لهذا الحديث أيضاً هو نصيره ونظيره، ووزيره، وخليفته من بعده..

وهو يطلب ذلك تحت وطأة عطش كان نتيجة لما جرى في الحِجر، حيث أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن أمر الإمام والإمامة حسبما أوضحناه..

٦ ـ لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يرى حال أصحابه، وجهدهم وعطشهم ومعاناتهم، ولكنه لم يبادر إلى مد يد العون لهم، ولا اكترث بحالهم، بل تجاهل هذا الحال، حتى جاؤوه هم وطلبوا منه ذلك.

ولا شك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس قاسياً عليهم بل كان رحيماً بهم عطوفاً عليهم كما قال الله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]، فلماذا غض النظر حتى كانوا هم المطالبين له بالتدخل، وكان الوسيط خصوص أبي بكر.

فإن ذلك يدلنا على أن ثمة سياسة إلهية حكيمة وفاضحة لنوايا

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

مكتومة، كان لا بد من العمل على فضحها، والحر تكفيه الإشارة..

تلميح.. كأنه تصريح:

إن حديث الناقة، وعقرها، وصالح وقومه.. ثم تحذير النبي «صلى الله عليه وآله» لقومه من أن يصيبهم ما أصاب قوم صالح، ثم ذكره لرجل منهم، يخبرهم عن الماضي وعما يأتي. وأن سلوكهم معه إن لم يكن على طريق الإستقامة والسداد، فإن الله تعالى سيعذبهم، ولا يعبأ بعذابهم شيئاً..

إن هذا الحديث لم يكن مجرد تلويح، بل هو قد انتهى إلى التصريح، لمن راجع ذاكرته، وراقب أقوال الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» التي كان يقرن فيها قاتل علي «عليه السلام» بعاقر ناقة صالح[1]..

أبو رغال:

وأما بالنسبة لأبي رغال فقد قدمنا بعض الحديث عنه في الجزء الخامس والعشرين في فصل «قبر أبي رغال» ولا نرى ضرورة للإعادة..

---

(١) راجع: العقد الفريد (ط دار الشرفية بمصر) ج٢ ص٢١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٥٩١ ط مصطفى الحلبي وإحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٣٣٢ عن بحر المناقب لابن حسنويه، ومقاصد المطالب ص١١ والبدء والتاريخ ج٥ ص٦١ ونهاية الأرب ج٢ ص١٩٠ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٣٧ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١١٣ وأسد الغابة ج٤ ص٣٣ وتلخيص المستدرك للذهبي ج٣ ص١١٣ ونظم درر السمطين ص١٢٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١١٣ والمناقب للخوارزمي ونور الأبصار (ط دار العامرة بمصر) ص٩٨.

والروايات في ذلك كثيرة جداً لا مجال لاستقصائها، ولا ضرورة لإحصائها..

المعجزة تلو المعجزة:

ولم يقتصر الأمر على هذا الذي جرى في الحِجْر، بل استمرت المعجزات والكرامات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تلح على ضمير الناس، وتقتحم عليهم خلواتهم التأملية، لترسخ لديهم اليقين، ولتؤكد الحجة بالحجة، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة أهل المطامع والأهواء، هي السفلى، فجاء استسقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليروي الناس من ظمأهم بعد أن منعوا من ماء الحِجْر، تأكيداً على أن الله الذي منعهم هو الذي يعوضهم بدعوة من نبيِّه، ليؤكد لهم بذلك صدقه وقداسته، ويلزمهم بالحق، ولو كانوا كارهين..

مواصلة المسير دون ماء:

وقد أمرهم النبي «صلى الله عليه وآله» بالإرتحال، وأن لا يحملوا معهم من ماء الحجر شيئاً..

وطبيعي أن يثير هذا فيهم الهواجس والوساوس، وأن يتنامى خوفهم ويزداد كلما أوغلوا في تلك الصحراء القاحلة حيث تزداد احتمالات هلاكهم وما معهم من دواب، من شدة العطش.

ولا بد أن يرتبط ذلك كله بصور العذاب الذي صبه الله تعالى على ثمود، وآثار هذا الغضب الإلهي التي لم تنته حتى بعد مضي آلاف السنين، ويقع الأمر الذي طالما أرعبهم، وأقضَّ مضاجعهم ألا وهو العطش الشديد، المنذر بالموت. ويتعاظم هذا الخطر ويزداد، وظهر لهم أن لا ملجأ من الله إلا إليه..

وتعلقت القلوب، وانشَدَّت الأنظار إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وطلبوا منه أن يغيثهم بدعوة منه يرفعها إلى الله تعالى، ليسقيهم الماء، تفضلاً منه، وكرامة لرسوله «صلى الله عليه وآله»..

ولم يصلِّ بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلاة الإستسقاء، بل اكتفى برفع يديه نحو السماء، فلم يرجعها حتى قال له الكريم: خذ، وأرخت السماء عزاليها، وسكبت عليهم ما قسمه الله تعالى لهم.. ولم يتجاوز المطر العسكر..

وطبيعي أن تكون الفرحة عارمة، وأن يكون الشعور بالإمتنان عظيماً.. وذلك كله يحتم عليهم أن لا ينسوا ما بينه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم من لزوم الإستقامة، وتحري الصواب حين يكون معهم من يخبرهم بما كان وبما هو كائن.. وأن لا يتخلوا عنه، وإلا، فإن عليهم أن يواجهوا العذاب الأليم، والغضب الإلهي العظيم..

لا يدري النبي ﷺ أين ناقته!!

ثم إنهم رؤوا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سار حتى إذا كان ببعض الطريق متوجهاً إلى تبوك فأصبح في منزل، فضلَّت ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال محمد بن عمر: هي القصواء..

فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمارة بن حزم، وكان عقبياً بدرياً، قتل يوم اليمامة شهيداً، وكان في رحله زيد بن اللصيت، أحد بني قينقاع، كان يهودياً، فأسلم، فنافق، وكان فيه خبث

اليهود وغشهم، وكان مظاهراً لأهل النفاق، فقال زيد وهو في رحل عمارة بن حزم، وعمارة عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»: محمد يزعم أنه نبي، وهو يخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمارة عنده: «إن منافقاً قال: هذا محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم بأمر السماء، ولا يدري أين ناقته، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله تعالى، وقد دلني الله عز وجل عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا، لشعب أشار لهم إليه، حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها». فذهبوا، فجاءوا بها.

فرجع عمارة إلى رحله فقال: والله، العجب لشيء حدثناه رسول الله «صلى الله عليه وآله» آنفاً عن مقالة قائل أخبرها الله تعالى عنه، قال كذا وكذا للذي قال زيد.

فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ـ قال محمد بن عمر: وهو عمرو بن حزم أخو عمارة ـ ولم يحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»: زيد والله قائل هذه المقالة، قبل أن تطلع علينا.

فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه، ويقول: يا عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعر، أخرج يا عدو الله من رحلي فلا تصحبني.

قال ابن إسحاق: زعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متهماً بشرٍّ حتى هلك[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٨ و ٤٤٩ عن الواقدي وابن اسحاق، وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٧١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٥٠.

ونقول:

قد تكرر في الغزوات المختلفة ذكر ضلال ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودلالة النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه عليها، وظهور أن الله تعالى مسدِّد نبيه بالوحي، وتأكد بوار كيد المنافقين، وافتضاح أمرهم..

وهذا بالذات، هو ما جرى في غزوة تبوك، كما قررته الرواية الآنفة الذكر..

طعن المشككين والمنافقين:

ويلاحظ: أن طعن المنافقين، واليهود والمشككين في رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتركز على موضوع علم النبي «صلى الله عليه وآله» بالغيب، فيُتَّخَذ من ضياع ناقته ذريعة للتشكيك بالنبوة، عن طريق إثارة الشبهة بعلمه بمكان ناقته، فإن جهله ـ بزعمهم ـ بمكان ناقته دليل عدم نبوته.. وهم يرسلون هذا الأمر إرسال المسلمات.. وكأنه مما تحكم به العقول أو تقضي به فطرة الناس، كل الناس، حيث يقدم اليهودي للمشرك، وللمسلم هذا الأمر على أنه أمر بديهي وأنه دليل قاطع على ذلك.

ولم ينقل لنا أنه «صلى الله عليه وآله» ناقشهم في هذا الأمر، أو رده عليهم، بل هو يستجيب لما يقتضيه هذا التحدي، ويخبرهم بمكان الناقة، ويصف لهم حالها، وما آل إليه أمرها بدقة.

وبظهور صدقه في ذلك كله يظهر الله تعالى للملأ كيدهم، ويفتضح به كذبهم، ويبور سعيهم، فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً..

بل إنه «صلى الله عليه وآله» يقرُّ ويؤكد اتصاله بالله، وأنه يتلقى علمه

منه تبارك وتعالى، وأن هذا الذي يخبرهم به قد تلقاه منه سبحانه..

سياسة إظهار نفاق أهل النفاق:

وقد أظهرت قصة الناقة: أن كل الذي يجري، إنما هو بعين الله تبارك وتعالى، ولعله كان يهدف:

أولاً: إلى ترسيخ إيمان الناس، ولا سيما الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة، بفتح نوافذ لهم على الغيب الإلهي، وتقريبهم من حقائقه، من خلال تجسيده لهم في مفردات حسية وحاضرة..

ثانياً: إنه يريد أن يبين للناس أن أهل الريب والنفاق لا يزالون يعيشون بينهم، وأنهم يسعون للكيد لهذا الدين وأهله، وأن على الناس أن يتنبهوا لذلك، لكي لا يقعوا في المآزق والمهالك، التي ربما يكيدهم بها أولئك الحاقدون، ولا سيما مع اقتراب رحيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنهم، وهو كان يعلم بحقيقة ما يحاك ويدبر للإستئثار بأمر الناس بعده..

ولعل نداء عمارة بن حزم حين اكتشف الأمر: إن في رحلي لداهية، وما أشعر، يصلح للتدليل على أن هذه السياسة قد آتت ثمارها، وأن هذا من بعض آثارها.

النبي ﷺ يأتم بابن عوف:

عن المغيرة بن شعبة قال: لما كنا فيما بين الحِجر وتبوك ذهب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحاجته، وكان إذا ذهب أبعد، وتبعه المغيرة بماء بعد الفجر ـ وفي رواية: قبل الفجر ـ فأسفر الناس بصلاتهم، وهي صلاة الفجر حتى خافوا الشمس، فقدموا عبد الرحمن بن عوف، فصلى بهم.

فحملت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إداوة فيها ماء، وعليه جبة رومية من صوف، فلما فرغ صببت عليه فغسل وجهه، ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة، فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما، فأهويت لأنزع خفيه، فقال: «دعهما فإنني أدخلتهما طاهرتين»، فمسح عليهما.

فانتهينا إلى عبد الرحمن بن عوف، وقد ركع ركعة، فسبح الناس لعبد الرحمن بن عوف حين رأوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كادوا يفتنون.

فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه، فأشار إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن اثبت.

فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة، فلما سلم عبد الرحمن تواثب الناس، وقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقضي الركعة الباقية، ثم سلم بعد فراغه منها، ثم قال: «أحسنتم، أو قد أصبتم ـ فغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها ـ إنه لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته»[1].

ونقول:

أولاً: إن هذا الخبر وإن كان يراد له أن يسجل فضيلة لعبد الرحمن بن عوف، من حيث إن من يصلي النبي «صلى الله عليه وآله» خلفه يكون له

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص١٠١٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٩ عن ابن سعد، وعن مسلم. وسيأتي مصادر ذلك في فصل: «عزل أبي بكر عن الصلاة».

مقام ليس لغيره. ولكنه سيضيِّع على أولئك المتحذلقين أنفسهم استدلالاً آخر يعز على قلوبهم، ولطالما حاولوا تشييده وتأكيده وتعضيده.. وهو أنهم قد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» صلى خلف أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه[1]. وأن ذلك يدل على صحة خلافة أبي بكر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ كيف لا نرضى لدنيانا من رضيه الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» لديننا..

فإذا كان «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك[2]. فإن استدلالهم هذا الأخير يسقط عن الإعتبار، ويصبح أبو

---

(١) راجع: البحار ج٢٨ ص١٦٤ و ١٦٥ والشرح الكبير لابن قدامة ج٢ ص٤٩ وكشاف القناع ج١ ص٥٨٠ ونيل الأوطار ج٣ ص١٨٤ ومسند أحمد ج٣ ص٢٤٣ وسنن الترمذي ج١ ص٢٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٨٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص٤٦ وفتح الباري ج٢ ص١٣٠ و ١٤٦ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٧ و ١٨٨ و ١٩١ وتحفة الأحوذي ج٢ ص٢٩٦ و ٢٩٧ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٣٩٩ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٠٦ والمعجم الصغير ج١ ص١٧٨ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٣٦٠ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص٣١٧ وكنز العمال ج٨ ص٢٠ وفيض القدير ج٥ ص٣٧٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٢٢ و ٢٢٣ وتاريخ بغداد ج٢ ص٣٦ وج٩ ص٢٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص٣٧ و ٢٩١ وج٥١ ص١٧٣ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص١٧٦ و ١٧٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٥٥ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٤ ص٤٦٠ و ٤٦٤ و ٤٦٥ والسيرة النبوية ج٤ ص٤٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص١٩٥.

(٢) راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٢٢٩ والمواقف للإيجي ج٣ ص٦٠٩ =

بكر، مثل عبد الرحمن بن عوف، من هذه الجهة. فلماذا يُقَدَّم عليه وعلى غيره، ولا سيما مع وجود النص على الغير في حديث المنزلة وحديث الغدير، وغير ذلك..

ولا يختلفون أيضاً في أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمَّر عمرو بن العاص

= و ٦١٠ ونصب الراية ج٢ ص٣٢٣ وفيض القدير ج٥ ص٣٧٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٢٩ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٧٩ و ٨٠ وتحفة الأحوذي ج٢ ص٢٩٤ ج١٠ ص١٧١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٩ وج٨ ص١٩٤ وج١٠ ص٤٩٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٦٤ و ٤٦٨ والخصائص الكبرى للسيوطي ج١ ص٤٥٨ والمنتظم ج٥ ص٣٤ وصفة الصفوة ج١ ص٣٤٩ والبحار ج٢٨ ص١٦٥ و ١٧٠ ومسند أحمد ج٤ ص٢٤٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص٩٥ وتنوير الحوالك للسيوطي ص٥٩ والمسترشد للطبري ص١٣٣ والتمهيد لابن عبد البر ج١١ ص١٥٩ وج٢٢ ص٣٢٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص١٩٦ وتهذيب الكمال ج١٤ ص١٠٢ وأمالي المحاملي ص٢٥٨ والمعجم الكبير ج٢٠ ص٤٢٧ و ٤٣٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٢ ص٢٩٠ و ٤٠١ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج١ ص١١٦ وكشف المشكل ج١ ص٢١٦ وكتاب الأم للشافعي ج١ ص١٨٢ و ٢٠٣ ونيل الوطار ج٣ ص٢١١ وفتح الباري ج٢٣ ص١٤٦ وكنز العمال ج٩ ص٦١٤ وفيض القدير ج٥ ص٣٧٨ والأحكام لابن حزم ج٢ ص٢١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٥ ص٢٥٨ و ٢٥٩ والإصابة ج٤ ص٢٠٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٨ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٥٧ وج٦ ص٣٦١ وج١٤ ص٤٥٨ و ٤٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٠ وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ج١ ص٨٣.

على أبي بكر وعمر، وجماعة من المهاجرين والأنصار، وكان عمرو يؤمهم طول زمان إمارته في الصلاة عليهم، ولم يدل ذلك على فضله عليهم في الظاهر، ولا عند الله تعالى على حال من الأحوال. ولم يوجب تقدمه عليهم بالخلافة.

ثانياً: إن صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» خلف أي كان من الناس، لا تعني أن ذلك الرجل يملك المواصفات التي تؤهله لمقام الإمامة والخلافة، لأن إمامة الجماعة لا تحتاج إلى علم شامل، ولا إلى شجاعة، ولا إلى معرفة بشؤون المسلمين، ولا إلى تدبير، ولا إلى فضل، ولا إلى غير ذلك من شرائط، ومواصفات معتبرة في من يتولى شؤون الأمة.

ثالثاً: إن هؤلاء يقولون: إنه لا تشترط في إمامة الجماعة التقوى، ولا الإجتناب عن المحرمات والمآثم، ويزعمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «صلوا خلف كل بر وفاجر»[1]..

---

(١) راجع: جامع الخلاف والوفاق للقمي ص٨٤ وفتح العزيز للرافعي ج٤ ص٣٣١ والمجموع للنووي ج٥ ص٢٦٨ ومغني المحتاج للشربيني ج٣ ص٧٥ والمبسوط للسرخسي ج١ ص٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج١ ص٢٢٩ وبدائع الصنائع للكاشاني ج١ ص١٥٦ والجوهر النقي للمارديني ج٤ ص١٩ والبحر الرائق ج١ ص٦١٠ وتلخيص الحبير لابن حجر ج٤ ص٣٣١ ونيل الأوطار ج١ ص٤٢٩ وشرح أصول الكافي ج٥ ص٢٥٤ والإفصاح للمفيد ص٢٠٢ والمسائل العكبرية للمفيد ص٥٤ والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ص٢٣٢ وغوالي اللآلي ج١ ص٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص١٩ وعمدة القاري ج١١ ص٤٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٤٥ وسنن الدارقطني ج٢ ص٤٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث=

ولكنهم يشترطون العدالة والعلم، و.. و.. في إمامة الأمة..

رابعاً: إن حديث صلاة أبي بكر بالناس، ثم برسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يثبت من الأساس، فإن بعض الروايات قد صرحت: بأن عائشة هي التي أمرت أباها بالصلاة[1]، وليس رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي يقال: كيف لا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لديننا..

خامساً: قد صرحت الروايات أيضاً: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزل أبا بكر عن الصلاة، وصلى هو مكانه رغم مرضه الشديد[2]..

= التعليق للذهبي ج١ ص٢٥٦ و ٢٥٧ ونصب الراية للزيلعي ج٢ ص٣٣ و ٣٤ والدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج١ ص١٦٨ والجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٩٧ وكنز العمال ج٦ ص٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٢٩ و ٣٢ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص١٥٦ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص١٦٨ وتلخيص الحبير ج٢ ص٣٥ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ج١ ص١٥٤ والعلل المتناهية لابن الجوزي ج١ ص٤٢٢ و ٤٢٥ والمقاصد الحسنة للسخاوي ج١ ص٤٢٦.

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص١٩٧ وج١٤ ص٢٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٦٢٠ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٣٩٩ ونهج السعادة للمحمودي ج٥ ص٢٦٨ والبحار ج٢٨ ص١٥٩. وسيأتي مصادر أخرى لهذا الحديث في فصل: «عزل أبي بكر عن الصلاة».

(٢) راجع: البحار ج٢٧ ص٣٢٤ وج٢٨ ص١١٠ وج٨٥ ص٩٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص٣٠٧ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٣٩٩ ومواقف الشيعة ج٣ ص٤٣٨ وقاموس الرجال للتستري ج١١ ص٢٣٥.

سادساً: لماذا قدَّم الناس عبد الرحمن بن عوف،ولم يقدموا أبا بكر، أو عمر، فإن هؤلاء يدَّعون أنهما أفضل من ابن عوف؟! أو لماذا لم يقدموا عثمان، فكذلك أيضاً حسب ما هو مقرر عندهم؟!..

سابعاً: قد صرحت رواية المغيرة بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تأخر عن صلاته حتى خاف الناس من طلوع الشمس قبل رجوعه، فقدموا عبد الرحمن بن عوف..

وهذا غير مقبول، ولا معقول منه «صلى الله عليه وآله»، لأنه يتضمن اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بالتفريط في صلاته الواجبة، وأنه ليس من الذين هم على صلاتهم يحافظون.

وقد كان قيام الليل واجباً على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكان يصلي الفجر، فلماذا لم يتهيأ لصلاة الصبح قبل أن يحين وقتها..

ثامناً: إن من غير المقبول ولا المعقول أن يسافر النبي «صلى الله عليه وآله» لحاجته بمقدار مسير أكثر من نصف ساعة ذهاباً، ومثلها إياباً، فيبدأ سفره من الفجر أو قبله، وتتأخر عودته إلى الوقت الذي يخشى فيه من طلوع الشمس، والناس ينتظرونه لصلاة الصبح.

تاسعاً: إن الإستعانة في الوضوء للصلاة مكروهة، فعن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: خصلتان لا أحب أن يشاركني فيهما أحد: وضوئي فإنه من صلاتي، وصدقتي فإنها من يدي إلى يد السائل، فإنها تقع في يد الرحمان[1].

---

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٤٧٨ و (ط دار الإسلامية) ج١ =

وروى الحسن بن علي الوشا: أنه دخل الإمام الرضا «عليه السلام» وبين يديه إبريق يريد أن يتهيأ منه للصلاة، فدنوت منه لأصب عليه فأبى ذلك، فقال: مه يا حسن.

فقلت له: لم تنهاني أن أصب على يديك؟ تكره أن أؤجر.

قال: تؤجر أنت، وأؤزر أنا.

فقلت: وكيف ذلك؟

فقال: أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ وها أنا ذا أتوضأ للصلاة وهي العبادة، فأكره أن يشركني فيها أحد[1].

وورووا: أن عمر رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستقي ماء

= ص٣٣٦ والخصال للصدوق ص٣٣ والنوادر للراوندي ص١٩٠ والبحار ج٢٣ ص١٢٨ ج٧٧ ص٣٢٩ وج٩٣ ص١٢٨ و ١٧٨ وكتاب الطهارة للشيخ الأنصاري ج٢ ص٤٠١ و (ط ق) ج١ ص١٥٠ ومستدرك الوسائل ج١ ص٣٤٤ و ٣٤٦ وسنن النبي للطباطبائي ص٢٧٦ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٦١ وجامع أحاديث الشيعة ج٢ ص٢٧٢ وتفسير العياشي ج٢ ص١٠٨ وجواهر الكلام ج٢ ص٣٤٣.

(١) الكافي ج٣ ص٦٩ وتهذيب الأحكام ج١ ص٣٦٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٤٧٧ و (ط دار الإسلامية) ج١ ص٣٣٥ والبحار ج٤٩ ص١٠٤ وج٨١ ص٣٤٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٢ ص٢٧٢ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج٢ ص١٥٣ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٣١٦ ومستند الشيعة ج٢ ص١٥٧ وجواهر الكلام ج٢ ص٣١٢ و ٣٤٣ وكتاب الطهارة للأنصاري ج٢ ص٣٩٩ و (ط ق) ج١ ص١٤٩.

لوضوئه فبادره يستقي له، فقال له: «مه يا عمر، فإني أكره أن يشركني في طهوري أحد».

أو: «لا أحب أن يعينني على وضوئي أحد».

أو: «أنا لا أستعين في وضوئي بأحد»[1].

فلماذا لا ينزه النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه عن هذا المكروه في غزوة تبوك أيضاً، فيخالف طريقته ويستعين بالمغيرة؟! مع أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: ابن سمية (أو عمار) ما عرض عليه أمران قط إلا اختار الأرشد منهما (أو أرشدهما)[2] فإن كان هذا حال عمار فكيف بالنبي الأعظم

---

(١) راجع: مجمع الزوائد ج١ ص٢٢٧ ومسند أبي يعلى ج١ ص٢٠٠ وعمدة القاري ج٣ ص٦١ وكنز العمال ج٩ ص١٤٤ و ٢٠٧ و (ط مؤسسة الرسالة) ج٩ ص٤٧٢ والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ج٣ ص٥٣ وتحفة المحتاج ج١ ص١٩٠ والبيان والتعريف ج٢ ص٢٧٠ وحاشية ابن عابدين ج١ ص١٢٦ والمطالب العالية لابن حجر ج٢ ص٣٠٥ والفردوس بمأثور الخطاب لابن شيرويه الديلمي ج٥ ص٣١٠ وتلخيص الحبير ج١ ص٩٧ وخلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير ج١ ص٤٠ ونيل الأوطار ج١ ص٢١٩.

(٢) مسند أحمد ج١ ص٣٨٩ و ٤٤٥ ج٦ ص١١٣ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٣٢ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٨٨ وفتح الباري ج٧ ص٧٢ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٠٣ وج١٠ ص٢١٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٢٣ والجامع الصغير ج٢ ص٤٩٥ وكنز العمال ج١١ ص٧٢١ و ٧٢٣ وفيض القدير ج٢ ص٧٣ وج٥ ص٥٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٨١ ومعجم الرجال والحديث لمحمد حياة الأنصاري ج١ ص٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٣ ص٤٠٤ و ٤٠٧ وأسد الغابة ج٤ ص٤٥ والأعلام للزركلي ج٥ ص٣٦ =

«صلى الله عليه وآله»؟!

عاشراً: لماذا يحمل له الأداوة المغيرة بن شعبة، وهو الرجل المعروف بالغدر، وقد أسلم بعد أن فتك بثلاثة عشر رجلاً، غدراً، حسداً، وأخذ أموالهم، لكي يأمن من ملاحقة أهلهم وعشائرهم له[1]..

= وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٥٧٥ والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج١ ص١٣٨ و ٢٠٤ و ٣٢٨ وعلل الدارقطني ج٥ ص٢٣٣ والمراجعات ص٣١٩ و ٣٢٠ والغدير للأميني ج٩ ص٢٦ و ٢٥٩ وج٩ ص٣٢٥ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٩٨ وأعيان الشيعة ج٨ ص٣٧٣ ووقعة صفين للمنقري ص٣٤٣.

(١) راجع: فتح الباري ج٥ ص٢٤٩ وعمدة القاري ج١٤ ص٣ و ١١ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٢ وعيون الأثر ج٢ ص١١٧ والغارات للثقفي ج٢ ص٨٣٣ و ٨٣٤ وعون المعبود ج٧ ص٣١٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٩٨ والبحار ج٢٠ ص٣٦٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٧٩ وراجع: نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص١٨٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٣١٢ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٩ وصحيح البخاري ج٣ ص١٨٠ وسنن أبي داود ج١ ص٦٢٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١١٣ و ٢١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٣٦٩ و ٣٧٦ وإمتاع الأسماع ج٩ ص١٠ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٦ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢١ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٢ وشرح النهج ج٢٠ ص٨ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص١٩٦ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٦٦ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٨ وتفسير البغوي ج٤ ص٢٠٠ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٢ والدر المنثور ج٦ ص٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٢.

وكيف قبل المسلمون أن ينفرد المغيرة المعروف بغدره برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يوجد فيهم من يتبرع بالقيام بهذا الأمر دونه..

حادي عشر: ما معنى قول الرواية: إنه «صلى الله عليه وآله» قد غبطهم حيث صلوا الصلاة لوقتها، وقال لهم: أحسنتم. فإن المفروض: أنه «صلى الله عليه وآله» قد صلاها أيضاً لوقتها، بل هو قد صلاها معهم..

وإن كان المقصود: أنهم قد صلوها في أول وقتها، فغير صحيح، لأنهم ما صلوها إلا بعد أن خافوا الشمس أن تطلع..

على أن هذه الغبطة إنما يصبح لها معنى لو كانوا لم يضيعوا فضيلة أول الوقت، حيث يكونون قد فازوا بما لم يفز به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فغبطهم من أجل ذلك كله، لكن ذلك لم يحصل..

إلا إن كان المقصود: أنه غبطهم على عدم تفريطهك بصلاتهم، وإن كان هو «صلى الله عليه وآله» قد أدرك هذه الصلاة أيضاً.

قضاء النبي ﷺ في قضية:

عن يعلى بن أمية قال: أتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأجير له قد نازع رجلاً من العسكر، فعضه ذلك الرجل، فانتزع الأجير يده من فم العاض، فانتزع ثنيته.

فلزمه العاض، فبلغ به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقمت مع أجيري لأنظر ما يصنع، فأتي بهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «أيعمد أحدكم فيعض أخاه كما يعض الفحل»؟

فأبطل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما أصاب من ثنيته، وقال: «أفيدع

يده في فيك تقضمها كأنها في فم فحل يقضمها»؟[1].

ونلفت النظر هنا إلى قوله «صلى الله عليه وآله»: «يعض أخاه كما يعض الفحل»، وقوله: «تقضمها كأنها في فم فحل يقضمها»، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» يجسد بكلامه هذا القسوة البالغة، لمن يجب أن يعامل بأعلى درجات الرحمة والرفق، وهو الأخ.. ليظهر للناس أن فعله سمج وقبيح، تنفر منه النفوس، وذلك مبالغة منه «صلى الله عليه وآله» في زجره عن مثل هذا العمل..

النبي ﷺ يردف سهيل بن بيضاء:

عن سهيل بن بيضاء: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أردفه على رحله في غزوة تبوك، قال سهيل: ورفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته: «يا سهيل».

كل ذلك يقول سهيل: يا لبيك يا رسول الله، ثلاث مرات.

حتى عرف الناس أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريدهم، فانثنى عليه مَنْ أمامه، ولحقه مَنْ خلفه من الناس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرمه الله على النار»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٤٩ و ٤٥٠ عن البخاري، وغيره وفي هامشه عن البخاري (٤٤١٧) و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٣٠. وراجع: كتاب الأم للشافعي ج٧ ص١٥٨ وعمدة القاري ج١٨ ص٤٧ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٢٥٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٥٠ عن أحمد، والطبراني، والواقدي، وفي هامشه =

ونقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد ـ فيما يظهر ـ أن يواجه الناس بحقيقة أن ما يكنونه يخالف ما يظهرونه.. وأن عليهم أن يزيلوا جميع رواسب الشرك من عقولهم، وأن يخلصوا لله سبحانه، فهو «صلى الله عليه وآله» يتجنب إظهار أية إشارة من شأنها أن تثير الشبهة في أمرهم، حتى إنه لا يوجه إليهم خطابه، بل يتظاهر بأنه يريد بخطابه سهيل بن بيضاء، متعمداً أن يعرِّفهم أنه يريد منهم أن يسمعوا ما سيقوله.. لأنه ينادي برفيع الصوت، مع أن سهيل بن بيضاء كان أقرب من غيره إليه، ويجيبه سهيل بن بيضاء، ولكنه لا يكترث للإجابة بل يكرر النداء..

وبعد أن تأكد أن الناس قد أدركوا أنه يريد أن يقول شيئاً، وأنه يريد لهم أن يسمعوا ما يقول.. أطلق كلمته، التي توجههم إلى ضرورة التزام خط التوحيد بمعناه الدقيق والعميق.. لأنه هو الذي يضمن سلامة مسيرهم نحو الله تبارك وتعالى وفق ما رسمه من أحكام وما حدده من شرائع، حيث لا يبقى لغيره تعالى أي دور في حياتهم، وأي تأثير في حرف تصرفاتهم ومواقعهم بالإتجاهات الخاطئة، حيث الهلاك والبوار، والتعرض لغضب الجبار، واستحقاق العقاب بالنار..

النبي ﷺ ينام عن الصلاة:

عن عقبة بن عامر قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في

= عن: مسند أحمد ج٥ ص٣١٨ و ٢٣٦ وابن حبان، وعن مجمع الزوائد ج٦ ص٢٥٢ والطبقات الكبرى لا سعد ج٣ ص٤١٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٥٨.

غزوة تبوك، فلما كان منها على ليلة استرقد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح، قال: «ألم أقل لك يا بلال: اكلأ لنا الفجر»؟!.

فقال: يا رسول الله ذهب بي النوم، وذهب بي مثل الذي ذهب بك.

قال: فانتقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من منزله غير بعيد، ثم صلى، وسار مسرعاً بقية يومه وليلته، فأصبح بتبوك [1].

ونقول:

١ ـ إن هؤلاء المخذولين يحاولون التسويق عمداً لأمور محدّدة تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ربما ليبرروا مخالفات من يحبونهم من الحكام والخلفاء، الذين كانوا لا يهتمون بصلاتهم، وبعباداتهم، وبرعاية أحكام الله تبارك وتعالى في مواقفهم، وسياساتهم، وسائر تصرفاتهم..

فأراد أتباعهم ومحبوهم أن يبرروها لهم ويخففوا من وقع الإعتراضات عليهم بنسبة نظائر تلك المخالفات الشنيعة، والتهاون بأحكام الله تبارك وتعالى إلى النبي المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين..

ولكي يتم لهم ما يريدون، يحاولون تكرير نسبة هذه القبائح إليه «صلى الله عليه وآله» في المناسبات المختلفة حتى ليحسب الناظر: أن هذا الأمر مشهود ومرصود منه «صلى الله عليه وآله»، وأنه من عاداته التي يتكرر

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٥١ عن البيهقي، والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص٢٢٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٥١ ص٢٤٠ وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص٥٩ والبداية والنهاية ج٥ ص١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٤ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١١١.

صدورها منه باطراد..

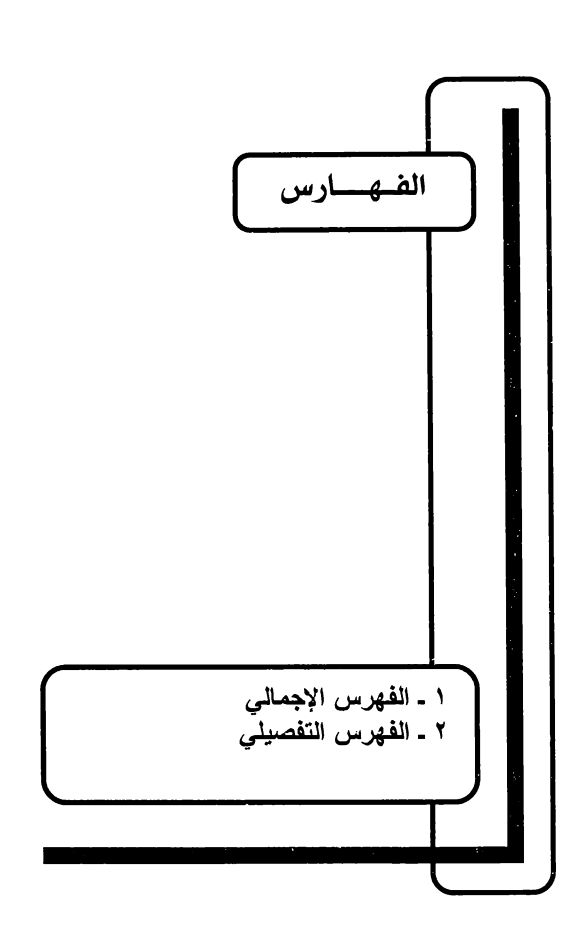
وما نِسْبَةُ النوم عن صلاة الصبح إليه «صلى الله عليه وآله»، التي تكررت في جملة من أسفاره إلا واحدة من هذه المفردات الكثيرة، وقد حافظوا فيها حتى على الأشخاص، وعلى الكلمات كما يعلم بالمراجعة والمقارنة..

وكنا قد تعرضنا لتفنيد هذه الترهات والأباطيل حين الحديث عن رجوعه «صلى الله عليه وآله» من غزوة خيبر، وفي مواضع أخرى، وها نحن نواجهها بعينها في غزوة تبوك، فيرجى من القارئ الكريم أن يراجع ما ذكرناه حول هذه الأفيكة في المواضع التي سلفت من هذا الكتاب..

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي

[illegible]

1 - [illegible]

2 - [illegible]

١ ـ الفهرس الإجمالي

[illegible]

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الحادي عشر: الكيد السفياني في حديث المباهلة

الباب التاسع: تبوك.. وإلى حجة الوداع

الفصل الأول: الإعداد والإستعداد

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة

الفصل الثالث: النفير العام

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا .. وحديث كعب بن مالك

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك

الفهارس: